



ال مجلس البلدي - لمدينة تيزنيت



مؤسسة الشيخ مربيه رئيسي  
لإحياء التراث والتبادل الثقافي

# سُوْسُ وَ الصَّحْرَاءُ الْمَغْرِبِيَّةُ تَأَصُّلُ ثقَافَيٍّ وَ حَضَارَيٍّ



أعمال محمداء إلى الفقيه الأذيب والقارئ  
ما العينين على مربيه رئيسي

مؤسسة الشيخ مربيه ربه  
لإحياء التراث والتبادل الثقافي

المجلس البلدي - مدينة تيزنيت

# سُوْسُ وَالصَّحْرَاءُ الْمَغْرِبِيَّةُ تَوَاصُلُ ثقَافَيْ وَحَضَارَيْ

أعمال مهرجان إلى الفقيد الأدبي والمفاسد  
ما، العينين على مربيه ربه

يَوْمِ الْأَحَدِ 12 يُولِيُوز 1998

# بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

الكتاب : سوس والصحراء المغربية  
تواصل ثقافي وحضاري

أعمال يوم دراسي مهداة إلى الفقيد: هاء العينين علي مربيه ربه  
الخطوط : أحمد المعتصم - تارودانت  
لوحة الغلاف : محمد بنلهدان - تزنيت  
التصنيف : محمد رايس - إنركان  
رقم الإيداع : 45-1999  
الطبعة الأولى : 1419هـ-1999م

طبع هذا الكتاب على نفقة المجلس البلدي  
لمدينة تزنيت

## المرحوم: علي ما العينين مريم

- ولد الفقيد سنة 1934 بقرية كردوش دائرة تافراوتإقليم تزنيت.
- تلقى تعليمه الأولي على يد والده العالم المجاهد الشيخ مريم بن الشيخ ما العينين، حيث حفظ القرآن الكريم ومنهن اللغة وعلوم الدين.
- في سنة 1942 الحق بالمدارس الإسبانية متابعة دراسته.
- في سنة 1953 اخرط في صفوف الحركة الوطنية، وتلقى بأمر زعمائها آنذاك.
- في سنة 1956 شارك في مؤتمر أمرشاد الذي ترأسه الشيخ محمد الأغضل بن الشيخ ما العينين، ثم اخرط في صفوف جيش التحرير، مما جعله متابعاً من قبل السلطات الإسبانية، وكان في مقدمة الوفد الذي توجه إلى إسبانيا لتجديد البيعة مع مختلف قبائل الصحراء المغربية بحلالة المغفور له محمد الخامس، طيب الله ثراه.
- في سنة 1958 شارك في مؤتمر بوخسيست الذي ترأس آنذاك على العهد حلالة الملك الحسن الثاني نصر الله.
- في سنة 1961 الحق بالوظيفة العمومية بوزارة العدل.
- في سنة 1970 تابع دراسته بكلية الحقوق بالرباط جامعة محمد الخامس.
- في سنة 1976 حصل على الإجازة من كلية الشريعة بفاس، جامعة القرويين.
- في سنة 1987 أنعم عليه حلالة الملك الحسن الثاني نصر الله بوسام الاستحقاق الوطني من الدرجة الممتازة.
- سخر شطر كبيراً من حياته لتعاطي العلم وقد ادرس أصنافه، وخلف خزانة قيمة.
- له أشعار وقصارات في مختلف الأغراض والمناسبات، ومقالات منشورة في الصحف الوطنية، وكان قبلة للباحثين والدارسين لنarrative الصحرا، المغربية فرسوس العالمية وتقديرهما.
- تلقى مريم يوم الأحد 29 ذي الحجة 1418هـ موافق 6 يوليوز 1997م، تغمد الله برحمته الواسعة، وأسكنه فسيح جناته، آمين.

أشرف على إعداد هذا الكتاب وتصحيحه:

- الأستاذ: محمد ناجي بن عمر.

- الأستاذ: ماء العينين النعمة علي.



صورة للفقيد في إحدى جلساته الكتابية

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقديم

في إطار التبادل والتواصل الثقافي والفكري المستمر بين سوس العالمة والصحراء الغربية وبباقي ربوع المملكة، نظم الملحق البلدي لمدينة تزنيت بتعاون مع مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، يوما دراسيا تأييضا لروح الفقيد والأديب والمقاوم ماء العينين علي مربيه ربه، في موضوع: «سوس والصحراء الغربية: تواصل ثقافي وفكري». وكان مناسبة لجامعة من الباحثين والأساتذة الجامعيين لطرح ومساءلة وتوضيح مظاهر هذا التواصل إن على مستوى الفكر أم الإبداع الأدبي أم التاريخ إلى غير ذلك من هذه المظاهر.

فبعد الجلسة الافتتاحية والشهادات، انطلق هذا اليوم الدراسي لمعالجة قضايا تهم طبيعة الحضور الثقافي لزاوية الشيخ ماء العينين وتأثيرها الإيجابي في الصحراء وبباقي الأقاليم الغربية، وما ركزته في النقوس والعقول من قوة العقيدة وترسيخ الإيمان، فضلا عن أدوارها الطلاقية على مستوى الفكر والأدب، حيث لا يكاد يخلو إقليم مغربي من أحد العلماء الذين كان آل الشيخ ماء العينين من ضمن شيوخهم حتى أصبحت سمعتهم بارزة مميزة بين المؤثرات العامة في الثقافة الغربية.

وتعالج أيضا ملامح ومظاهر من جهادهم عامة، وجهاد المخاهد والمقاومة العالمة الشيخ مربيه ربه خاصة، صحبة القبائل السوسية المجاهدة التي وقفت طويلا واستماتت في الدفاع عن المنطقة الجنوبية ضد المستعمر الفرنسي إلى وقت جد متأخر، بحيث لم تصل قواته إلى هذه المناطق إلا في منتصف الثلاثينيات، ولم يكن هذا الدفاع المشترك غريبا عن الصحراء وسوس، خاصة إذا علمنا أن عناصر التمازج والالتقاء كانت وما تزال متوافرة بشكل ملحوظ في مستويات عدة (الثقافي، والفكري، والاجتماعي، والاقتصادي، والحضاري بصفة عامة). وهذا ما جاء كتاب الشيخ ماء العينين: "دليل الرفاق على شمس الاتفاق" مؤكدا له ومصرا على التحليل بوجوب الوحدة والإجماع بدل التفرق والاختلاف المودي للتشتت والضياع.

وأمام شح المصادر التي تغص بها الخزانات الخاصة، كان لزاماً على الباحثين النظر في وسائل أخرى للملمة مادة هذه المقدمة المهمة، وكانت الرواية الشفوية مع ما يكتنفها من تزيد وعدم وضوح وتدقيق، إحدى السبل الممكنة لتدارك الكثير من الحقائق التي ما زالت تحملها بعض الصدور.

ولا شك أن علماء سوس قد غرروا من هذا المنهل العذب بتواصلهم العلمي على مستوى المشيخة والتلمندة والمحوار العلمي والروحي، وعلى مستوى التصوف والإخوانيات، وكان طبيعياً أن تدون بعض كتب الرحلات المبدلة بعضاً من هذا النشاط العلمي كما جاء واضحاً في رحلة الولاتي التي بسط فيها ثوذاً من إحدى المساجلات العلمية بينه وبين الفقيه السوسي محمد بن العربي الأدوزي.

وهذا ليس جديداً إذا علمنا أن بعض علماء الصحراء وأدبائها كانوا يفلون إلى سوس من أجل الدراسة والتدريس في رحاب مدارس سوس العالمة العتيقة (إلغ ثوذاً)، مما كان فرصة لعقد مجموعة مساجلات أدبية وفكرية وشعرية كما هو الشأن بالنسبة لماء العينين بن العتيق والشيخ محمد الإمام مع عبد الله بن محمد الإلغي والشيخ مربيه ربه مع الشاعر الطاهر الإفراني وعبد الله الإلغي.

واختتم هذا اليوم وسط حضور متميز بقصائد شعرية تذكر بمناقب الفقيد، وترتبط بموضوع اليوم الدراسي الذي انعقد في ظروف تنظيمية جيدة يعود الفضل فيها للمجلس البلدي ومؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي ولمساهمة السادة الأساتذة الأخلاق والباحثين الأفضل.

وفي الأخير، نشكر السيد رئيس المجلس البلدي الأستاذ الحترم أَحمد اديعُر الذي قدم جميع المساعدات المادية والمعنوية لإنجراج أعمال هذا اليوم الدراسي في هذا الكتاب الذي لا شك أنه سيضيف لدارس الفكر والأدب المغربي لبنة جديدة في بناء صرح ثقافة مغربية متينة ومتّمِزة.

محمد ناجي بن عمر  
ماء العينين النعمة على

---

oooooooooooooooooooooooooooooooo

## الجلسة الافتتاحية

oooooooooooooooooooooooooooo

---

**كلمة السيد أحمد اديع  
رئيس المجلس البلدي لمدينة تيزنيت**

---

لِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ .  
سِيَادَةُ عَامِلِ صَاحِبِ الْجَلَالَةِ .

السيد قيدوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ابن زهر .

السيد رئيس مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي .  
أيها الحضور الكريم .

إخواني المتخбинين .

حضرات السادة الأفاضل .

يسعدني أن أرحب بكم أصالة عن نفسي، ونيابة عن سكان مدينة تيزنيت  
ومجلسها البلدي، في هذه الجلسة المباركة التي ينظمها المجلس البلدي، ومؤسسة الشيخ  
مربيه ربه، لإحياء التراث والتبادل الثقافي، تكريماً للفقيد والمقاوم والأديب ماء العينين  
علي مربيه ربه .

ومن حسن الطالع أن يقام هذا التكريم، وهذا النشاط العلمي، والأمة المغربية  
تعيش أجواء الذكرى العطرة، لميلاد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأجواء الاحتفال  
بالذكرى التاسعة والستين لميلاد حفيده مولانا أمير المؤمنين، صاحب الجلاله الملك  
الحسن الثاني، نصره الله .

وحينما دعي المجلس البلدي إلى المشاركة في تنظيم هذا اللقاء الفكري، كان  
ترحابنا تلقائياً، اعتباراً لمكانة آل ماء العينين المتميزة في ذاكرة سكان مدينة تيزنيت  
السلطانية، وأن الموضوع المختار لهذا اليوم الدراسي، أملته الظروف الحالية التي تمر بها  
قضيتنا الوطنية الأولى، نحو الاستفتاء التأكدي لمغاربة الأقاليم الصحراوية المسترجعة،  
لتتأكد التلاحم بين أقاليمنا الصحراوية، وبباقي الأقاليم المغربية .

حضرات السادة الأفاضل :

إن مثل هذه التظاهرات لنعتز بها كاملاً الاعتزاز، بما ستساهم به في استجلاء  
ملامح ومقومات التواصل والتلاحم الثقافي والفكري بين سوس والصحراء المغربية،

وهي فرصة سانحة لثلة من الأساتذة الباحثين، لمعالجة موضوع هذا اللقاء العلمي،  
الهام والمتميز.

حضرات السادة الأفاضل:

إن المجلس البلدي، ليعمل جاهدا على توسيع وتنويع أنشطته الثقافية، إيمانا منه  
بالدور المنوط بالجماعات المحلية في تفعيل العمل الثقافي. لذا، فإن عزمنا معقود على  
خلق تعاون وشراكة مع جميع الجمعيات الفاعلة ثقافيا، وكذا المؤسسات الجامعية  
بمختلف تخصصاتها، التي يجمعنا وإياها هدف واحد، أساسه خدمة الثقافة والمعرفة في  
وطننا الشامخ.

حضرات السادة الأفاضل:

نتمنى صادقين أن يظل هذا التعاون مفتوحا وعمليا، حتى نغنيه بلقاءات وندوات  
مستقبلية، وسيكون لنا شرف تنظيم ندوة ثقافية وطنية خلال السنة المقبلة في موضوع:  
"شخصية الشيخ المجاهد ماء العينين".

حضرات السادة الأفاضل:

أيها الحضور الكريم.

إنني بهذه المناسبة السعيدة، أهنئ مؤسسة الشيخ مربيه ربه على أهمية ودقة اختيار  
موضوع هذه الندوة، للقاء الضوء على جوانب تاريخية من ذلك التمازج الثقافي،  
والتكامل العلمي والاجتماعي لمنطقة سوس والصحراء المغربية عبر التاريخ.

وإن مدينة تيزنيت، بل وسوس كلها محظوظة وفخورة بتلك التوازة الطيبة المباركة،  
التي شاء الله أن يهيئ الأسباب، لتكون مدينة تيزنيت مقرا للعالم الوقور، والوطني  
الغيور، والإمام المجاهد، الولي الصالح الشيخ ماء العينين، تلك الذرية الكريمة التي أنجبت  
فطاحل العلم والأدب، والشجاعة والنضال والجهاد.

حضرات السادة الأفاضل.

أيها الحضور الكريم.

ها نحن في هذا الملتقى الفكري، نطلع إلى مواضع هذه الندوة التاريخية، لتكريم  
عالم كبير من أعلام الثقافة والحركة الفكرية بالصحراء المغربية وسوس.  
وننتظر بشغف وشوق الحقائق الموضوعية والمعرفية التي يتمحور حولها موضوع  
هذه الندوة، وما ستتضمنه عروض الأساتذة الأجلاء، المشاركون في هذا اليوم الدراسي،  
من تنوير فكري، لتقرير واستجلاء التاريخ وحقائقه.

وبهذه المناسبة أتقدم بجزيل الشكر، لمؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، على مبادرتها لتنظيم هذا اللقاء الفكرى الهام، وإلى كل الأساتذة الباحثين الذين لبوا الدعوة، والضيوف الكرام الذين شرفونا بحضورهم المتميز، كما أتوه بالجهود الذي بذله أعضاء اللجنة التنظيمية المكلفة بإعداد هذا اليوم الدراسي، وأتوجه بالشكر والتقدير للسلطات العمومية، وعلى رأسها سيادة العامل، على رعايته لهذه الندوة، وكذلك الأعيان والفاعلين الاقتصاديين بهذه المدينة، على مساهمتهم في هذا اللقاء المبارك، وإلى جميع الفعاليات المهمة، على المساهمة والمشاركة والحضور.

حضرات السادة الأفاضل.

أيها الحضور الكريم.

إن مدينة تيزنيت وسكانها و مجلسها البلدي والإقليمي، سعداء بهذا اللقاء العلمي الهام.

والله أسأل أن تكمل أشغالكم بال توفيق والنجاح.

كما لا يفوتي قبل أن أنهي كلمتي أن أتقدم بتعازى أعضاء المجلس، لأسرة الفقيد ماء العينين علي مربيه ربه، وأتمنى خالصاً أن تكون أعمال هذا اليوم الدراسي خير ما نهدي لروح الفقيد الظاهر.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

---

**كلمة السيد ماء العينين مربيه وبه وبيته**  
**ممثل مؤسسة الشيخ مربيه وبه لإحياء التراث والتبادل الثقافي**

---

لِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمَرْسَلِينَ، وَعَلَىٰ أَهْلِهِ وَصَاحْبَتِهِ أَجْمَعِينَ.

إن لشرف عظيم، أن أتناول الكلمة لأغير باسم مجلس وأعضاء مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، عن كامل تشكراتنا الحالمة، وامتنانا الصادق للسلطات المحلية بـمدينة تيزنيت، وفي مقدمتها عامل صاحب الجلالة على الإقليم، وإلى المجلس الإقليمي والمجلس البلدي ورئيسيهما، على تنظيم هذا اليوم الدراسي، في غمرة الاحتفالات بالذكرى التاسعة والستين لميلاد عاهل البلاد ملكنا المفدى جلالة الملك الحسن الثاني، أطّال الله عمره بالسعادة والعافية، وسدّد خطاه، وأبقاء ذخراً وعزّاً لهذا البلد الأمين.

كما توجه بالشكر الجزيل والعرفان الصادق إلى السيد قيدوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأڭادير الدكتور حسن بن حليمة، ذي الأيدي البيضاء، وصاحب قصب السبق في كل ما يحدث من تواصل فكري وثقافي، على الصعيد الوطني بصفة عامة، وسوس والصحراء المغربية بصفة خاصة.

وتشكراتنا الحارة كذلك، نزفها هذه الكوكبة الطبيعية من أساتذة جامعتنا، وباحثيها، خاصة من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأڭادير والحمدية، والأساتذة المشاركون من مختلف المؤسسات التعليمية.

كما لا يفوّت مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي أن توجه بكل شكر، وتشمن عالياً مساهمة وجهود كل من المندوبية الجهوية لقدماء المقاومين، وأعضاء جيش التحرير، ومندوبي وزارة الشؤون الثقافية، ومندوبي وزارة الشبيبة والرياضة، وجمعية الأعمال الاجتماعية لقضاة وموظفي وزارة العدل، وكل من ساهم في تنظيم هذا اليوم الدراسي، لإبراز بعض سمات التواصل الفكري والثقافي، التي تركت بصماتها واضحة عبر مختلف مراحل التاريخ بين سوس العالمة والصحراء المغربية.

هذا اليوم الذي نتمنى صادقين مخلصين، أن تبعه أيام دراسية أخرى، وندوات أخرى لا تقتصر فقط على سوس والصحراء، بل تشمل بقية ربع هذا الوطن الموحد، وتاريخ أبنائه وثقافتهم المشتركة، ومصيرهم الواحد المشترك، بحكمة وتبصر عاهلنا المفدى، نصره الله وأيده.

أيها السيدات والساسة، تشكراتنا لكم جميعاً، على ما تجشمتموه من عناء السفر، وما بذلتموه من جهد ووقت ثمينين، من أجل هذا اللقاء وهذا التواصل الشاق، بحضوركم جميعاً، ومشاركتكم جميعاً.

---

**كلمة السيد حسن بن حلية  
في دعوة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير**

---

لِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ.  
الْسَّيِّدُ عَامِلُ صَاحِبِ الْجَلَالَةِ عَلَى إِقْلِيمِ تِيزِيْتِ الْمُحْرَمِ.  
الْسَّيِّدُ رَئِيسُ الْجَلْسِ الْبَلْدِيِّ الْمُحْرَمِ.  
الْسَّيِّدُ رَئِيسُ الْجَلْسِ الْإِقْلِيمِيِّ الْمُحْرَمِ.  
الْسَّيِّدُ رَئِيسُ مَوْسِسَةِ الشَّيْخِ مَرْبِيهِ رَبِّهِ لِإِحْيَا الرَّثَاثِ وَالتَّبَادُلِ الْقَافِيِّ الْمُحْرَمِ.  
السَّادَةُ آلُ مَاءِ الْعَيْنَيْنِ الْمُحْرَمَيْنِ.  
السَّادَةُ الْعُلَمَاءُ وَالْأَسَاتِذَةُ الْأَحْلَاءُ.  
أَيُّهَا الْحَضُورُ الْكَرِيمُ.  
السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

يُسْعِدُنِي وَيُشَرِّفُنِي أَنْ أَحْضُرَ مَعَكُمْ فِي افتتاحِ هَذَا الْيَوْمِ الْدَرَاسِيِّ، الْمُنظَّمُ بِتَعْاونٍ  
بَيْنَ الْجَلْسِ الْبَلْدِيِّ لِمَدِينَةِ تِيزِيْتِ وَمَوْسِسَةِ الشَّيْخِ مَرْبِيهِ رَبِّهِ لِإِحْيَا الرَّثَاثِ وَالتَّبَادُلِ  
الْقَافِيِّ حَوْلَ مَوْضِعِ: «سُوسُ وَالصَّحْرَاءُ الْمَغْرِبِيَّةُ: تَوَاصِلُ ثَقَافَيْ وَفَكْرِيَّ»، تَكْرِيمًا لِرُوحِ  
الْفَقِيدِ وَالْأَدِيبِ وَالْمَقاوِمِ مَاءِ الْعَيْنَيْنِ عَلَى مَرْبِيهِ رَبِّهِ، وَذَلِكُ فِي إِطَارِ اِحْتِفَالَاتِ الشَّعْبِ  
الْمَغْرِبِيِّ بِعِيدِ الشَّيْبَابِ الْمُجِيدِ، وَإِنَّهَا لِمَنْاسِبَةِ غَالِيَّةٍ تَضَافُ إِلَى مَنْاسِبَةِ سَالِفَةِ، جَسَدتُّ رُوحَ  
التعاونِ بَيْنَ كُلِّيَّةِ الْآدَابِ وَالْعِلُومِ الْإِنسَانِيَّةِ بِأَكَادِيرِ وَمَدِينَةِ تِيزِيْتِ مِنْ خَلَالِ سُلْطَانَهَا  
وَمُجْلِسَهَا الْبَلْدِيِّ، عِنْدَمَا أَقْمَنَا تَظَاهِرَاتٍ مُخْتَلِفةً، كَـ«نَدْوَةُ تِيزِيْتِ وَبَادِيَّتِهَا»، الَّتِي سَاهَمَ فِي  
تَنظِيمِهَا مُجْمُوعَةُ مِنَ الْفَعَالِيَّاتِ الجَامِعِيَّةِ الْمَغْرِبِيَّةِ، كَمَا سَبَقَ لِكُلِّيَّتِنَا أَنْ نَظَمَتْ مَعْرِضاً  
لِلْكِتَابِ الجَامِعِيِّ، دَائِمًا فِي إِطَارِ التَّعاونِ بَيْنَ كُلِّيَّتَنَا وَهَذِهِ الْمَدِينَةِ الْمَجَاهِدَةِ.

وَأَتَشَرِّفُ الْيَوْمَ بِالْحَضُورِ مَعَ مَوْسِسَةِ الشَّيْخِ مَرْبِيهِ رَبِّهِ لِإِحْيَا الرَّثَاثِ وَالتَّبَادُلِ  
الْقَافِيِّ، الَّتِي سَبَقَ لِكُلِّيَّتِنَا أَنْ نَظَمَتْ مَعَهَا فِي غُضُونِ السَّنَةِ الْمَاضِيَّةِ، يَوْمًا وَطَنِيَا درَاسِيَا  
حَوْلَ الصَّحَرَاءِ: «الرَّثَاثُ وَالذَّاكِرَةُ»، صَاحِبِهِ مَعْرِضٌ لِلْكِتَابِ وَوَثَاقِ وَمَخْطُوطَاتِ  
تَعْرِضُ لِأَوْلَ مَرَّةٍ، وَكُلُّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالصَّحَرَاءِ الْمَغْرِبِيَّةِ.

وإن اختيار موضوع علاقات سوس والصحراء باعتباره محوراً لهذا اليوم الدراسي، ليؤكد مدى التواصل الذي كان وما يزال يقوم بين هذه المنطقة العزيزة من بلدنا وسوس، كما يؤكد التحام كل أطراف المملكة بعضها ببعض، فقد كان المغاربة من شمال المملكة إلى جنوبها، ومن جنوبها إلى شمالها سباقين للنحو عن حوزة البلاد، كلما أحاط خطر خارجي بيدهم وأررضهم، والصحراء المغربية مثلت فعلاً نوذجاً لهذه الحركة البشرية، الهادفة إلى الدفاع عن مقدسات البلاد، وقد انصرت فيها كل دماء المغاربة عندما تعلق الأمر بمعركة التحرير واستكمال الوحدة الترابية.

على أن التواصل بين سوس والصحراء الذي هو موضوع هذه التظاهرة، لم يقف عند هذا الحد، بل أخذ كذلك أوجهها أخرى متعددة، تمثلت في التفاعل البشري والحضاري والثقافي، والانسجام الفكري والأدبي بين علماء سوس وعلماء الصحراء المغربية.

وإن انكباب ثلة من الباحثين الجامعيين على هذا الموضوع، ومحاولة سير أغواره لمن شأنه أن يلقي الضوء على جوانب خفية من علاقات التواصل الحضاري بين سوس والصحراء، كما أن التحرك الثقافي من شأنه أن يساهم في إغناء ذاكرتنا الوطنية الغنية بالملامح والبطولات، وإبراز أوجه التقارب الثقافي والحضاري.

فاسمحوا لي أيها السادة، بهذه المناسبة، أن أقدم باسم كلية إلى السيد رئيس المجلس البلدي لمدينة تزنيت، والسيد رئيس مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، على هذه الدعوة الكريمة الموجهة إلى كلية، قصد المساهمة في تفعيل هذا اليوم الدراسي وتنسيطه، واسمحوا لي كذلك أن أنوه بهذه المبادرة الطيبة، التي تمهد الآن لمبادرة قرية إن شاء الله، ستنظم في السنة القادمة بالرباط دائماً حول موضوع: «ال التواصل الثقافي والفكري بين الصحراء وسوس»، وهي تظاهرة ستنظم على مستوى جامعي بالرباط، كما أود بهذه المناسبة، كذلك، أن أخبركم بأن كلية الآن هي من hemisphere في تحضير ندوة وطنية حول مدينة السمارة باعتبارها حاضرة روحية وعلمية بالصحراء المغربية، وهذا من شأنه كذلك أن يساهم في تفعيل واستعادة الذاكرة المغربية عبر محطاته الوطنية.

وفي النهاية أتمنى لهذا اليوم الدراسي كل التوفيق والنجاح، وشكراً لكم مجدداً، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.



من اليسار إلى اليمين: رئيس المجلس البلدي لتنزيت والسيد العامل



صورة للجلسة الافتتاحية

**كلمة السيد محمد الأمين أبو الفضل السباعي  
ممثل جمعية الأعمال الاجتماعية لقضاة وموظفي وزارة العدل**

لِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.  
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدَ الصَّطْفِيِّ وَعَلَى أَهْلِ وَصَاحَابِهِ الطَّاهِرِينَ.  
وَبَعْدَ:

أتشرف لأحضر هذا الحفل التكريمي، بانتداب من جمعية الأعمال الاجتماعية لقضاة وموظفي وزارة العدل، التي تأبى إلا أن تكرم أحد أبنائها البررة الكرام، الذين أفنوا ريعان شبابهم في خدمة الصالح العام بصفة عامة، وخدمة المتراضين وإرضائهم في دائرة ما يقتضيه القانون بصفة خاصة.

إن الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مربيه ربه عرف طيلة حياته الإدارية بالاستقامة والتزاهة، والاستماتة في العمل، ونكران الذات، بكل قفاف وإخلاص، زاده في ذلك المكانة العلمية التي ورثها من أحبابه بالفرض التعصيب، فهو ذو الحسب والنسب والحمد للوروث والمكتسب، مما جعله يحوز تنويعه جميع المسؤولين الذين عمل معهم وتحت إشرافهم.

كان -رحمه الله- عنصراً نشطاً في صفوف المقاومة وجيش التحرير، بيت الوعي وروح الوطنية في نفوس المواطنين، وتمت ملاحقة من قبل الاستعمار الإسباني في الصحراء الغربية، وكان هذا المستعمر يحاول إغرائه ويخطب وده، فلما استعصى ضيق عليه الخناق، فوجد السند في وزارة العدل، حيث التحق بالوظيفة العمومية سنة 1961، وعيّن أول الأمر بمحكمة طانطان، ثم طرافية، فالسمارة العاصمة العلمية للأقاليم الصحراوية المغربية، حيث توفي -رحمه الله- سنة 1997.

هذا التكريم الذي نشهده اليوم سبقته عدة تكريمات، فالوزارة كرمته عندما رقته إلى أعلى الدرجات، حيث تمت ترقيته إلى إطار متذبذب قضائي، نظراً لمكانته العلمية، وتحليه بالأخلاق الفاضلة، فهو خريج كلية الشريعة، وحاصل على الإجازة قبل هذا. وذاك هو خريج مدرسة ماء العينين، وما أدركه ما درسته ماء العينين، كما كرمته

الوزارة عندما رشحته لنيل الوسام الملكي، فكرمه القاضي الأول والساهر الأمين على  
بث العدل بين رعاياه الأوفقاء حلاله الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده بالوسام  
العلوي، جزاءاً على ولائه للعرش العلوي الحميد، وتفانيه وجدته في العمل.  
رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جناته، آمين.

وأنتم هذه الكلمة المتواضعة بأبيات للشاعر الأستاذ ماء العينين يمحب في الشيخ  
محمد الإمام، وجدتها مطابقة لسيرة الفقيد:

هو البحر بحر العلم والحلم والتقوى \* وبحر الندى والجود ديدنه البذل  
وديدنه الإنفاق دأبا وإن ذا \* حلبي يراه كل من عنده عقل  
ففي عمره في خدمة الحق دائماً \* فأقواله فصل وأحكامه عدل  
والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

**كلمة السيد إدريس الغويزي  
المندوب الجموي للمندوبيات السامية لقدماء المقاومين وأعضاً، جيش التحرير**

لِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.  
السيد العامل المحترم.  
السيد القيدوم.  
السيد رئيس المجلس البلدي.  
السادة الأساتذة الأجلاء.  
أيها الحضور الكريم.

إنه من الشيم الكريمة، والفضائل الحميدة، أن تتجه العناية نحو بعض الحالات، وبعض الشخصيات الفذة التي وهبت حياتها لخدمة الوطن، فأجزلت العطاء بأريحية وسخاء من أجل عزة وكرامة وطنها، مسجلة بذلك صفحات ناصعة في ذاكرة التاريخ، ومختلفة معالم بارزة في الوفاء والتضحية ونكران الذات، والدفاع عن حمى الوطن والمقدسات، وبذلك تبوأت مكانة الصدارة في المجتمع.

إن الحديث عن شخصية مرمودة مثل المقاوم والأديب ماء العينين علي مربيه ربه، يتطلب الساعات الطوال، لما يحمل به عمره من أعمال تستحق كل تقدير وتكريم، فلقد ترعرع -رحمه الله- في بيت مجد وعلم، وتربي في كنف عائلة متمسكة بوطنها، ووفية للعرش العلوي الحميد.

اعتنق المرحوم الوطنية عقيدة ومنهباً، وكان رجلاً راسخ الإيمان، مجاهداً، التحق بصفوف جيش التحرير سنة 1956، ومنذ ذلك التاريخ وهو يتنقل في ربوع صحرائنا، يبث روح الوعي من أجل مقاومة الاستعمار، وشارك في معارك ضارية أشهرها معركة الدشيرة، كما كان عضواً نشطاً داخل صفوف جيش التحرير.

أيها السادة الكرام.

قبل ختام كلمتي هذه، أرى من واجبي أن أتوجه بالشكر الجزيل، إلى كل الذين ساهموا في تنظيم هذا اليوم الدراسي، الذي يعتبر التفافة كريمة لأسرة المقاومة وجيش التحرير، وأخص بالذكر هنا: السيد رئيس المجلس البلدي بتزنيت، ومؤسسة الشيخ مربيه زبه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، وكل الأساتذة الأحلاط المساهمين بعروضهم في هذا اليوم الدراسي.

والله ولي التوفيق.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

---

**كلمة السيد محمد الكريبي الشاعوري**  
**مندوب وزارة الشؤون الثقافية**

---

سيدي عامل صاحب الجلالة على الإقليم.  
السيد القبولي.  
السيد ممثل مؤسسة الشيخ مربيه ربه لاحياء التراث والتبادل الثقافي.  
السيد رئيس المجلس البلدي.  
السادة الأساتذة، أيتها السيدات الكريمات، أيها السادة الكرام.

لتقي اليوم، وبقاعة الشيخ ماء العينين، لنؤكد بالملموس التواصل الدائم ما بين سوس والصحراء المغربية، أواصر وصلات ثقافية وفكرية، روحية وعائلية، بل إن الجغرافيا بعنادها تلزم، وتعزز حلقات هذا التكامل، وما هذا اللقاء سوى الفرصة السانحة لوضع برنامج مشترك ومندمج يستهدف البعث الثقافي الشامل ضمن نسق وطني عام، يرسخ ثوابت أمتنا، ويدعم أقانيم وحدتنا.  
أيتها السيدات، أيها السادة.

إن أمير المؤمنين الحسن الثاني الأمين قد زاوج دائماً ما بين التحرير والبناء من جهة، وصيانة ورعاية الموروث والإبداع الثقافي من جهة ثانية. وعلى هذا النهج المولوي سار وزراؤه وهم يفوضون تسخير الشؤون الثقافية، فإذا كانت المسيرة الخضراء الملفقرة إبداعاً حسنياً خالداً، فإن صاحب الجلالة -أعز الله أمره- قد بني وشيد أولاً الأسس القانونية لهذه الملجمة، على موروث وطني ثقافي أصيل، أساسه البيعة، ودليله الوثيقة التاريخية والتواصل القريب والبعيد.

فعلى هذا النهج الثقافي الاهداف، وبأساليب البحث العلمي الرصين والأمين، سارت السياسة الحسنية في الميدان الثقافي المواكب للتحرير، فكان لنا في أقاليمنا الجنوبية هذه من العناية والرعاية ما يشهد به الواقع، وأعطى البحث الثقافي المستمر ما أغنى الوحدة الوطنية والترابية، وفند الدعاوى والترهات.

فالمحريات الجارية، والأبحاث الأركيولوجية، والترميمات المعمارية، ومؤسسة الدراسات الحسانية، والمجلات والندوات المختصة والخاصة، تكمل ما يتواهه ملتقاناً هذا اليوم، وإذا أراد الله أمراً هيأساباه.

أيها السيدات، أيها السادة.

لا أريد أن أغزل الحديث عن موئله، ترنيت الحاضرة السلطانية والحاضنة لآل بيت الأسرة المعينية، الشاهد الكامل على الوصل والصلة، مدينة تشبيث بموروثها السلطاني، وترهو به لتوسّس اليوم في تناغم كامل، الصورة الدائمة والمثالية لشعار هذا الملتقى، حاضرتنا هذه غادة متّشحة الصدر بعروض هذا الملتقى، فلنها منهم جميّعاً نصيب، وارثة هي بالتعصّب والأحد، واردة في كل متن وسند، بارة بالحفظ على السلالة، باترة لداربر العقم والكلالة.

أيتها السيدات الكريمات، أيها السادة الكرام.

كان علي أن أبدأ وأعيد بما أشهده ولا أحيد، ففي البدء كانت مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، وكان الأستاذ ماء العينين النعمة، تلفه معاناة تنظيم وعقد الملتقى، صادحاً بفكرة، راعياً لعمل تواصلي واعد. وها نحن اليوم، وقد نسج لنا النعمة من كل هذا فسطاساً يلم حواري الامتناع، نسامر بعضنا في أنس وموانسة، للصلة الثقافية، محظيين بالفقدان العالم المقاوم "أبو النعمة" ماء العينين علي مربيه ربه، أسكنه الله فسيح الجنان، كريم الختد، أصيل المصال، أثيل المكرمات، لمثله تهدى أعمال الباحثين تقديرًا واعتزاز، ويعينا من إدراك المهدى له الفائدة العلمية والفكيرية لأعمال اليوم؛ فهو الذي نذر نفسه وماه للتفكير وذويه، وللوطن وهمومه، ومحطات حياته الحافلة أكبر من أن يحويها قرنان.

- درس القرآن الكريم وعلومه، وأردهه بمفاتيح أسراره من لغة وفقه وأصول.  
- درس الإسبانية ببرشلونة ليتملكها باعتبارها أداة للمواجهة ومفتاحاً للمعارف الجديدة.

- اخترط في الحياة السياسية الوطنية المنافحة عن الوطن، قاوم وناضل، سواء بصفته المناضل الحزبي الملتزم، أو الجندي المقاوم، وكان همه المغرب أولاً وأخيراً.  
- زاوج بين النضالين السياسي والميداني، فشارك في مؤتمر أم الشّحافَة سنة 1956، وقد ترأس أشغاله الشيخ محمد الأعظمي بن الشيخ ماء العينين، وحضر مؤتمر بوخشيشية سنة 1958 الذي ترأسه ولـي العهد آنذاك أمير المؤمنين الحسن الثاني، دام عزه وعلاه.

إنها محطات بارزة في حياة العالم الوطني ماء العينين علي مربيه ربه، تزود من العلوم والآداب بأعمقها وأطبيها، وتحلى من الخصال بأحمدها وأروعها، وتفدى الوطن بهذا وذاك، فكان -والله- النموذج والمثال لما يدعونا إليه ملوكنا العلويون الأشاؤس، ومن كانت هذه صفاته فالجلنة مثواه وقراره.

أيتها السيدات، أيها السادة.

اسمحوا لي أن أهمس جهراً لأخي النعمة، بأن ماء العينين علي مربيه ربه ما مات وقد أُنجبت، فسر على بركة الله، يرعاك الله ويحميك، ولتكن أعمال الملتقى ودراسات السادة الأساتذة الأماجذ خريدة تحلى هامتك، ونيرأساً يهدى مسيرتك، مثلاً يحتذى لبلوغ المرتضى، من حامي البلاد والعباد الملك الحسن الثاني، دام عزه وعلاه.  
أشكركم، والسلام.

## كلمة أسرة الفقيد

### السيد ماء العينين النعمة عليه (\*)

لِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا  
مُحَمَّدٍ أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ.

السيد عامل صاحب الجلاله على إقليم تزنيت المحترم.

السيد رئيس المجلس البلدي المحترم.

السيد رئيس المجلس الإقليمي المحترم.

السيد رئيس مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي المحترم.

أستاذى الجليل قيدوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير المحترم.

السادة رؤساء المصالح المحترمين.

السادة أعضاء المجلس البلدي المحترمين.

السادة الأساتذة الأحتجاء المحترمين.

إنه لحدث عظيم، أن نلتقي اليوم بمدينة تزنيت السلطانية، وبقاعة الشيخ ماء العينين، لنحيي هذه التظاهرة الثقافية العلمية، التي ينظمها المجلس البلدي للمدينة، بتعاون مع مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، لتكريم أحد رموز الأدب والعلم والمقاومة في الصحراء المغربية وسوس العالمة، ماء العينين على بن الشيخ مربيه ربه بن شيخنا الشيخ ماء العينين، وهي تظاهرة تربط الماضي بالحاضر، وتعيد قراءة تاريخنا الوطني، الحافل بالبطولات والملامح والأمجاد، وتيرهن عن وفاء الأبناء للآباء، وحرصهم على مواصلة المسيرة العلمية والثقافية والجهادية والوحشوية، التي قادها أجدادنا في سوس والصحراء وباقى ربوع وطننا المغربي الموحد.

وتكمّن أهميتها في أنها تصادف حدثين أساسين هما: مولد المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أشرقت بطلعته البهية أرجاء الدنيا، وخرجت بهديه البشرية من ظلمات الجهل والضلال والفساد، إلى دنيا الإيمان والهدى والرشاد، واحتفالات الشعب المغربي بعيد الشباب المجيد، الذي يصادف هذه السنة الذكرى التاسعة والستين، ليلاً رائد البلاد ومفخرة العباد جلاله الملك الحسن الثاني دام له النصر والتأييد، محاطاً بالعز والتمكين والعمر المديد.

كما أنها تختلف عن طرق وعادات التكريم المتعارفة في مجتمعاتنا، ففقيندا اليوم يكرم من خلال موضوع عام هو: «سوس والصحراء المغربية: تواصل ثقافي وفكري»،

(\*) - نخل الفقيد.

وسيتحدث من خلاله عدد من السادة الأساتذة الجامعيين والباحثين المختصين، عن جوانب مهمة من تاريخهما النضالي والثقافي والأدبي المشترك، وستهدي تلك العروض لروح الفقيد الطاهر؛ لأنها خير ما يهدى له، وتتصبح مرجعا علميا أساسا، يستفيد منه كل باحث في تاريخ وثقافة وأدب الصحراء وسوس.

وقد عرف الفقيد بحرصه الشديد على ربط أواصر الوحدة الدائمة والوطنية الصادقة، بين الصحراء المغربية وشمال المغرب عاما، وسوس خاصة، من خلال ما يلي:  
أولا: وطنيته الخالصة، وتمسكه بالبيعة الشرعية لعاشر البلاد المفدى، وتعلقه بأهداب العرش العلوي المجيد.

ثانيا: جهاده ومقاومته للمستعمر الأجنبي، في الصحراء وسوس، الذي لم يقتصر على السلاح وحده، بل أرده بالخطب التحريرية الحماسية، والكتابة المتواصلة في مختلف الصحف والمجلات الوطنية، التي تبث الوعي، وتنمي الحس الوطني وروح المقاومة في قلوب المواطنين.

ثالثا: مشاركته الفعالة في صفوف جيش التحرير المغربي، الذي ساهم في تنشيطه وتنظيمه، فخاض المعارك كمعركة الدشيرة ولبلية وطريق الصدرة، وكتب المناشير، ورسم الخطط، ونفذ المقررات التحريرية، وحضر كثيرا من جوانبه الملحمية النضالية، الصحراوية، مع مختلف فيلقه وزعمائه وقواده.

رابعا: انشغاله بالعلم الذي سخر له شطرا كبيرا من حياته، تشهد على ذلك مكتبة الكبيرة التي تضم أعرق المخطوطات، وأنفس الوثائق، وإجازات العديد من فطاحل الأدب والعلم له في مختلف العلوم، نذكر منهم: الشيخ محمد الأغطف، والشيخ الطالب أبو بكر، والشيخ محمد الإمام، أبناء الشيخ ماء العينين. والشيخ سيدي محمد بن عبد العزيز، وماء العينين بن العتيق، والشيخ ماء العينين بن الشيخ حسن بن الشيخ ماء العينين، والشيخ المحفوظ بن الحضرامي، والشيخ الحبيب الصوابي، والطاهر الإفرانى، بالإضافة إلى إنتاجه الشعري في مختلف الأغراض الشعرية، وكتاباته التثورية، وتقاريفه، وتعليقاته، وحواشيه، ورسائله، وجموعاته المتنوعة، ومناظراته الفكرية والأدبية، التي ما تزال تتضرر من الدارسين والباحثين والمهتمين دراستها وتحقيقها وتحصيدها، وكشف ما تميز به من أصالة وغنى وتنوع، والتي ستساهم، لاشك، في إغناء ثقافتنا الوطنية.

خامسا: تزويده للباحثين والدارسين بما يحتاجونه من زاد معرفي وثقافي، كالمخطوطات والوثائق والرسائل، حيث استفاد منه عدد لا يحصى من هؤلاء، وتمكنوا من إنجاز أبحاثهم حول سوس والصحراء.

سادساً: امتلاكه لناصية الرواية الشفوية، وتوظيفها في خدمة البحث العلمي، فلم يكن -رحمه الله- يمتنع العلم أو يذخره في ذاكرته، ولكنّه كان يستغله في المنفعة والاستفادة والوحدة والنفاع عن الوطن، كما أنه كان لا يمل من البحث والمناقشة والمطالعة والدراسة، وإثارة القضايا العلمية والأدبية التي تحتاج إلى البحث والمناقشة مع المثقفين والأدباء والعلماء والفقهاء.

وهو في كلّ هذا يسير على نهج والده وجده العالم المجاهد الشيخ ماء العينين، الذي حرص طيلة حياته -رحمه الله- على ربط وشائع الوحدة بين شمال المغرب وجنوبه، وبين الصحراء وسوس، كما كان يكن لسوس تقديرًا كبيرًا، ومكانة سامية لا مثيل لها، لما يتميز به من علم وبيان، وصلاح وجهاد، ويكفي أن نذكر قوله المشهورة عندما نزل بتزنيت مهاجرًا إليها، من مدينة السمارة بالصحراء المغربية، وقد التفت إلى أبنائه وتلامذته ومربييه وأحبابه فقال لهم: «أرأيتم هذه الجبال، إنها لا تخلو من صالح الرجال»<sup>(1)</sup>.

وهذا ما يؤكد ماء العينين بن العتيق قائلاً: «وسمعت شيخنا الشيخ ماء العينين رضي الله عنه وأرضاه يثنى على أهل سوس بما تهواه الأفندة، وتشتاقه القلوب والنفوس، وتترzin بزريته المحابر والأقلام والطروس، وتزدهر بمحاسنه المجالس والتدارس. فهم أهل الفضل والإحسان، ومنبع الوفاء والعرفان، وموطن الإخلاص والأمان، ومعدن الصلاح والإيمان، وهم أرباب القرىض والبيان، وأصحاب المعانى والدرر الحسان، وفرسان الجهاد والإقدام والبنيان، فلا غرو إن صارت بذكرهم الركبان، ولهم مفاخرهم الفكر والجنان واللسان، في كل زمان ومكان»<sup>(2)</sup>.

وإننا إذ نختفي اليوم بالأديب والمقاومة والعالم ماء العينين على مربيه رب، فقد سوس والصحراء المغربية، فإننا نختفي بالمبادئ والأخلاق السامية، والمثل العالية الراقية، والقضايا العلمية الثقافية، والملامح الجهادية النضالية، والقيم الروحية والدينية والحضارية والإنسانية الكبرى التي عاشها وجسدها ومثلها ودافع عنها هذا الرجل الفذ العظيم، الجدير بكل احترام وتقدير وتكريم.

وفي النهاية لا يسعني إلا أنأشكر كل من ساهم في إنجاح هذه التظاهرة، وأخص بالذكر:

(1) - "تحلية الطروس، وتسليمة النفوس، في التعريف بأعلام الشعر في الصحراء وسوس"، ماء العينين بن العتيق، مخطوط خاص، ورقة: 12.

(2) - المرجع نفسه، ورقة: 13.

- السلطات المحلية وفي مقدمتها عامل صاحب الجلالة على إقليم تزنيت.
- السيد رئيس المجلس البلدي الأستاذ المحترم أحمد اديعز، الذي شجعها منذ عرضناها عليه، ودعمها مادياً ومعنوياً، وظل يرعاها ويوجهها إلى أن أكتملت ولبست حلتها التي نشهد لها اليوم.
- اللجنة الثقافية بالمجلس وفي مقدمتها نائب رئيس المجلس البلدي، الأستاذ المحترم أحمد بومزهبو.
- أعضاء المجلس البلدي جميعاً والعاملين به.
- مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإنعاش التراث والتبادل الثقافي.
- قياديون كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير الدكتور حسن بن حليمة، الذي دعم بدوره هذه التظاهرة، ونوه بها، وليس ذلك بغيري عليه، وهو المعروف بدعمه لأية تظاهرة ثقافية في الجهة الجنوبية من المملكة التابعة لكتليته، وحتى خارج هذه الجهة.
- نائب قياديون كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير الدكتور أحمد صابر.
- أساتذة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير بصفة عامة وبصفة خاصة أستاذة شعبة اللغة العربية وأدبها وشعبة التاريخ والجغرافيا.
- النائب الإقليمي لوزارة الشبيبة والرياضة.
- النائب الإقليمي لوزارة الثقافة.
- النائب الجهوي للمندوبيات السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.
- النائب الجهوي لوزارة السياحة على إقليم تزنيت - حموليم - طان طان - آسا

الراحت.

- صديقي وزميلي ورفيقي الأستاذ المحترم محمد ناجي بن عمر.
- الأساتذة الذين يخشوا عناء السفر، للمشاركة في هذه التظاهرة وإنجاحها، بعرضهم ومداخلاتهم ومناقشتهم وشهادتهم.
- أعيان مدينة تزنيت وفي مقدمتهم عائلة آل بيسا المحترمة.
- الحضور الكريم.

وإلى الجميع شكرنا وتقديرنا.

وأختتم كلمتي بالآية القرآنية الكريمة - التي تنطبق على فقيدنا رحمة الله، وجعل الجنة مثواه - وهي قوله تعالى: **فَهُمَّ الْمُؤْمِنُونَ رَحَّالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا يَدْلُلُوا تَبْدِيلًا**<sup>(1)</sup>. صدق الله العظيم، وصلى الله وسلم على نبينا ورسولنا محمد الكريم.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، مدامات تحرى من ربنا رحماته.

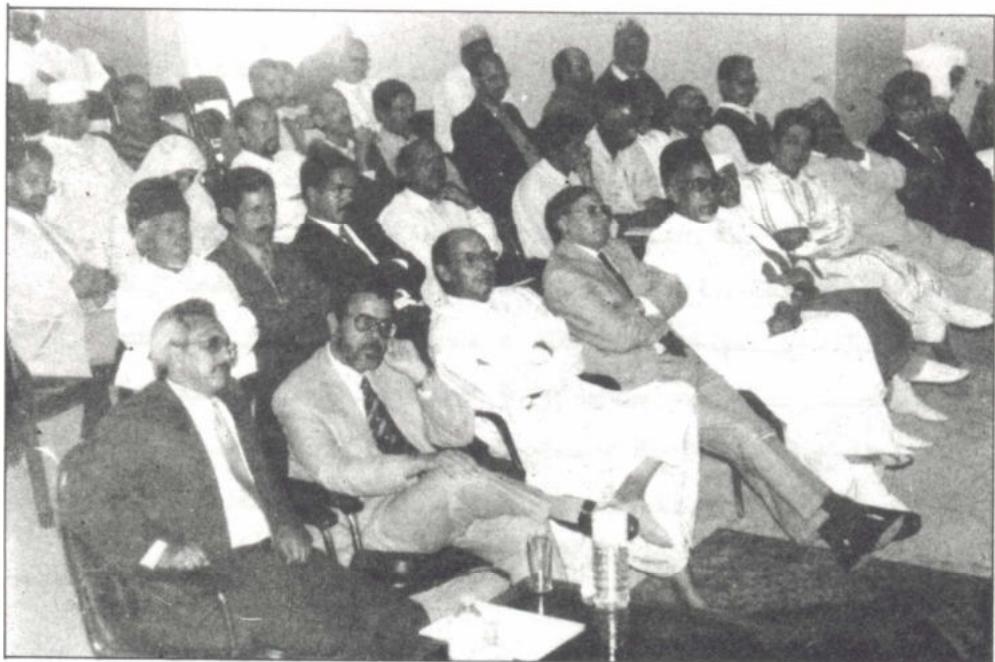
(1) - سورة الأحزاب، الآية: 23.

تلألأ الصماير والسجايا \* فأبدت كل ما انطوى من خفایا  
وباح ما يكتم كل قلب \* ففاض العشق وانكشفت خبایا  
وأومأت الحواجب في ابهاج \* مرحبة وأعربت الشایا  
وأقبلت المدينة في جبور \* وفي الأيدي الورود على الهدایا  
ورتللت البلابل في انتظام \* تراتيل التلاقي والتحایا  
تنسي ما تراكم من هموم \* وما أضنى النفوس من الرزایا  
فشاق القلب ما حمل المعانی \* على الترحيب، هاج به هوایا  
فقلت من الأحبة؟ قال شاد \* "كرام القوم طلائع الشایا  
أتونا في مواكب من قواف \* على الإيقاع يحدون المطایا"  
فقلت: لثلهم أهتز شوقا \* وأنقل مسرعا لهم خطایا  
فنقل الخطو للأحباب سعيا \* إلى الترحيب نحو للخطایا  
وهذا من فنون القول زاد \* أقدمه فيغنى عن قرایا  
وللأضیاف ما يرضي لهاهم \* يجود به مطوعة سوایا  
فأهلایا منيری كل قلب \* بأنغام تخفف من بلایا  
فهاتوا من عصیر القلب سحرا \* وسر الحرف مزمارا ونایا  
فذی تیزنيت تؤثر كل ضيف \* وللضیفان، ما مکثوا، حظایا  
فباقات النعانع في سفور \* تراود فارسا للحلم شایا  
فإن رفت إليه على بساط \* بديع النسج مصفوف الحشايا  
تزول بلبل الأشهاد سكرا \* برشفهما وتنتعش الخلايا  
ويتنظم المراج فلامضطرب \* يوسموس في العقول ولا الحوایا

(\*) - أستاذ باحث - تزنيت.

سنستيقظ متى شئت رحينا \* لذىذ الطعم نسميه الآتيا  
ألايا ما أحيل الكأس منه \* بنادي الشعر إن جادت سجايا  
فستبقى القرائحة للقوافي \* فعند الكأس، هن بها سخايا  
فتنهمر المشاعر في انسياط \* تصارع ما ينشاش من قضايا  
فما تزنيت والأرجاء طرراً \* سوى نادي الأجلة في الرعايا  
توثق فيه من زمن عهود \* وتصدر من عباقه الوصايا  
فكם من خالد كم من صلاح \* يقود إلى الوعى منه السرايا  
فيحطم كل طاغية غشوم \* ويغنم ما يشاء من السبايا  
أضاء هنا الهلال بلا أقول \* على رغم العتاة ذوي الدنايا  
بساطي "أهْل" قد بزغت شموس \* لها فضل على كل البرايا  
أحال شعاعها موج الشواطئ \* إلى سحب المكارم والعطايا  
فأجرت في البلاد معين نور \* ترقق فيه للمرضى الشفایا  
من الصحراء للحرماء بحر \* من الأنوار تخرره الخلايا  
تمد الوافدين على الشواطئ \* على قدر القوافل والقصايا  
وكم من زائر لاتولى \* يردد نلت من سوس هدايا  
ألم يلق ابن عباس عصاه \* بسوس مبنيا آيا فایا  
وقال أبو هريرة نلت من سو \* س ما يبغى الرواة من الحظايا  
وسدد في حزولة سبيویه \* لسان العرب من عوج الخطايا  
وكم من بحري كم حبيب \* يساحل في المعاهد والزوايا  
ويتلوا في ظلال اللوز سحرا \* وأرمان، الأصائل والغدايا  
وللجهفي كم خيل عتاق \* ترُوضُ في الغدائـا والعشـايا  
فينشد فوقها طورا وطورا \* يذيق بها العـادـا زرق المـنـايا  
وللطيرـي في القـممـ العـوـالـيـ \* أحـادـيثـ الزـمانـ علىـ الـبقـاياـ  
وإـيـاسـ بـعـدـلـ كـانـ يـقـضـيـ \* بـتـزـنيـتـ وـيـفـيـ فيـ الـقـضاـيـاـ  
لـذـاـ طـابـتـ لـاـ عـيـنـيـنـ مـأـوىـ \* فـصـانـتهاـ جـيـادـهـ وـالـصـفـاياـ  
فـظـلـتـ لـلـبـلـادـ منـارـ هـدـيـ \* إـلـىـ أـنـ دـالـ دـوـلـتـهـاـ الـبـلـايـاـ

كذاك ردانة محراب سوس \* ففيها كم خبايا في زوايا  
بها أملئ الخليل مع ابن بحر \* على صبيان سوس والصبايا  
تباروا في العلوم وكل بر \* بأباب صفت مثل المرايا  
وما كان الرجال به جديريه \* من فالنسوان هن به حرايا  
كفى العجائن غيض من كثير \* فما أحصي وقد كثرت مزايَا؟  
سلوا المختار كم ثمراً جناه \* فقدمه لمن نهموا هدايا  
فلم يغمض له جفن عقودا \* إلى أن لمْ بعضًا من شظايا  
أضاء بها السبيل إلى شباب \* طموح كي يحققوا كل غايا  
فذاك كم قرائي فإن كفاكم \* تطيب النفس ذلكم منايا



جانب من الحضور الكريم



المقدمة

## الحضور الثقافي لزاوية الشيخ ماء العينين بالجنوب المغربي

د. محمد الفطيف (\*)

\*\*\*\*\*

تسعى هذه المساهمة المتواضعة التي يشرفني أن أشارك بها في هذا اليوم الدراسي الذي تنظمه مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي لمدينة تزنيت، إلى إبراز الحضور الثقافي لزاوية الشيخ ماء العينين في الجنوب المغربي، والدور الذي قام به في إغناء الثقافة الوطنية.

فقد شكلت هذه الزاوية منذ تأسيسها في نهاية القرن التاسع عشر بالصحراء المغربية قلعة حصينة للعلم والمعرفة، بالإضافة إلى ما نهضت به من أنشطة اقتصادية واجتماعية وسياسية، وكان لتأسيسها بهذه الجهة من التراب المغربي دور كبير في النهوض بالجنوب المغربي بصفة خاصة، وتحديد المسار التاريخي للمغرب بصفة عامة.

فقد ظلت منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب -ومنذ انتشار الإسلام بالمغرب- حلقة وصل بين شمال إفريقيا وجنوبها، وبين شرقها وغربها، فكانت ممراً للقوافل التجارية المتوجهة نحو بلدان إفريقيا السوداء، ومهدًا للحركات الدينية والسياسية التي وجهت المسار التاريخي المغربي. فعبر منعرجاتها امتدت الخطوط التجارية التي تربط الشمال بالجنوب. وفي واحاتتها ترعرعت حركة عبد الله بن ياسين التي مهدت لقيام دولة المرابطين، وبحاجلها انتقم زيري بن عطية سنة 387هـ<sup>(1)</sup>، وعلى بن يدر<sup>(2)</sup>، وعلى بن محمد بودميمة في القرن السابع عشر<sup>(3)</sup>، وغيرهم من الدعاة والمصلحين. فكان من الطبيعي أن تتأثر بهذه الحركة الدائمة التي تعرفها وتتعكس على آثار الوضع العام فيما تتوسطه من أقاليم في الشمال والجنوب.

(\*) - أستاذ جامعي - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الخمسية.

(1) - "الساقية الحمراء ووادي الذهب"، محمد الغربي، ص: 200، دار الكتاب، الدار البيضاء.

(2) - نفسه، ص: 206.

(3) - "الوسيل في تراجم أدباء شنقيط"، أحمد بن الأمين الشنقيطي، ص: 437، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية 1911.

ورغم الدور الهام الذي كانت تؤديه هذه المنطقة في تاريخها الطويل في الربط بين شمال إفريقيا وجنوبها، فقد خلت مجرد قناة صحراوية، لا أثر فيها للتمدن الذي كانت تعرفه باقي الأقاليم المغربية في الجنوب والشمال، مثل شنقيط وولاتة ورودانة ومراكس وفاس وغيرها من المراكز الحضارية، بقوتها مختلف القبائل الصحراوية في السلم والحرب، وتختلقها أسراب القوافل التجارية المتوجهة نحو الجنوب أو العائدة إلى الشمال، إلى أن استقر بها الشيخ ماء العينين، وأسس بها حاضرة السمارة، فتحولت الحياة فيها من فوضى واضطراب إلى استقرار وتألف وتعاون بين القبائل. وهذا ما تقرره كتب التاريخ التي تعرضت للحديث عنها؛ يقول أحمد بن الأمين الشنقيطي:

«وكانت الساقية الحمراء خالية لا أنيس بها لشدة الخوف، ولتجولتها دائماً حتى عمرها الشيخ ماء العينين... وهي في الأصل للرقيبات.. والعلم فيهم قليل»<sup>(1)</sup>. فقد كانت هذه المنطقة حسب شهادة الشنقيطي قبل استقرار الشيخ ماء العينين بها منطقة خوف وخلاء وجهل وظلام، فلما أقام بها زاويته تحولت إلى مركز حضاري ينشر الأمان والاستقرار والتراحم بين القبائل الصحراوية، ويُثْرَك العلم والمعرفة داخل مجاهل الصحراء وخارجها.

وقد تمكّن الشيخ ماء العينين من تحقيق ذلك كلّه بفضل احترام ملوك الدولة العلوية له، واستخلاصهم له في تدبير شؤون الصحراء، وتقدير القبائل الصحراوية له، لما كان يملّكه من رصيد علمي شامل، وثقافة موسوعية عميقة، بالإضافة إلى شرفه ونبله، وما كان يتمتع به من ورع وقوى وゾهد.

وكان -رحمه الله- يعي أهمية العلم، ويدرك قيمته وخطورته في قيام الأمم وسقوطها، ودوره في رفعها وحفظها، فبني زاويته على التربية والتهذيب، وأقامها على صقل النفوس، وشحذ العقول، فتمكن عن طريق ما وفره لها من أساتذة وعلماء، وما أقامه من مدارس وخزانات، من خلق نهضة ثقافية كبرى داخل الصحراء وخارجها، وإحياء ما عرفته في سالف عهودها من نشاط علمي وأدبي. فاستقطبت العلماء والأدباء من سائر الأقاليم المغربية، وقصدتها الطلبة والمربيون من مختلف الأفاق، فصارت مركزاً بارزاً من مراكز الثقافة الإسلامية في شمال إفريقيا، واستعادت دورها التاريخي في الربط بين شمال المغرب وجنوبه.

(1) - "الوسط في ترجم أدباء شنقيط"، أحمد بن الأمين الشنقيطي، ص: 437، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، السنة 1911.

وقد تعرض معظم المؤرخين الذين عاصروا هذه الزاوية أو تبعوا أخبارها إلى هذا الجانب الهام من أنشطتها، غير أنهم لم يتجاوزوا في ذلك استعراض عنوانين بعض الكتب التي تحفل بها خزائنهما، وبعض الأعلام الذين بروزا فيها، وبعض التلاميذ والطلبة الذين شدوا الرحال إليها من شمال المغرب وجنبه، وتلمنوا على شيوخها أو طلبوا إجازاتهم، مثل السلطان مولاي عبد الحفيظ، والوزير أحمد بن موسى، وال حاجب الملكي إدريس بن يعيش، والعلامة الطاهر الإفراقي، والعربى الصوابي، ومحمد الجرسيفي، وعبد السلام القلعي الريفي، وال حاج عبد الرحمن الوجدي، وابن مايابا الحكى، ومحمد سالم المجلسى، والضوء السباعي البقارى، وابن عمہ الدرباکى، والتهامى المكتاسى، وعلال الحمرى، وغيرهم. ولم يقدموا بيانات حقيقة عن طبيعة ثقافتها، وما تميز به من خصوصيات، وهذا أمر يصعب تحقیقه.

ويرتکر الرصید الثقافی لهذه الزاوية على رکین اساسین:

- **الرکن الأول يقوم على التربية والتدریس:** فقد كان الشيخ ماء العینین يدرك أهمية التربية والتعليم، ودورهما في صقل القلوب وشحذ العقول، فأسس زاويته على التربية والتعليم، ووفر فيها ما يحتاجه الطلبة والمریدون من محاضر ومدارس وأساتذة وزاد. وجعل نفسه في مقدمة المریین، فكانت محضرته قبل أن يستقر بالسمارة وتنیست فيما بعد مدرسة متنقلة تنشر العلم والمعرفة<sup>(1)</sup>.

وكان يشرع في إنجاز برنامجه التربوي - كما ذكره غير واحد من الذين تحدثوا عن سيرته، مثل الشيخ مرییه ربه، والشيخ محمد تقی الله، وماء العینین بن العتیق - منذ طلوع الفجر، وبعد أن « يصلی صلاة الصبح بالناس، ينحرف قليلاً عن مصلاه، ويقبل على تسبيحه وتقديسه وتهليله، وسائر ما أراد من أوراده قريباً من ساعة. ثم يقرأ الحزب حتى تطلع الشمس، فيصلی الضحى. ويحل بعد ذلك ما شاء الله من أوراده، ثم يرد وجهه نحو الجماعة. فيأخذ رضي الله عنه في تعليمهم على اختلاف طبقاتهم، فمنهم من يتعلم منه التفسير والحديث والأصول، ومنهم من يتعلم التصوف والحكم إلى غير ذلك من سائر العلوم النافعة»<sup>(2)</sup>.

وعندما ينتهي من تعليم المریدین والتلاميذ المقيمين بزاویته، ينتقل إلى بيته

(1) - "سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العینین"، ماء العینین بن العتیق، الورقة: 85، المزانة العامة

تحت رقم: 84.

(2) - نفسه، الورقة: 41-42.

«فيشتغل بتعليم أولاده ذكورا وإناثا، كما يعلم التلاميذ في المسجد»<sup>(1)</sup>. وكان لا يترك التعليم إلا في أيام الأعياد ويوم الخميس<sup>(2)</sup>.

ويكون البرنامج التعليمي المعين من مواد متنوعة تستجيب لاهتمامات سائر الطلاب، وتراعي مستويات جميع التلاميذ، ويتيح هذا البرنامج بتلقين الطفل مجموعة من الآيات القرآنية التي تكتب له خط أول غير واضح، فيعيد رسم خطوطها، ثم يرددتها خلف الفقيه إلى أن تترسخ في ذهنه. وهذه الطريقة وإن كان هدفها هو تحصيل المادة القرآنية، فإنها تساعد الطفل في الوقت نفسه على معرفة القراءة والكتابة. و«بتقدير الطفل في استظهار القرآن وعند وصوله الغاية في ذلك، يلعن جملة من المتون»<sup>(3)</sup> التي تغنى معرفته العامة، ثم تشرح له شرحًا وافيا يمكنه من التعرف على قضاياها الأساسية. وخلال هذه المرحلة الابتدائية تقدم له «جملة من النصوص والمحفوظات التي ترسخ في ذهنه ما يجب أن يكون على علم به من بديهيات الدين والערבية. وعندما يستسم هذه المعرفة الأولية، يتعمق في الدراسات الدينية والأدبية العميقية التي يتخرج منها العلماء والفقهاء الإسلاميون»<sup>(4)</sup>.

وهذا البرنامج التعليمي الذي تنهجه المدرسة المعينة في التكوين لا يختلف عما تقدمه المدارس المغربية في الشمال والجنوب، فجعل المدارس التقليدية في المغرب تتبع طريقة التلقين والحفظ في برامجها التربوية، وتنهج هذه السيرة الدراسية التي يسلكها التلميذ في المدرسة المعينة، بل إن بعض علماء الصحراء ومدرسة السمارة بصفة خاصة كانوا يستغلون بالتدريس في بعض المدارس التقليدية في الشمال، كالشيخ النعمان والشيخ مربيه ربه و محمد بابا الصحراوي و محمد سالم الصحراوي و ماء العينين بن العتيق و محمد بن أبوة وغيرهم.

فقد كان محمد الشنقيطي يدرس "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك" بالرباط بمسجد عطية<sup>(5)</sup>. وكان كل من محمد ابن أبوة و ماء العينين بن العتيق يدرسان المنطق

(1) - "سحر البيان في شمال شيفنا الشيخ ماء العينين"، ماء العينين بن العتيق، الورقة: 42.

(2) - نفسه، ص: 46.

(3) - "التدخل الثقافي بين المغرب وصحرائه"، المهدى البرحالى، مجلة الوحدة، ص: 45، العدد: 14، السنة 1968.

(4) - نفسه، ص: 45.

(5) - "من أعلام الفكر المعاصر بالعلوتين الرباط وسلا"، عبد الله الجرارى: 1/196، الطبعة الأولى، الرباط 1971.

والبيان وبقى العلوم العربية بكلية ابن يوسف بمراكش، بينما كان محمد المأمون بن محمد فاضل بن عبيدي يدرس الفقه بالمسجد الجامع بتازة، بعد أن استكمل بدوره دراسته بجامع القرويين بفاس.

ولعل هذا التواصل الثقافي بين شمال المغرب وجنوبه، مظهر واضح من مظاهر الوحدة بين سائر الأقاليم المغربية.

ورغم النوايا التي أصابت زاوية الشيخ ماء العينين بعد الهجوم الفرنسي على السمارة، وما تلا ذلك من تفرق، فقد ظلت المدرسة المعينة وفيه للأهداف التربوية التي حدتها في انتلاقتها، فضللت بيوت أبناء الشيخ ماء العينين ومساجد القرى والمدن التي استقرروا بها مدارس حافلة بالعلم والمعرفة، يحج إليها الطلاب والتلاميذ من كل مكان<sup>(1)</sup>، ولا يزال أحفاد الشيخ ماء العينين إلى اليوم يتلقون تربية مدرسة جدهم في بيوت آبائهم إلى جانب ما يأخذونه من علوم عصرية في المدارس الحديثة.

وقد استقطبت المدرسة المعينة ببرامجها الحافلة بأنواع العلوم والفنون عدداً كبيراً من التلاميذ داخل الصحراء وخارجها<sup>(2)</sup>، كما تخرج منها عدد من العلماء الذين ساهموا بنصيب وافر في إغناء الثقافة المغربية. وتحتفظ الخزائن المغربية بوثائق هامة تؤكد هذه الحقيقة، من إجازات وفوائد ورسائل تربوية، نذكر منها على سبيل المثال إجازة الشيخ ماء العينين للسلطان مولاي عبد الحفيظ العلوي في استعمال ما يشاء من تاليفه وأسراره، وإجازاته لباشا سلا محمد بن الطيب الصبيحي، وإجازاته إلى مقدم زاويته بوجدة الحاج عبد الرحمن الودجي، وفوائده للوزير أحمد بن موسى في كثير من القضايا الدينية والدنيوية، وإجازة الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين للجرسيفي، وإجازة ماء العينين بن العتيق لعدد كبير من رجال الفكر والأدب مثل عبد الوهاب بن منصور والصبيحي وابن موسى وغيرهم.

- **الركن الثقافي وهو التأليف:** ولا يقل شأننا عن الركن الأول في غناه وعمقه وشموليته وأبعاده الوحدوية، فقد كان الشيخ ماء العينين شديد التعلق بالكتب والتهام على قراءتها<sup>(3)</sup>، والبحث عنها في أقصى المناطق، وكان يخصص للتأليف جرعاً مهماً من وقته، فبعد أن ينتهي من تعليم مرديه «يأتي إلى بيته الذي أعده لوضع الكتب، وفيه ما

(1) - "الساقة الحمراء ووادي الذهب"، محمد الغربي، ص: 359.

(2) - نفسه، ص: 359.

(3) - "سحر البيان"، ماء العينين بن العتيق، الورقة: 42.

ينيف على المائة من الصناديق المملوءة كثبا في كل فن، فتارة يكون خيمة تسمى خيمة الكتب، أو يكون دارا تسمى دار الكتب، وليس فيه أحد من زوجاته، بل فيه أحظى سراريه عنده وأحجهن إليه، وهي القائمة بأمر ذلك البيت، ثم يستغل بالتأليف، فيؤلف ما شاء الله من نظم ونثر، وكأنه يعملي ذلك من صدره»<sup>(1)</sup>.

ورغم المشاغل الكبرى التي كانت تماماً معظم وقته، فقد خلف من المؤلفات ما يثير الدهشة. ويختلف الدارسون في تقدير عدد مؤلفاته، فقد أورد الشيخ مربيه ربه منها مائة وثلاثة وثلاثين مؤلفاً<sup>(2)</sup>، بينما ذكر ابن العتيق منها مائة وثلاثة وخمسين<sup>(3)</sup>. أما باقي الدارسين، فيتجاوزون هذا العدد بكثير، فقد حدده كارو باروخا في ثلاثة وأربعة عشر كتاباً<sup>(4)</sup>، وكذلك أوديت دوبيكودو<sup>(5)</sup>، أما علي الشامي، فقد ذكر نقاً عن حموديو أوتيليو أن هذا العدد يصل إلى ثلاثة عشر وأربعين مائة كتاب في الدين والفقه والأخلاق والسياسة<sup>(6)</sup>.

ولعل هذا الاختلاف في تحديد عدد هذه المؤلفات يعود بالأساس إلى ما أصاب الخزانة المعنية من محن بعد الهجوم الفرنسي على السمارة، وإحراق ونهب ذخائرها العلمية والأدبية. كما أن خلط بعض الدارسين بين ما هو تأليف رصين وبخت أصيل، وبين ما هو نظم مختصر وتعليق موجز، جعلهم يعتبرون منظومات الشيخ ماء العينين وأوراده وإجازاته وأحاجيبه أعمالاً رصينة ومؤلفات ثابتة.

وقد أحاطت هذه المؤلفات بمختلف مجالات التأليف العربي الكلاسيكي، وأكثرها طبع بالمطبعة الحجرية بفاس تحت رعاية ملوك الدولة العلوية وتحت إشراف مجموعة من علماء فاس والصحراء، مثل عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، والملاحي، وأحمد بن الشمس وغيرهم، ومنها ما طبع بالمطبعة المصرية<sup>(7)</sup>.

وقد حاول كل من الشيخ مربيه ربه وابن العتيق تصنيف هذه المؤلفات وتحديد

(1) - "سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين"، ماء العينين بن العتيق، الورقة: 42.

(2) - "قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين"، الشيخ مربيه ربه، الورقة: 65، الخزانة العامة تحت رقم: 95.

(3) - "سحر البيان"، من الورقة 24 إلى الورقة: 30.

(4) - "ماء العينين القلقمي"، برادفور، مجلة الأفارقة، العدد: 12، ص: 183.

(5) - "الماضي المغربي لموريانيا"، أوديت دوبيكودو، ص: 94، الرباط 1962.

(6) - "الصحراء الغربية عقدة التجزئة في المغرب العربي"، علي الشامي، ص: 108، دار الكلمة للنشر 1980.

(7) - "سحر البيان"، الورقة: 24.

مجالاتها، فقسمها إلى خمسة أصناف وهي:

- أولاً: الأصول والفقه.
- ثانياً: النحو والتصريف والعربية والبيان والعروض.
- ثالثاً: التصوف.
- رابعاً: علم الحساب.
- خامساً: الأسرار والأدعية.

ورغم ما يطبع هذا التصنيف من تعميم، فإنه يعبر عن شمولية التأليف عند الشيخ ماء العينين، وتغطيته لسائر مجالات المعرفة، وتلبيته لسائر الحاجات الروحية والفكرية. وقد اقتدى أبناءه وأحفاده وبعض مريديه بشيخهم في هذا المجال وغيره، فكانوا في أغلبهم من أصحاب النفس الطويل في البحث والتأليف، وتأتي في مقدمتهم مجموعة من الأسماء نذكر منها: الشيخ مربيه ربه، والشيخ أحمد الهيبة، والشيخ محمد تقى الله، والشيخ النعمة، والشيخ محمد الإمام، والشيخ شبيهن، والشيخ الطالب اختيار، والشيخ الجيه، والشيخ أحمد بن الشمس، وماء العينين بن العتيق.

فقد كان هؤلاء وغيرهم من العلماء المشاركون الذين ساهموا في إثراء الخزانة المغربية وإغنائها، غير أنهم لم يصلوا في ذلك إلى شأو الشیخ ماء العینین، ولم يدركوا مقامه، وذلك لاختلاف ظروفهم عن ظروفه، وعدم توافر له من إمكانات، فإذا كان الشيخ ماء العینین قد أله «الكثير من كتبه في أول زمانه وريعان شبابه أيام جولانه»<sup>(1)</sup> بين القبائل الصحراوية قبيل تفجر الأزمة المغربية، وأتاحت له ظروف المدحود السياسي نسبياً خلال هذه الفترة طبع جل كتبه بالطبعة الحجرية، فإن الفظروف التي عاشها أبناءه لم توفر لهم كل هذه الإمكانيات، فقد قضوا معظم حياتهم في قلق مستمر وتوتر دائم، ففضلت مؤلفاتهم رهينة الصناديق، حبيسة الرفوف، تتلفها الأرضة، وتغرقها نيران المستعمر، وتتناهبها أيدي الغزاة.

ورغم كل ذلك، حافظ الأحفاد على هذا الرصيد، وعملوا على صيانته، ولم يتغافلوا في إعادة ترميمه والمحافظة على استمرارته، فقلما تجد بيتاً من البيوتات المعنية لا تخربه الغيرة على التراث المعيني والافتخار به والسعى إلى جمعه وصيانته، وقلما تجد واحداً من أسرة الشيخ ماء العينين لا يشده الحنين إلى ماضي السمارة العلمي وبجلها

(1) - «قرة العينين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين، الشيخ مربيه ربه، الورقة: 95.

التاريخي ولا يحفظ بائمه الشيخ محمد الإمام الطويلة التي يقول في بعض أبياتها<sup>(1)</sup>:

ألا حيهل بالقوم مربعهم خصب \* لمن أمهم والبيت منفسع رحب  
إذا نزلوا محلاً تروض حذبه \* وتدنو إلى الحانى الفواكه والأب  
وتهتز أكناف البسيطة تحتهم \* فيثري الشرى نيتاً ويخلط العشب  
ألوئك آل الجيه أكرم عشر \* من آل رسول الله يمه ركب

ولا تجد واحداً منهم لا ينشد بعراة قول الشيخ مربيه ربه<sup>(2)</sup>:

هذا السمارة لا حي ولا ملأ \* بها ولا فرح بها ولا طرب  
ولا بها حلق الذكر العظيم ولا \* علم تدارسه قوم ولا أدب  
هذا تضلع من شرع العلوم وذا \* من الحقيقة كالمخروق يلتهب  
حيران ولهان من خمر المعارف لم \* تسمع له غير ذكر الله يضطرب  
دار بوفق المنى كانت معمرة \* هناك تكتنفها الأستار والمحجب

إنها غيره متصلة في أعماق هذه الأسرة، وجبلة راسخة في تاريخها لا يزددها الدهر إلا عمقاً وأصالة.

وما هذا الرجل الذي نلتقي اليوم لاحياء الذكرى الأولى لرحيله إلا واحد من هذه الطينة، وفرعا طيبا من تلك الشجرة الأصيلة، فمنذ أن تشرفت بمعرفيته في بداية سنوات الثمانين في بيته بمدينة طان طان وأنا أهمي رسالتي لدبلوم الدراسات العليا تحت عنوان: "الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين"، وأطروحتي لنيل الدكتوراه في موضوع: "الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء"، وهو يعمل بجد واجتهد ونكران ذات على جمع ما ضاع من ذخائر الخزانة المعينة، واستنساخها وإعادة كتابتها، وتزويد الباحثين بما توافر من نسخها، فجمع منها ذخيرة هامة قلما تجدها في خزانة خاصة، مثل مؤلفات الشيخ ماء العينين، ومؤلفات الشيخ مربيه ربه وخطبه ورسائله وكتابه الضخم "قرة العينين"، ورحلة ماء العينين بن العتيق، والكثير من قصائد شعراء السمارة كالشيخ مربيه ربه، وماء العينين بن العتيق، والشيخ أحمد الهيبة، والشيخ محمد الإمام، والشيخ الجيبي، والشيخ محمد تقى الله، ويحجب، وعبد السلام بن الشيخ مفتاح، وسداتي بن

(1) - "المسئول"، المختار السوسي: 4/302، مطبعة فضالة، المغرب.

(2) - "جوانب وحدوية من ثقافة الصحراء المغربية"، ص: 51، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى 1997.

الشيخ أحمد الهيبة، وغيرهم.

ولم ينحصر عمله في جمع التراث المعيني، ولكنه ساهم في إغنائه بما صنعه من مجموعات شعرية، وبما حرره من فوائد ورسائل وكتابات سعدت كثيراً بتلقيها من أخواته، ولا أزال أحفظ بها في خزانتي المتواضعة بخطه رحمه الله.

وقد زان كل ذلك أخلاق عالية في التعامل مع الطلبة والباحثين، وتواضع أصيل، وكرم أثيل، فلم يكن -رحمه الله- يدخل على أحد بما عنده من ذخائر علمية، ولم يكن يقصر في الإكرام والمساعدة، لذلك لا يسعني في نهاية هذه الكلمة إلا أن أنوه بعاصميته، وأعتبر ما بذله من جهد في جمع التراث المعيني مساهمة فعالة في بناء ثقافتنا الوطنية، تستوجب الشكر والتقدير، وأدعوه الله تعالى أن يجازيه عنا خيراً، ويكلأه برحمته وعنائه، وأن يفسح جنانه.

هذه بعض الإشارات حول مساهمة الزاوية المعينية في إغناء ثقافتنا الوطنية، ولا يسعني في النهاية إلا أن أجدد الشكر إلى مؤسسة الشيخ مربيه ربه لاحياء التراث والتبادل الثقافي، والمجلس البلدي لحاضرة تزنيت، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، وعلى رأسها سعادة قيدها الدكتور حسن بن حليمة الذي أشاد أخواننا مربيه ربه بغيرته الوطنية، وعمله على الحفري في ذاكرتنا الثقافية، مما يؤكّد وحدتنا التربوية، وإن كانت هذه الوحدة لا تحتاج إلى تأكيد، وأعتبر مبادرة المؤسستين وجميع الفعاليات المشاركة في هذا اليوم عملاً وحدوياً، وسلوكاً حضارياً متميزاً، يتوج ما عاشته سوس والصحراء من تواصل ثقافي واجتماعي. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

## **جعاد الشيّوخ مربّيه ربّه والقبائل السوسية من خلال وثائق محلية**

- ماء العينين النعمة على (\*)

- أحمد بومزقو (\*\*)



صورة المُحَاجِد الشيّوخ مربّيه ربّه  
التاريخية مستفيضة، وحتى المصادر والمراجع التي رجعنا إليها لا تحتوي إلا على مؤشرات قليلة ومحضرة جداً عن حركة الجهادية بالمقارنة مع ما كتب عن باقي رموز المقاومة الوطنية المغربية.

غير أن السمة الإيجابية لشخصية الشيّوخ مربّيه ربّه هي حرصه على تدوين أفكاره وأرائه ونشاطه الجهادي في كتابات تعتبر مرآة صادقة عن تحركاته وانشغالاته وظروف

### **تقديم:**

يعتبر الشيّوخ مربّيه ربّه بن الشيّوخ ماء العينين أحد أبرز رموز المقاومة والجهاد ضد الاحتلال الفرنسي بالجنوب المغربي، كما تعتبر حركة الجهادية استمراً لحركة أخيه الشيّوخ أحمد الهيبة ووالده الشيّوخ ماء العينين مع متغيرات جديدة، جعلت حياته مليئة بالتحدي المستمر للاستعمار منذ سنة 1912.

وبخدر الإشارة إلى أن هذه الشخصية الوطنية لم تحظ بدراسات

(\*) - أستاذ باحث - تزنيت.  
(\*\*) - أستاذ باحث - تزنيت.

جهاده، لذا، فإن أي بحث عن جهاده بصفة عامة يجب أن ينطلق من تراثه الفكري والأدبي نفسه.

وتمثل سنة 1934 حدثاً بارزاً في جهاد الشيخ، ويبدو أن الأمر يعود إلى اعتبارين أساسيين:

- أولهما: ينطلق من الفترة المتميزة التي تمر منها علاقة القبائل بالمستعمر، وما تجع عن تلك الوضعية من أحداث ووقائع بين الطرفين.

- وثانيهما: قرار الشيخ مربيه ربه الخروج من كردوس نحو طفافية.

وفي هذا الإطار، تعتبر يومياته لسنة 1934<sup>(1)</sup> أهم ما وصلنا عن خروجه من كردوس نحو طفافية. ولعل ما دفعنا إلى اختيارها كونها تعبر عن موقفه تجاه الأحداث الطارئة في المنطقة إبان احتلال فنسا النهائي لجبال الأطلس. لهذا سينصب اهتمامنا في هذه الدراسة على توضيح الانشغالات التي شغلت اهتمامه، ومن ثم استجلاء القضايا التي تتضمنها.

إلا أنها نشير إلى أن آية محاولة لفهم واستيعاب المضامين الواردة في اليوميات لا يمكن أن يعزل عن إطار تاريخي شامل، وهو طرفية انشاق حركة الشيخ مربيه ربه منذ سنة 1912 إلى حدود سنة 1934.

#### ١- ظروف نشأة حركة الشيخ مربيه وبه:

##### (١) علاقة الشيخ مربيه ربه بالقبائل:

إذا كانت حركة الشيخ أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين في حقيقتها تمثل رد الفعل الشعبي ضد الاحتلال الأجنبي، فإن دور أخيه الشيخ مربيه ربه -في إطارها- يعتبر ريدانياً في تأثيرها، حيث اضطلع بالأدوار الطلائعية في تهيئة القبائل وتوجيهها وتنشيط الحميمية الجهادية ضد المستعمر<sup>(2)</sup>.

وعلى الرغم من توافر جميع الشروط لنجاح الحركة الجهادية بعد مقتل حيدة بن

(١) - ترتكز هذه الدراسة على فقرات من يوميات خروجه من كردوس يوم الأحد 17 ذي القعده عام 1352هـ، وهذه الفقرات لا تشكل إلا جزءاً من رحلته نحو طفافية. (توجد نسختها الأصلية في خزانة الأستاذ المحترم ماء العينين محمد فاضل بن الشيخ حسن بن الشيخ مربيه ربه بالعيون، وهي مخطوطه). ونشير إلى أن مثل هذه اليوميات والمذكرات تشكل مصدراً لا غنى عنه لأي باحث في تاريخ المقاومة الوطنية المغربية، وما يزيد أهميتها كونها تقربنا من نظرية موقف أحد المساهمين مباشرة في عمليات مقاومة الوجود الأجنبي.

(٢) - محمد المحhtar السوسي، "المعسول": 120/4-148-247.

مايس في معركة "إيطالفن" سنة 1917<sup>(1)</sup>، فإن الشيخ أحمد الهيبة لم يستغل بما فيه الكفاية تلك الظروف المواتية<sup>(2)</sup> لعدة أسباب منها:

- غياب الانسجام الكافي بين القبائل.

- كون بعض الأطراف المساهمة في الحركة تخضع لصالح وقته اقتضتها ظروف الجماعة الجهادية التي انتابت المنطقة بعد سنة 1912<sup>(3)</sup>.

ومباشرة بعد وفاة الشيخ أحمد الهيبة سنة 1919 سارعت القبائل إلى اختيار أخيه الشيخ مربيه ربه<sup>(4)</sup>، لأن شروط الزعامة في تلك الظروف الصعبة متوفرة في شخصه، منها:

• حضوره الفعلي في مسرح الأحداث منذ عهد والده الشيخ ماء العينين وأخيه الشيخ أحمد الهيبة في الصحراء المغربية وسوس والحوز، مما أكسبه تجربة كبيرة جعلت شخصيته تتصف - كما قال المختار السوسي - بالحنكة والدهاء السياسي والشجاعة في قيادة الجيوش المجاهدة<sup>(5)</sup>.

• انتقامه الأسروي (أهل الشيخ ماء العينين) جعله في مأمن من الاعتبارات القبلية الضيقة التي كانت تتناب العلاقات بين القبائل السوسية<sup>(6)</sup>.

• مكانه العلمية جعله يستمد قوته من الحقل الرمزي الدين للتأثير على المجاهدين<sup>(7)</sup>.

• طبيعة شخصيته المتميزة بالقدرة الخارقة في التأثير على القبائل وتنظيمها، جعلها

Dugard (H.): La colonne du Sous 1917, Paris 1918.

- (1)

- محمد الإحراري، "روضة الأنفان في وفيات الأعيان"، تحقيق: حمدي أنوش، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أحادير، ص: 100، الطبعة الأولى 1998.

Dugard (H.), Op. cit.

- (2)

- محمد الإحراري، مصدر سابق، ص: 98.

- توفر على نسخة خطية من الاتفاق: (نسخة خاصة) مؤرخ بتاريخ يوم الأحد 6 شوال 1337هـ.

- "المسؤول": 4/247.

Justinard (L.): Notes sur l'histoire du Sous au XVI Siecle.

- (6)

in: Archives Marocaines, Vol.: XXIX - 1933.

(7) - لقد برهن الشيخ مربيه ربه عن وعي متكامل من خلال افتناعه بأهمية الواقع الديني والقوى السلوكية كمقومات أساسية في أي عمل جهادي. وكما سبق أن أبرزنا في مقالات سابقة، نشير إلى غزارة مؤلفاته في موضوع الجهاد، وهي مؤلفات تترجم ما راكمه من تجارب خلال مسيرته الجهادية، كما تعكس المرجعية الشرعية التي توطّر حركته. انظر مقالتنا في صحيفة العلم: "الشيخ مربيه ربه: العالم المجاهد".

معطيات عن مقاومته المسلحة ضد الاستعمار ودعوته الجهادية في مواجهة الصليبية

- العدد: 16660 الجمعة 15 رجب 1416 الموافق 8 دجنبر 1995.

- العدد: 16667 الجمعة 22 رجب 1416 الموافق 15 دجنبر 1995.

تعبره زعيمها وترشحه قائدا للجهاد.

وعلى الرغم من أنه يعتبر حركة الجهادية استمراً لجهاد أخيه الشيخ أحمد الهيبة، إلا أنه كان على وعي بالمتغيرات الطارئة على الوضع العسكري والضعف الذي يتحلّل العلاقات القبلية. لذا ستحاول تحديد طبيعة العلاقات التي ربطها مع القبائل، خاصة تلك الخبيثة بكردوس من حيث التنظيم والاستعداد وفضّ التزاعات.

أ- التنظيم: لقد اقتنع الشيخ مربيه ربه بأن تنظيم القبائل، والشهر على تموين جميع تحركات المجاهدين، تعدّ أ عملاً ضروريّاً لضمان استمرار العمل الجهادي، واستقطاب القبائل الجبلية غير الخاضعة للاحتلال. وتمدنا الرسائل التي كان يرسلها لأعيان القبائل بأمثلة عن طبيعة التموين الذي كانت تخوضى به حركة<sup>(1)</sup>، وذلك في إطار التزود بمزيد من وسائل العمل والمعونة الازمة (الأعشار والزكوات والأموال)، وكان يبحث مخاطبيه غير ما مرة بضرورة دعم حركة ودفع التزاماتها من الحبوب والمؤونة وغيرها. وقد كانت القبائل ترسل مساعيّاتها عبر ممثلين عنها، وهم أشخاص لهم اطلاع واسع بأحوال المنطقة، وعملوا بإخلاص في حركة (مثل خليفته بمنطقة آيت باعمران سيدى عثمان بن حسن)<sup>(2)</sup>.

ب- الاستعداد: تبين الرسائل مدى نجاح الشيخ في التأثير على القبائل، حيث خلقت حركة حماساً متاجحاً لديها لمواجهة العدو المحتل وعملاًه بالمنطقة<sup>(3)</sup>. كما عمل على ردع القبائل المتعاملة معه، وحضرها من الدخول في اتصالات مباشرة به<sup>(4)</sup>. فخلال المدة التي قضتها مجاهداً داخل جبال الأطلس الصغير كثف من تنقلاته صحبة نخبة من أعيان القبائل وعلمائها<sup>(5)</sup>، أمثال: القائد المدني الأخصاصي، والقائد سعيد العقيلي،

(1) - رسالة الشيخ مربيه ربه إلى أهل آملن يوم 19 ذي القعدة 1349هـ.

رسالته إلى عمر الإيلاني يوم 22 جمادى الثاني 1341هـ.

رسالته إلى قبيلة آيت الخمس يوم 4 عمر 1334هـ.

رسالته إلى أمغار سعيد يوم 2 جمادى الأولى 1351هـ.

(2) - رسائل الشيخ مربيه ربه إلى خليفته سيدى عثمان بن حسن:

- بتاريخ 28 ذي الحجة 1346هـ.

- بتاريخ 4 ذي الحجة 1342هـ.

(3) - رسالة الشيخ مربيه ربه إلى عمر الإيلاني بتاريخ 22 جمادى الثانية 1341هـ.

(4) - رسالة الشيخ مربيه ربه إلى قبيلة آيت عثمان بتاريخ 7 ربيع النبوى 1350هـ.

رسالته إلى عمر الإيلاني بتاريخ 21 شعبان 1338هـ.

(5) - رسالة الشيخ مربيه ربه إلى سيدى عثمان بن حسن بتاريخ 28 ذي الحجة 1346هـ.



المجاهد الشيخ مربيه ربه مع بعض قادة قبائل سوس المجاهدة



والطاهر الإفريقي، والمحفوظ الأدوزي، والقائد سعيد الراكماري، والقائد مبارك البيراوي، والحسن الأزاريفي، وال حاج الحبيب الصوابي، وأمغار سعيد الخمسى، وحمادي ولد سوساني الزفاضي<sup>(1)</sup>. ومن المؤشرات الدالة على قوة نفوذ الشيخ مربيه ربه بين قبائل المنطقة ما تكشف عنه تقارير الاستعلامات الفرنسية<sup>(2)</sup> من أن كردوس أصبح مركزاً يجتمع فيه فعاليات المقاومة خلال انعقاد المؤاسم المشهورة (سيدي أحمد بن موسى بتازرولت، وسيدي الغازي والقصابي بوادي نون)، أو خلال الأعياد الدينية للتشاور والتسيق حول أمور الجهاد<sup>(3)</sup>.

ويستند الشيخ إلى قوة القبائل الجبلية المعاصرة لفرنسا، حيث امتد نفوذه من آيت بعمزان غرباً، إلى حدود إيلالن شرقاً. وكان على اتصال دائم بأعيان هذه المناطق، وتطلعنا الرسائل التي كان يوجهها إليهم على أهمية الإمدادات التي تأتيه من قبيلة (أملن وأيت عbla وأيت صواب)<sup>(4)</sup>. كما تبين اعتزافه وثناءه للدعم المستمر الذي يصله من القائد أمغار سعيد الباعمراني<sup>(5)</sup>، والشعور نفسه أبداً خو عمر الإيلالي الذي ترعم قبيلته لصد الاحتلال الفرنسي<sup>(6)</sup>.

جـ- فض التزاعات: ما يهمنا في هذا الجانب هو امتلاك الشيخ السلطة المعنوية، مما أهله للقيام بأدوار مختلفة داخل مجال نفوذه، وحتى في مجالات جغرافية بعيدة عن كردوس. فقد كان في جميع تحرّكاته يدعو إلى ضرورة جمع شامل القبائل وحملها على

(1) - لم تكن الإغراءات الفرنسية كافية لجعل القواد المحليين ينقادون للإدارة الاستعمارية، فأغلبهم بادر إلى دعم الشيخ مربيه ربه في تحركاته الجهادية. وكان على رأس هؤلاء القائد المدنى الأخصاصى وأمغار سعيد الخمسى الباعمراني.

(2) - تقرير الاستعلامات الفرنسية بتاريخ 23/03/1925 تحت رقم: 378.

(3) - رسالة الشيخ مربيه ربه إلى قبيلة آيت الخمس يوم 4 عمر 1334هـ.

رسالته إلى قبيلة رمحوكة يوم 7 ذي القعده 1341هـ.

رسالته إلى قبيلة آيت الخمس يوم 8 شوال 1350هـ.

- "المஸول": 250/4.

(4) - رسالة الشيخ مربيه ربه إلى أمغار سعيد يوم 2 جمادى الأولى 1351هـ.

رسالته إلى الحاج محمد بن إبراهيم الصوابي يوم 15 شعبان 1339هـ.

(5) - رسالة الشيخ مربيه ربه إلى أمغار سعيد يوم 22 صفر 1347هـ.

(6) - رسالة الشيخ مربيه ربه إلى عمر الإيلالي يوم 22 جمادى الثانية 1341هـ.

رسالة أخرى إليه يوم 21 شعبان 1338هـ.

رسالة أخرى إليه يوم 3 صفر 1345هـ.

التعاضد والاتحاد وتحميم إمكانياتها الخاصة تحت راية الجهاد<sup>(1)</sup>، كما كان يحث على الاستعداد والتزود والمواجهة، وهو لا ينطلق في ذلك من آيةخلفية سياسية أو بواعث قبلية ضيقة، بل هدفه الرفع من معنويات القبائل.

وهكذا استطاع في غفل وضعية حرجة تميزت بالفوضى العارمة والتشتت القبلي<sup>(2)</sup> أن يحافظ على التوازن والاستقرار. وهذا المطلب الملحق والضروري يمكن ملاحظته من خلال المراسلات التي كانت تجمعه بأعيان القبائل غير الخاضعة. وعادة ما كان يشعر أحياناً بخيبة أمل من الحالة المزرية التي ألت إليها الإمكانيات الخيرية للقبائل، مما يفسر تدخله لفض النزاعات الخلبية، كالصراع بين قبليتي محاط والأخصاص، أو بين قبائل آيت صواب وإيلالن وأيت الرخاء<sup>(3)</sup>.

ومن الثابت أن دواعي هذه التحركات قد ساهمت في تقوية حركته الجهادية، وضمنت على الأقل استمراريتها لمدة تزيد عن عشرين سنة.

ويبدو أن سلطات الحماية قد سلمت بهذه الحقيقة، وهي أنه يستحيل على الشیخ

ممارسة نشاطه بدون سند قبلي.

## 2) استراتيجية احتواء القبائل:

إن الدلائل المتوفرة قبل سنة 1934 تشير إلى نشاط الشیخ مریبہ ربہ الجہادی المکثف منذ سنة 1912، غير أن هذه الدلائل لا تورد تفاصيل دقيقة عن طبيعة هذا النشاط، فمباشرة بعد نكسة سیدی بوعلیان وتراجع قوات المحتلین نحو سوس<sup>(4)</sup>، نسجل تحرك الشیخ لجمع شمل القبائل التي مازالت تؤيد الشیخ احمد الھیبة، ثم استرجاع المناطقة السهلية التي امتد إليها نفوذ القائدین المعنیین محمد بن دحان بتزنيت، وحیدة بن مایس انطلاقاً من تارودانت<sup>(5)</sup>. وكانت دعامة الشیخ مریبہ ربہ في ذلك

(1) - رسالة الشیخ مریبہ ربہ إلى أیت عثمان يوم 7 ربیع الیوی 1350هـ.

رسالته إلى علي بن محمد الإیتیغی يوم 29 شوال 1344هـ.

رسالته إلى أمغار سعید يوم 14 جمادی الأولى 1350هـ.

(2) - كان الشیخ مریبہ ربہ على وعي بالضغط العسكري وحالة عدم الاستقرار في العلاقات بين القبائل، خاصة بين محاط والأخصاص. وقد قامت سلطات الحماية بدور كبير في إذكاء تلك النزاعات، مما أتى بكثير التوترات الخيرية للقبائل، وساهم إلى حد ما في تسهيل عملية الاحتلال. وقد اعترف الشیخ بهذه الحقيقة في عدة رسائل موجهة إلى أعيان وعلماء المنطقة.

(3) - رسالة الشیخ مریبہ ربہ إلى محمد الحبیب بن إبراهیم الصوایی يوم 15 شعبان 1339هـ.

(4) - الإحصاری، ص: 91.

EL Hiba: fils de Malainin, in: Renseignements coloniaux n° 3 - Mars 1916.

- (5)

قبائل آيت باعمران والأشخاص ووادي نون، إلا أن هذه المحاولات فشلت لافتقار القبائل المهايدة إلى التسليق ووسائل الاستمرار. ويكفي أن نذكر أن أهم محطات المواجهة وقعت بمحاسبة 1913، والسيحل 1913، وأيت برایم 1914، وأحلو 1915، وأنشتوكن 1915<sup>(1)</sup>.

لقد تزامن اختيار الشيخ مربيه ربه من قبل القبائل الجبلية قائداً وزعيماً للجهاد سنة 1919 باشتداد الضغط العسكري الفرنسي المباشر لاحتواء الجيوب المتبقية منذ حملة الجنرال دولاموت 1917<sup>(2)</sup>. وكانت تستهدف بعض المراكز الاستراتيجية، خاصة وجان، وأيت برایم، وتلاته الأشخاص، وإغفرم. وهذا ما جعل القبائل تظاهر صموداً قوياً أمام المحاولات الفرنسية المتواصلة. وفي السياق نفسه اقتربت المحاولات القائد الحنافي (1917-1921)<sup>(3)</sup> لاحراق القبائل الجبلية انطلاقاً من آيت وادريم وأيت صواب، بإجراءات دفاعية من قبل الشيخ مربيه ربه لإفشال خططه، وذلك بتوزيع القبائل المهايدة في المناطق المهايدة لآيت أحمد وأيت صواب وأيت وادريم<sup>(4)</sup>، مما أفضى إلى تراجع قوات الكندافي. وعلى إثر هذه التطورات قرر قائد المنطقة الجوية دعم قوات الكندافي بطالبور من تارودانت ومن رجال القائد المتوجهي، كما أرسل سرباً من الطائرات إلى ترنيت<sup>(5)</sup>. مهما يكن من أمر، فإن استمرار العمليات الجهادية ضد الواقع الفرنسي أثار انزعاج سلطات الحماية وجعلها تفكّر في نهج خطة عسكرية قوية أكثر فعالية لمواجهة الوضع الجديد الناتج عن انسحاب الحنافي من سوس في نهاية 1921.

لهذا يمكن أن ننعت الفترة المتدة ما بين 1922 و1934 بأنها فترة انتظار وترقب، حيث خفت تسبباً وطأة العمليات العسكرية. ويسدو أن المحتل قد اقتضى بان تكسير مقاومة جبال الأطلس الصغير لن يتأتي إلا بإفشال مساعي زعيم المقاومة وقادتها الشيخ مربيه ربه.

ويغthem من تقارير الفرنسيين خلال الفترة المذكورة أنهم اعتزفوا بكونهم يواجهون خصماً عنيداً، وكانوا يدركون مكانته الرمزية والمعنوية لدى القبائل. وهذا ما يفسر الرغبة الملحة لتأثير سلباً على حرکته الجهادية ومقاومتها ب مختلف الوسائل بما في ذلك:

EL Hiba, fils de Malainin, in Renseignements coloniaux n° 3 - Mars 1916.

- (1)

Dugard, Op. cit.

- (2)

Justinard, Le caïd El Goundafi Casa 1952.

- (3)

- (4) - تقرير الاستعلامات الفرنسية رقم: 578 بتاريخ 22/03/1921.

- (5) - المرجع نفسه.

- إضعاف نفوذه بين القبائل المخولية، وقطع الطريق أمام جهوده الرامية إلى توحيدها تحت راية الجهاد، الشيء الذي جعل القوات الفرنسية تكشف اتصالاتها مع قواد وأعيان بعض القبائل الذين أصبحت مصالحهم مرتبطة بالاستعمار<sup>(1)</sup>، للتأكد من مساندتهم لتسهيل مأمورية القوات الفرنسية والتأثير على سكان المناطق غير الخاضعة.

- البحث عن مواطن الانقسام والتصدع في العلاقات بين القبائل، وفي هذا السياق اندلعت سلسلة من الصراعات بين أهم القبائل المساندة للشيخ مربيه ربه حول بعض المراكز الاستراتيجية<sup>(2)</sup> تسبب فيها قواد وأعيان الجهاد خاصة القائدين المذين الأخصاصي وسعيد المخاطي<sup>(3)</sup>، مما أفضى إلى واقع معتقد دام سبع سنوات.

- محاولة تسريب الجوايس والمخبرين لجمع المعلومات عن خطط القبائل الجبلية انطلاقاً من المهام الجنوية للأطلس الصغير أو من أرغار تربت<sup>(4)</sup>.

استعمال سياسة الإشاعات في حق الشيخ للتاثير سبا على حركته<sup>(5)</sup>.

- التحاء فرنسا في تعاملها مع الشيخ إلى أسلوب الإغراء<sup>(6)</sup> لوضع حد لحركته، لكنه رغم هذه الإغراءات التي عرضت عليه، فقد بقي وفي بيته، وقابل كل ذلك بنوع من التحدي والتجاهل، كأنه اقتنع باستحالة التوصل إلى حل مقنع مع الفرنسيين<sup>(7)</sup>.

لقد تطورت الأحداث بسرعة في الجنوب المغربي في بداية الثلاثينيات، ولا يمكن فصلها عمّا يحدث من تطور في مسعى فرنسا لاستكمال الاحتلال المخاطق المتبقية، حيث أصبح لهم الأساس لإدارة الاحتلال هو إحكام السيطرة على معاقل المقاومة، والوصول إلى عمق القبائل التي مازالت تؤيد الشيخ مربيه ربه، لتطويقها وإخضاعها. وكان الاستعداد والتهيئي للاحتجاز على الجبال قد تطلب أكثر من عشر سنوات سخرت

(1) Dugard (H.) Op. cit.

(2) انظر موضع متفقة في:

"المسؤل" 250/4.

بعد أصداء هذه الصراعات في عدة موانع من الرسائل.

(3) كان الشيخ كثير التعاطف مع القائد المذني نظراً للمعلاقة المتينة بين الطرفين، وهذا ما جعل البعض يعتبر هذا التعاطف سباً في الصراع الذي وقع، لكن رغم هذه المأخذ فقد أبان الشيخ عن وعي وحنكة سياسية في تجاوز المشاكل.

(4) انظر التقرير الفرنسي لـ 20/03/1932.

(5) رسالة الشيخ مربيه ربه إلى علي بن محمد الإياغي يوم 29 شوال 1344هـ.

(6) "المسؤل" 267/4.

M. Bernard (Lieut): Les opérations de pacification de L'Anti. Atlas.

in: La Géographie, Février 1934. p. 28-29.

(7) يمكن القول بأن حكایات هذه الاتصالات بالرغم من خطابها غير الرسمي تعمّ عن حقيقة واقعية تمثل في أنّ الشيخ مربيه ربه كان واعياً بأهمية التفاوض.

خلالها سلطات الاحتلال جميع الإمكانيات العسكرية، بما في ذلك استئثار أكثر من فيلق مكون من المشاة والفرسان بـ "جسر الـ "Gatroux<sup>(1)</sup>" انطلاقاً من تزنيت، تدعمها أسراب من الطائرات، كما كثفت من اتصالاتها مع قواد بعض القبائل السهلية لتسهيل عملية الاحتلال، واعتماداً على هؤلاء، وضعت قوات الاحتلال خطة دقيقة في الرمان والمكان<sup>(2)</sup>.

#### II- تجديد الثقة في الشيف مربيه وبه لقيادة العمليات العدائية:

كان الشيخ مربيه ربه والقادة المحليون به على علم بأهداف المستعمر وخططه، وعلى الرغم من وعيه بأن التباين الواضح في إمكانيات القبائل الذاتية المحدودة وتلك التي جندتها فرنسا، كان في غير صالح المهاجرين المحتملين. ترتفعات الأطلس الصغير، فإن أنصاره رفضوا الاستسلام وبدأوا في آخر كاتفهم لافشال هذا المشروع.

وتعلينا الوثائق التي حصلنا عليها بأن كرسوس شهدت اجتماعاً مصرياً بتاريخ 05/05/1932 تحت رئاسة الشيخ مربيه ربه، وقد حضره ثلاثة من فعاليات المقاومة<sup>(3)</sup>، أمثال: المدني الأخلاصي، ومبارك البشرياني، وحسن الأزاريفي، والمحفوظ الأحوزي، وسعيد أو طالب الأكماري، والطاهر الإفرياني، وال الحاج الحبيب الصوابي. وقد تم الإجماع على جملة من القرارات منها:

- التنسيق والتعاون والتآكل بين القبائل المهاجرة لصد الهجمات الفرنسية المرقبة.
- فرض ذخيرة مالية تقدر بعشرين ألف ريال على كل قبيلة لا تلتزم بمساندة القبائل الأخرى في حال تقدم قوات الحماية.
- الاتفاق على أن أقصى حدود المنطقة الخاضعة لفرنسا هو آفا بالجنوب، وأن أي تقدم جديد سيكون مرفوضاً.

وفي هذا الوقت بالذات، تدعم صفت المهاجرين بوصول قبائل آيت حمو وأيت خياش إلى المنطقة يوم 09/06/1932، كما أبدى زعيمها محمد بن بلقاسم التكادي رغبته البقاء في المنطقة<sup>(4)</sup>. وقد عبر الشيخ مربيه ربه عن ابتهاجه لثبات القبائل واستماتتها ضد رحفل القوات الفرنسية، والدعم الذي حصل عليه المهاجرين من قبل هذه القبائل (آيت

M. Bernard, Op. cit. p. 24.

- (1)

Voinot (L.): Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc.

Ibid

- (2)

- تقرير الاستعلامات الفرنسية بتاريخ 1932/08/08.

- المرجع نفسه.

حمو وأيت خباش<sup>(1)</sup>، وطالب بجمع المزيد من المساعدات (المال والخيل والسلاح) لضمان استمرار العمليات الجهادية<sup>(2)</sup>.

والواقع أن شدة الهجوم والتخطيط الفرنسي الدقيق كان أكثر فعالية، إذ استهدف عدة جبهات، وخاصة المرات الجبلية الاستراتيجية<sup>(3)</sup>. وفي هذا السياق أظهر الفرنسيون اهتماماً كبيراً بوضع كردوس واستهدافه طائراتهم<sup>(4)</sup>، وكان غرضهم من هذا القصف التأثير على معنويات المهاجمين، وقطع الطريق أمام الشيخ مربيه ربه حتى لا يمكن من جماع شمل القبائل، وكذا تضييق الخناق على مصدر القرار بالمنطقة.

ولكن ذلك كنه لم يكن ليضعف من عزيمة الشيخ مربيه ربه الذي سارع إلى دعوة زعماء وأعيان الجihad للاجتماع مرة أخرى بكردوس يوم 29/01/1934<sup>(5)</sup>. وقد نتج عن هذا الاجتماع دعوة جميع القبائل للدفاع عن أراضيها بشتى الوسائل، وكذا تجميع المهاجمين في مناطق استراتيجية تعتبر عثابة هجرات طبيعية معروفة للتغلل إلى عمق الجبال، وهي: ويجان (إيداوُتنيت) وغير ملوان (محاط) ظهر الأحصاص (ثلاثاء الأحصاص) أزيلال (آيت الحمس وأيت برایم) السیحل (آيت بو بكر وصبويا)<sup>(6)</sup>.

إجمالاً، فإن القبائل لم يكن بإمكانها في تلك الظروف العصبية إلا الخضوع لسياسة الأمر الواقع، ولم تكن القوة العسكرية الخدودة المتبقية لدى الشيخ كافية لضمان استمرار الحركة الجهادية، وهكذا استمر الفرنسيون في عملية الاحتواء انطلاقاً من عدة جبهات، وتم بالفعل إخضاع الطوامش الجنوبية للأطلسي الصغير الغربي (آقا، وطاطا، وغندارت، وتاغجيجت)<sup>(7)</sup>، ودخلت قوات الجنرال "Gatroux" مركز بوير كارن يوم 4 مارس 1934<sup>(8)</sup>، كما بدأت وفود قبائل إيداوُتنيت وأيت صواب وأيت حمد في

(1) - كان ذلك خلال اجتماع موسم سيدى الغازى بكلميم يوم 30/06/1932.

(2) - نسخة من الاتفاق المبرم بين القبائل المهاجمة بتاريخ أواخر ذي الحجة 1342.

رسالة الشيخ مربيه ربه إلى عمر الإيلالي يوم 22 جمادى الثانية 1341.

رسالته إلى قبيلة صبويا يوم 4 ذي الحجة 1342.

(3) - انظر المزريطة في ملحق هذا البحث.

Voinot: Op. cit. p. 476.

- (4)

(5) - تقرير الاستعلامات الفرنسية بتاريخ 25/01/1934.

(6) - المرجع نفسه.

- (7)

Information du Sous, 16 Novembre 1929

Bernard (M.) Op. cit

Voinot (L.) Op. cit.

Bernard, Op. cit. p. 27.

- (8)

الاستسلام بعد تقدم القوات الفرنسية بقيادة الجنرالات<sup>(1)</sup> Rochas, Legrand, Blanc، أما قبائل آيت باعمران فما فتئت تهدى المناطق الخاضعة، مما أدى إلى اصطدام الطرفين في معركة "تizi" يوم 23/02/1934<sup>(2)</sup>.

وتعلننا وثيقة أن اتفاقاً حصل بين الجانبين في موضع ثلاثة الاخصاص على أساس تحديد الحدود<sup>(3)</sup>.

وفي ظل هذه الفروض الجديدة التي أفرزها التفوق العسكري الفرنسي، أصبحبقاء الشيش مربيه ربه بجبل الأطلس محفوفاً بالمخاطر، مما جعله يغادر منطقة كردوش متوجهًا نحو طرقية.

### III- خروج الشيش مربيه وجه من كردوش:

إن تاريخ خروج الشيش مربيه ربه من كردوش جاء في ظرف عصي، فالمناوشات على أشدتها بين القبائل الجبلية وقوات الاحتلال، سيما وأن فرنسا عازمة هذه المرة على احتواء المناطق غير الخاضعة.

لقد كان الشيش مربيه ربه واعياً تمام الوعي بأن إقامته على مقادرة المنطقة إنما جاء استجابة للظرفية الجديدة التي أفرزها التفوق العسكري الفرنسي، ولم يعد هناك في نظره أي أمل في مقارعة الاحتلال، لأن إمكانيات القبائل لا يمكن أن توقف زحف الفرنسيين عند حدود سهل تزنيت كما أن هول المحاطر المحدقة به جعل هذا الخروج أفضل وسيلة لحقن الدماء.

يقول واصفاً خروجه: «... أما بعد، فقد خرجنا من كردوش بعد ثلاثين مضيَا من ليلة الأحد السابعة عشر من ذي القعدة عام 1352هـ، وما نهضنا حتى أحاطت بنا الجندو الفرنسوية من كل مكان بالمدافع والطيارات، واحتلوا القبائل. ولو أنهم أتوا بعقل العدة التي في أيدينا لكان ظنتنا أنهم لن يحصلوا على طائل، قياساً على الواقع بينما معهم في الماضي. لكنهم أتوا بهذه الآلات التي لم تكن عند القبائل، والله غالب على أمره»<sup>(4)</sup>. ويعتبر هذا المقطع شاهد إثبات ودليل عسكرياً مهماً عن حركة الجهادية وعماده من معارك بطولية ضد الاحتلال حفاظاً على وحدة المغرب التزايية.

(1) Bernard, Op. cit. p. 30

(2) - وقعت المعركة ليلة الجمعة 8 ذي القعده منطقة "تizi" الواقعة بين قبيلي: آيت برسم وآيت باعمران.

(3) - توافق على نسخة خطية من هذا الاتفاق.

(4) - "الرحلة"، الورقة: 3.

ونلاحظ من خلاله أنه يبين قوة الهجوم المكثف الذي شنته القوات الفرنسية بالمدافع والطائرات على منطقة كردوس، مما اضطر القبائل للاستسلام نتيجة عدم التكافؤ في الإمكانيات الآلية (العتاد والأسلحة) بينها وبين القوات الفرنسية المدعومة بالأسلحة المتطورة: «لكتهم أتونا بهذه الآلات التي لم تكن عند القبائل». وهذا ما جعله يخرج من كردوس حتى لا يستسلم لنفرسيين رغم الإغراءات التي قدمت له، مما يؤكد وفاءه لمبدئه الذي هو الحجّاد في سبيل الله ومقاومة الوجود الأجنبي.

ورغم هذا الهجوم المكثف والعنيف الذي استهدف منطقة كردوس، والذي كان من نتائجه احتلال القبائل وإنصاعها، فإن الشيخ مربيه ربه يذكر بمحاضته الجهادية المتمثل في انتصارات سابقة على القوات الفرنسية: «لكان خلتنا أنهم لن يحصلوا على طائلاً، قياساً على الواقع يبتنا معهم في الماضي».

وهذا تشير إلى أن فرنسا اتبعت سياسة التدريج في احتلال مناطق الجنوب المغربي، ففي بداياتها الأولى اقتصرت على المناطق السهلية، واتبعت سياسة غير مباشرة. وابتداءً من سنة 1921 اتبعت سياسة الحصار والاختراق، حيث حاصرت الجبال، وحاولت اختراق بعض المناطق الاستراتيجية مثل آيت وادريس ووجان. بعد ذلك جاءت خطوة الإجهاز النهائي على المناطق غير الخاضعة لها.

ونشير إلى أن منطقة كردوس تعرضت لهجوم عنيف ومتواصل من قبل الطائرات الفرنسية قبل حروج الشيخ مربيه ربه ويوم حروجه وبعده، كما يؤكد ذلك قائلاً: «تم إنهم يوم السبت قبل مسيرة ضربوا كردوس بثلاث وسبعين كورة من الطيارة، ولم تقدس شيئاً في الدار التي كنا بها للحمد، وبعد ذلك يوم مسيرة ضربته قليلاً، ويوم الأحد الثامن بعد مسيرة ضربوه أيضاً بتسعة طيارات كثيرة من الضرب، ولم يفسد قليلاً ولا كثيراً من الدار»<sup>(1)</sup>. وهناك أسباب متعددة جعلت القوات الفرنسية تكشف هجومها على هذه المنطقة منها:

- أنها كانت تمثل منطقة استراتيجية ضمن قبائل إداوتيت، وحتى في العمق فهي توجد في أراضي قبيلة إداويعقيل التي دعمت الحركة الجهادية، سواء في عهد الشيخ مربيه ربه أو في عهد أخيه الشيخ أحمد الهيبة<sup>(2)</sup>.

- تقع في الجبال التي تشرف على أزغار تزنيت، مما يتبع لها مراقبة المنطقة بكمالها.

(1) - "الرحنة"، الورقة: 4.

(2) - "المعسول": 4/107-126.

- تعمير بناء طبيعية ويعدها عن مركز القرار (ترنيت) الذي كان يشكل مصدراً لتجميع المعلومات والآليات بالنسبة لقوات الفرنسية، ومنه كانت تتطرق مختلف خططها وعملياتها العسكرية.

- أما بالنسبة للمجاهدين فإن منطقة كردوس كانت تشكل مركز قرار، ففيها تعقد الاجتماعات، ويتم التنسيق بين مختلف القبائل تحت قيادة الشيخ مرعيه ربه من أجل تدارس الطرق الكفيلة بمواجهة العدو، وهذا ما يفسر رغبة فرنسا في ضربه من أجل إخضاعه وإفشال عملية قائد حركة الجهادية.

ورغم الأخطار التي كانت تحدق بالشيخ مرعيه ربه من جميع الجهات، فإنه تثبت بفكرة الخروج وعدم البقاء؛ لأن بقاءه يعني استسلامه لفرنسا، وهذا ما يرفضه ويجاهد من أجله. وكان خروجه ليلاً في سرية تامة خوفاً من الجواسيس والمخابرات الذين زرعتهم فرنسا في المناطق الخبيثة بكردوس. وقبل خروجه كان بعض الأحياء قد اقترح عليه -نصحاً- البقاء وعدم المسير، لأن الطرق كلها محاصرة، إلا أنه لم يتقتل لذلك، وصمم وعزم على تنفيذ أمره.

وقد شكل إيمانه ويقنه في الله دوراً كبيراً في هذا الخروج، يقول: «ثم إنني لما أجمعت الرأي على الخروج قال لي كثير من الأحياء -نصحاً منهم- أنني لا أقدر على المسير لكتيبة الجنود أمامي، وأن الطرق كلها محظوظة من العساكر، فلم أفتت لذلك، وعزمت وصمت، وعلى الله توكلت، وامتثلت ما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا عَزَّزْتَنِي فَتوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ﴾<sup>(1)</sup>. ثم في ساعة الخروج أعلمته القائد سعيد العقيلي وكذلك بعض الخاصة»<sup>(2)</sup>. ومنهم آخره المحاول الشيخ الجيهي بن الشيخ ماء العينين<sup>(3)</sup> الذي كلفه هو القائد المذكور بالسهر على أمن وسلامة عائلته، على أساس إجلاثهم عن المنطقة.

وفي كل المناطق التي مرّ منها، كان الشيخ مرعيه ربه يحظى باستقبال كبير ودعم لا نظير له من قبل القبائل التي كانت تخبره بما يجد ويطرأ على الساحة العسكرية من أحداث، مما يعبر عن التفاهم حوله، وتضامنها معه، وما زرتها حركة الجهادية. يقول: «فنهضنا لما يجيء من الليل الثالث، كما تقدم، وأصبحنا عند ديار من مجاورة قرب ترروالت، وبها محلة كبيرة لفرنسا، وسرنا من عندهم بعد الظهر والطيارات تمر علينا يمينا

(1) - سورة آل عمران، الآية: 159.

(2) - "الرحلة"، الورقة: 6.

(3) - كان خليفة الشيخ مرعيه ربه، ونائب عنه في قيادة بعض الغزوات والمعارك، وساهم بدور فعال في توطيد دعائم حركة الجهادية بالمنطقة.

و شمالاً، و ربما تقرب منها جداً، فلما بلغنا بلاد رحابة أخبرنا أن محلة أخرى تزالت بأبي الأحباب (بوير كارن)، والطريق تمر على أحنته، و ذلك الوقت وقت المغرب من ليلة الاثنين الثامنة عشر من ذي القعدة<sup>(1)</sup>. وقد استطاع اختراع المناطق التي مر منها رغم صعوبتها<sup>(2)</sup>، ورغم مراقبتها من قبل الجيوش الفرنسية في مدة زمنية وجيزة وبسهولة نادرة، وهذا ناتج عن حنكته وتجربته ودهائه الحربي، بالإضافة إلى معرفته بخيالها هذه المناطق التي كان يتردد عليها وهو يقود حركة الجهاد منذ سنة 1912.

يقول: «فسرنا عامدة الليل، وشققنا جبالاً صعبة جداً، ومررنا قرب تمولاي الفوكانية، فرأينا الأضواء عند المخنة المذكورة، فاتكلنا على الله، ولم نخل عن الطريق حتى مررنا على أحنة أبي الأحباب (بوير كارن)؛ والمحلة شديدة بخواصه لم ترنا حتى جاورنا تاحانت، فإذا بمحلة أخرى أضواوها تندى، ومررنا غرب إيميسيل، ودخلنا أباينو صلاة الصبح»<sup>(3)</sup>. مما جعل القبائل الباعمانية والوادونية التي جاءته من مختلف الجهات منطقة أباينو التي توقف بها، وخصوصت له استقبالاً كبيراً تعجب من كيفية بعاته وخلاصه من القوات الفرنسية التي ضربت حصاراً كاملاً على جميع المناطق الجنوية التي احتلتها. يقول: «وأئتنا تلك القبائل من كل جهة، وأقمنا ذلك اليوم في تجليل وإكرام، وكلهم يتعجب من كيفية الإقدام على هذا»<sup>(4)</sup>. وهذا يبين أنه كان على علم بخطبة فرنسا للإجهاز على حركته، مما سهل عليه تجاوز المناطق التي تزلت بها الحالات الفرنسية<sup>(5)</sup>.

وقد التقى في هذا اليوم بعض قواد قبائل آيت باعمران ورمعانها، منهم القائد أمغار سعيد بن الحسين الخمساوي، و محمد بن القائد البشير، و مبارك الحسين بشام الأصباوين وغيرهم<sup>(6)</sup>، الذين أخriوه بما جد على الساحة العسكرية من أحداث، كحادثة سوق الثلاثاء في بلاد الأنصاص، وما فعلته معدة فرنسا فيها: «وقصوا على ما

(1) - الرحلة، الورقة: 7.

(2) - وهي من المسالك الطبيعية الصعبة الالتحاق (انظر المربطة في ملحق هذا البحث).

(3) - "الرحلة"، الورقة: 8.

(4) - نفسه، الورقة: 9.

(5) - يظهر أنقيادة الفرنسية لم تكن على علم بخروج الشیعه مربیه ربه إلا بعد وصوله مصب وادي درعة، لذا لجئها تجند عدة إجراءات لقطع الطريق أمامه، و ذلك بقبيلة أنصاره. ومهمها يكن، فإن هذا الحدث كانت له مضاعفات في غاية الأهمية، أعمها أنه كان منظماً لاحتواء القبائل غير الخاضعة.

(6) - يبدو أن غياب الإشارة إلى قواد بعض القبائل التي مر بها قد يفسر إلى حد كبير تارجح مواقفها بين المساندة الفعلية لحركته من جهة، واستسلامها لاغرارات المعاونة من جهة ثانية. وكيفما كان الحال، فإن أغلب قواد آيت باعمران والأنصاص مازالوا متسلكين بدعمهم الامشوّط للشيخ.

فعلته محلة فرنسا في موضع سوق الثلاثاء من بلاد الأحصاص»<sup>(1)</sup>، مما يعبر عن مناصرتهم وتأييدهم له. وليس هذا بجديد على قبائل آيت باعمران الخاضعة لإسبانيا، التي كانت دائماً تكن العداء لفرنسا، وخاضت معها صراعات ومواجهات متعددة كان آخرها كما أشرنا سابقاً معركة "تيزي".

وبعد يوم كامل قضاه الشيخ مربه ربه بين هذه القبائل وقياداتها، أعلمهم أنه «قادس طرفالية، ففرحوا فرحاً شديداً»<sup>(2)</sup>.

بعد هذا التوقف في منطقة أباينتو توجه إلى هضبة اصبويا<sup>(3)</sup>، حيث مكث يومين مع خليقته سيدى عثمان بن حسن<sup>(4)</sup>، ثم توجه عن طريق البحر إلى طرفالية. وقد وصف مختلف الأماكن والقرى التي مر بها موكبه كأساكا عند مقطع (مقطع)، مروقة (مرزوحة)، وقم واد إسفان، وفم الرويوي، ومقطع (مقطع) لمعطرف، وفم سهب الحرفة، وفم الشبيكة، ووادي العتيق (العثيق)، ووادي أم فاطمة الغرد الأحمر<sup>(5)</sup>. ثم نزلوا قرب مدينة طرفالية في منطقة تسمى "تيدرات" في ضيافة أحد أشياخ قبيلة ازرقين، وهو "رمضان بن علوان"، حيث قضى يومه وليلته هناك<sup>(6)</sup> وأرسل من يخبر أهل طرفالية بقدومه، فجاءه أخوه العلامة الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين مع بعض أعيان الدولة، وأبلغه فرح الحاكم العام والدولة عموماً، وهناء بقدومه وسلامته.

(1) - "الرحلة"، الورقة: 10.

(2) - يبدو أنه لم يفصل القول كثيراً في تبيان الأسباب والدوافع التي جعلته يختار طرفالية دون غيرها، إلا أنه يبدو أن الاهتمام بالمنطقة يكتسي دلالات كبيرة لعل أبرزها:  
• أنها كانت تشكل القلب النابض للمنطقة (الوجود الأوروبي - حصن ماكتري).  
• احتضنت سنة 1895 البعثة السلطانية الرسمية التي بعثها السلطان المولى عبد العزيز لاستخلاصها من الإنجليز.

• موقعها باعتبارها نقطة اتصال بين منطقتي نفوذ فرنسا وإسبانيا.  
• علاقتها المتisperة مع سكان المنطقة، فضلاً عن كون الصحراء المغربية تشكل مهد أسرة أهل الشيخ ماء العينين.

(3) - انظر حول علاقته بقبيلة اصبويا:

- Bernard (M) : La Zone d'Ifni. Le problème de la pacification du Sud marocaine.

La Géographie 1934, p. 97.

(4) - كان محبيقة الشيخ مربه ربه، منطقة آيت باعمران، وقد ساهم بدور فعال في حركة الجهادية.

(5) - انظر المزريطة في ملحق هذا البحث.

(6) - وردت تفاصيل دقيقة كذلك في مذكرات الحاج عمر أصبايو الباعمراني، وكان ضمن الوفد المراافق للشيخ نحو طرفالية، مخطوط خاص.

بعد ذلك توجه إلى مدينة طرفاية التي توجد آنذاك تحت النفوذ الإسباني، فدخلها يوم الخميس 28 ذي القعدة 1353هـ بعد صلاة العصر، حيث خصص له سكانها استقبالاً شعبياً كبيراً يجل عن الوصف، وخصصت له الدولة استقبالاً رسمياً بقيادة الحاكم العام "خوسي غونزالو دي ليمار"، يقول: «وارسلنا من يخبر أهل طرفاية بما، فلم ثبت إلا يسراً حتى أتوا أخونا وخليفتنا الشيخ محمد الأعظم على خيل الدولة مع بعض أصحابها، وبلغوا لنا فرح حاكم الدولة بما، وأقمنا ذلك اليوم ثمة، وبتنا، فلما قرب العصر من يوم الخميس 28 ذي القعدة 1353 توجهنا إلى الطرفاية ودخلناها بعد صلاة العصر، حيث قوبينا بالفرح وضراب البارود على عادة الأفراح»<sup>(1)</sup>. وكان هذا الحدث صدىً واسعاً في أواسط الإسبان والفرنسيين على السواء.

وقد أقام الحاكم العام لمدينة طرفاية حفلاً يليق بمكانة الروحية والسياسية والدينية، بعد أن قدمت له تشكيلة من الحرس البلدي التحية العسكرية، ألقى فيه كلمة ترحيب تقدمه هو وموكب، وهناك على سلامته وعلى عيد الأضحى، وتنسى له مقاماً طيباً. بعد ذلك تناول الشيخ مربيه ربه الكلمة ليسأله عبارات المحامنة بمثلها، ثم قال: «ال المسلمين أحرار في بلادهم، يفعلون ما ظهر لهم في إصلاح دينهم ودنياهم. كما أن الدول تفعل ما يصنع بها، وكل دولة تنظر ما يليق بها، ولم تعب دولة على دولة فعلها».

ونلاحظ من خلال هذا المقطع أن موقفه من الاستعمار لم يتغير رغم ما واجهه من محن وصعوبات، وأنه مازال ثابتاً في هذا الموقف الرافض للنصارى، فرنسيين كانوا أم إسبان، كما يؤكد فيه مبدأ الحرية والاستقلالية لكل شعب من الشعوب<sup>(2)</sup>.

كما ذكر في هذه الكلمة بالدور الكبير الذي لعبه الشيخ ماء العينين في الصحراء الغربية، من خلال التأكيد على العلاقة المتميزة والروابط الأصلية الأصلية التي تجمعه بالملوك العلوين، ولل مكانة الكبيرة التي حظي بها عندهم، حيث أسندوا له أمرور المنطقة، وكان خليقتهم ونائبهم يستشرون في مختلف القضايا، ويأخذون برأيه وتوجيهاته. وهذا يدل على تقديرهم لشخصه وسمعته وتاريخه ومركزه ونفوذه الديني والفكري والاجتماعي السياسي، نظراً لما أحدهما من تغيرات محلية في عدة مجالات منها:

- بناء مدينة السمارة التي دشنت أول مشروع حضاري في المنطقة.

(1) - "الرحلة"، الورقة: 15.

(2) - قد يذكر هنا اتفاق هيئة الأمم المتحدة المتعلقة بمعابر الشعوب الذي ظهر معها سنة 1945هـ.

- تهيئة التربة لانعاش الفلاحة من خلال حفر المياه وغرس التحجيل.
  - بث الاستقرار في النقوس الساكنة بالمنطقة من خلال توحيد القبائل الصحراوية.
  - تعاونه مع المخزن في محاربة المستعمر الأجنبي الفرنسي والإسباني.
- ونشير إلى أن تذكيره بهذا الماضي بين العلاقة الحميمة مع هذه المنطقة بصفة عامة، وبأنه ليس غريباً عنها، ومن ثم فإن عودته إليها تشكل عودة إلى منبه وموطنه الأصلي وهو الصحراء الغربية، يقول:

«إن أبايا الشيخ ماء العينين قدم على هذه البلاد منذ قرن في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن، والتقي معه ومع أبناءه من بعده كسيدي محمد ومولاي الحسن ومولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ، وعرفوا له حقه وحرمه وقدره ورفعة رتبته... وكانوا يستضيفون برأيه، وفعلوا معه من التبجيل والتعظيم والإكرام ما يعلمه الخاص والعام، حتى إنه لم توجد مدينة من شنجيط إلى وادي نون إلى الصويرة إلى مراكش إلى فاس إلا وله فيها الأمالاك والأبنية المعتبرة.

ومولاي الحسن أنسد له النظر في بلاد الساقية ونواحيها وجميع الشغور من الداخلة إلى إتحيدي بكل ما يلزم في ذلك ويصلحه، وكان مولاي الحسن رحمه الله لا يعمل في هذه الموضع إلا بمحشوره، من تولية وعزل وغير ذلك، فاستقر والدنا وشيخنا على ذلك، وأحيا تلك البلاد التي كانت مواتاً، وبني فيها، وحفر المياه.

ثم لما تولى مولاي عبد العزيز، أكد ما كان قبله من أمور والدنا، وزاد ذلك أضعافاً مضاعفة، وعمر تغـرـ الطـرـفـاـيـةـ، وجعل أمرها في يد والدنا، فكانت تـرـدـ طـلـقـنـ لـتـلـكـ الشـلـوـنـ، إـلـىـ أـنـ أـرـسـلـ اـبـنـ عـمـ مـوـلـايـ إـدـرـيـسـ أـوـانـ دـخـولـ فـرـنـسـاـ لـلـبـلـادـ الصحراوية؛ بأن يقابلهم ويكونوا عدمة في تلك الجهة لتنظيم الجهات، يدافعون فرنسا عن بلادهم، والسلطان مولاي عبد العزيز إذ ذاك يفاسـ. فتووجه من عنده مولاي إدريس المذكور، وركب من الصويرة في البحر إلى أن وصل الطـرـفـاـيـةـ، وأتـاـ بـدارـنـ في السـمـارـةـ، وعندـهـ كـتـبـ لـوـالـدـنـ بـأـنـ يـوـجـهـ مـعـ بـعـضـ أـبـنـائـهـ، فـوـجـهـ مـعـ الشـيـخـ حـسـنـ التـوـفـيـ في فـاسـ وـابـيـهـ الشـيـخـ الـوـليـ، وـلـبـتـ الـجـمـيعـ يـجـاهـدـ مـاـ شـاءـ اللهـ»<sup>(1)</sup>.

لكن التساؤل الذي يطرح في الأخير هو: لماذا قبل الشيخ مربيه ربه الاحتماء بالإسبان في طرفاية في الوقت الذي كان يدعو فيه إلى مقاطعة الأجانب؟

أكيد أن رفضه لفكرة الاتصال بالأجانب لم يمنعه من الدخول من حين آخر في

(1) - "الرحلة"، الورقة: 20.

مفاوضات غير رسمية مع الفرنسيين والإسبان على السواء، إلا أن هذا لم يغير شيئاً من عزمه الأكيد على مواجهة الاحتلال، إلى جانب إيمانه بالتبني في الوسائل والأهداف بين الاستعمارين<sup>(1)</sup>.

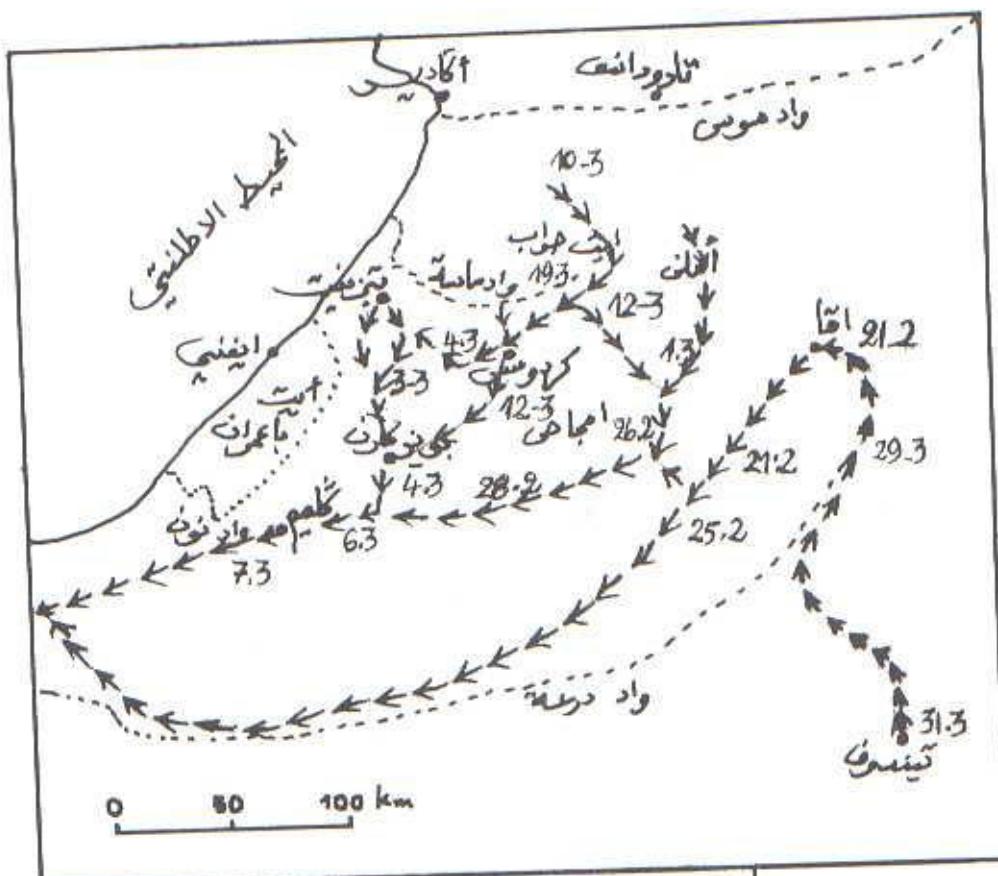
لذا تراه من جديد يواصل جهاده في مجال السياسة والعلم والتأليف ومناظرة العلماء، وهذه الروح العلمية جعلته يعرض على ربط علاقات متعمزة مع فعاليات محلية ووطنية وعربية<sup>(2)</sup>.

(1) - لم تقبل فرنسا هذا التحوجه، فأبرمت بعد شهور من وصيونه اتفاقاً مع إسبانيا من أجل تسليمها هو وعائلته، وبعثت سفينة إلى شاطئ طرفاية من أجل نقله، إلا أن السفينة أُصيبت بطبع لم تستطع معه الحركة وبقيت هناك، وبذلك فشلت المؤامرة المدبرة، وكان الشيخ مربيه ربه قد علم بهذا التأمر قبل عخيه السفينة فقال:

إِنَّ الْفَرْسَى حِمَايَةُ السَّلَامِ \* وَهُوَ الَّذِي يُحْسِنُ عَلَى الدِّوَامِ  
وَلَا يَبْدِلُ حِمَايَةَ السَّلَامِ \* حَسْنٌ وَلَحْنٌ فِي حِمَايَةِ السَّلَامِ  
وَبَعْدَ وَقْعَةِ الْحَادِثِ وَفَشَلَ الْخَطْبَةِ قَالَ قَصْيَةً طَوِيلَةً تَخَارِجَ مِنْهَا مَا يَعْرِفُ عَنْ هَذَا الْحَادِثِ، يَقُولُ:  
قَدْ جَاءَ الرِّبَّا وَكَفَّا \* غَدَرْ قَوْمٌ وَلَا يَرَى الْمَعْنَى  
قَدْ جَاءَ الرِّبَّا وَكَفَّا \* ظَلَمٌ لِمَلِلِ سَفِيفٍ وَشَوَّافٍ  
أَبْهَا اللَّهُجَى لِرِبَّكَ أَشَرَّ \* بِالْمَرْجَى وَلِوَرْمَنْكَ الظَّفَّارِونَ  
حَسِّبَكَ اللَّهُ ثُقَنْ بِهِ لَا تَخْفَى مِنْ \* حَادَثٌ إِنَّهُ الْقَوْيُ الْأَمَنَى  
بِرَسْلِ الْحَمْرَى يَمْسِكُ الشَّرَّ عَمَّنْ \* لَيْسَ يَأْوِيهِ غَيْرُهُ وَيَصْوُونَ

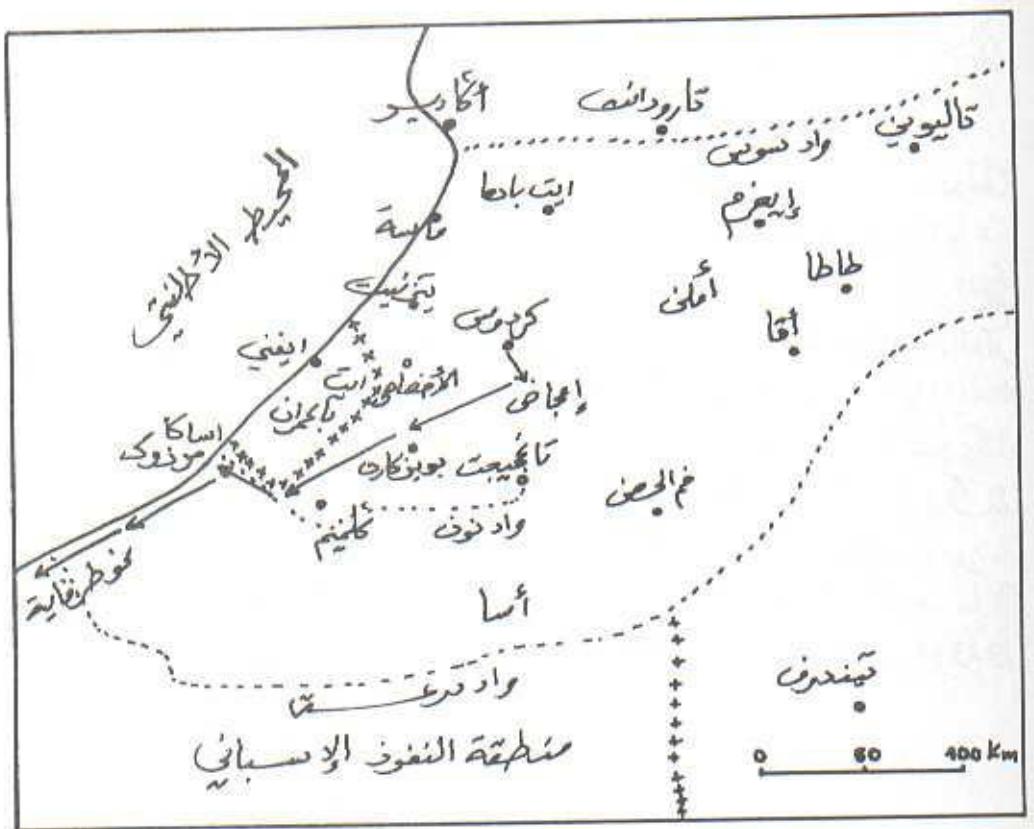
(2) - انظر مقالتي في صحيفة العلم، مصدر سابق.  
انظر: ماء العينين النعمة على: "الشيخ مربيه ربه: الوطني الوحدي زعيم المقاومة في الجنوب المغربي"، صحيفة أتوال، العدد 1332 - 11 ماي 1994.  
وانظر كذلك كتاب "العقد التعبى فى المقى من المسحال الشعري والنشرى الرصين" للشيخ مربيه ربه، ورقه: 95، خطوط خاص.

ملحق  
الخرائط والوثائق



12.3 تاريخ العمليات العسكرية  
«حرب العواطف القردنية»

عمليات احتواء الأطلس الصغير (فبراير - مارس 1934م)



مسار الشیخ مربیه ریه بعد خروجه من کردوس نحو طرفایه ۱۹۳۴

الحمد لله وحرر

وصل الدار على ملوك نيس بعمره

وبعد السلام (براسوني والتحيات العبار) كان الحسيني الى  
الجامعة التي كتبت الذكرى (قضية) (أرضية) (المهيبة) جماعة  
تيزنيت افتخار الله ورعاكم وآخيب مدينتكم فهم مجدهم النيل لعلام  
اندفاد خبرها كغيرها لخيرها (المخ) وأفحوا والذاتي الدار  
التي يذكرها (نسمة) (بلدة) (تفصيدها) بالغبوا والتوفير والاحتلال والربيع  
يعود علىكم يتصوّر (النيل) (النيل) (النيل) (النيل) (النيل)  
بلج (جي) (اهلي) (ازنقون) (ازنقون) (ازنقون) (ازنقون) (ازنقون)  
لم يفوت منه فخرها وكم يذكر نيلها ملوكها وما ذنبه (النيل) (النيل)  
يرى (يحيى)  
يذكر (يحيى)  
يحيى (يحيى) (يحيى) (يحيى) (يحيى) (يحيى) (يحيى) (يحيى) (يحيى) (يحيى) (يحيى)

الحمد لله رب العالمين الشیخ حماد العینی  
كان ذلك له ولهم وتحمیم المنهل من امیس

رسالة من الشیخ احمد الطہیۃ إلى أهل تزنت (نسخة خاصة)

الطباطبائي (الميزان)

احمد بن مسند الشعبي ، العيني  
كان له كتاباً في الحديث ، وكتاباً في العقائد

رسالة من الشيخ أحمد الهيبة إلى الشريف السيد محمد بن هاشم (نسخة خاصة)

الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله وآل محمد

أبا قتادة الرازي الأفغاني (راشتة) الراغبى (الراشى) العصيم الثانى  
التربيعى السير محمد عز الدين الله روى الفضاحى أبا قتادة وعز الدين  
الله عليه سلام على شاتح ورحمة الله تعالى به كذا  
ما حاد الكون وحرر كلاته وسكناته ثم حجبه إلى زعيم  
ائمه وفتح ملائكته الفجر عمليته بتيسير نبيه في انتصار عشر بي  
من ذا عونيه للمعبلاه مع جمجم من العقده والجذور  
مثله بمعذيباته (طريقها) الملاعيب ونحوه من الناس  
أو يخرج عن هكذا التواضع ببراعة جمع حكمه في شئون  
عده فرائضه في بدراته مسبلاً على يديها جبار الله  
هذه بالخصوص أبا قتادة وكيل علیه ما عليه كثيرون جميع العهد  
بدليمه على المصيبة والصلال في دام شرارة عاص  
لرحمه أحبه شيخ السبطين صاحب العينين<sup>1329</sup>  
في الصالحة كذا ولا حسنه كذا ، إلخ

رسالة من الشيخ أحمد الهيبة إلى السيد محمد بن عبد الله بن القاضي (نسخة خاصة)

الحمد لله رب العالمين



خط الائمه والتابعين

لنسا الريكة فميمون المتصحي وابن حمزة التعمسي العسقلاني  
بنزرو في الأسبيل يعقوب بوعبد الله الله عليه السلام صاحب علّة تلاع جموج  
العلم راغب العنكبوت في طلاقه على ابنه منصور بن عبد الله فؤاد وبيكت  
راغب الله الخديرو المفتى وشقيقه منصور فكتور على بنه منصور فؤاد  
على الجبلة والرسنة الحمد لله ويعتبر (لا فتح بارلا) حادثة العصبة (العصبة)  
وتنبع هذه نسبه الواهية وشقيقه بير (فيفيل) الذهلي وشقيقه  
مراله خول (جعفر) (الكلبر) سرمهانه فغبر وشقيقه ماله  
مراله غضران (زهرا) (فقرالدوس) (جعفر) هروا ماز (و فضول) (جعفر) (الذئب)  
والذئب والذئب عصبة الله وابنه منصور (الذئب) وعصبة العصبة وكاظم  
تنفسنا صالح (الراهن) عصبة في جميع (الأنفع) (بيه) (باتنها) (النفس)  
جاء في سلجماء ١٣٣٨

رسالة من الشيخ مرعيه ربه إلى الفقيه السيد عمر بن زاوية السيد يعقوب (قبيلة إيدال)

(نسخة خاصة)



قبر خواجہ اسوقی  
بمسکنہ خلیلی  
بلوں بھولنا را فتح  
الصلح و لائکن کر کے  
کلادیا مرکار کا بستی  
سینے ملا جو تھوڑا اور  
الله و سخن لے  
علیہر قلمبندی اور  
الی جو ورلی اللہ امیر

رسالة من الشيخ مربيه ربه إلى قبيلة "آيت الخمس" بآيت باعمران (نسخة خاصة)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله علی مَنْبُوبی بُصْرَه



الحمد لله رب العالمين أصلح أهل بيته رعاكم الله رب العالمين  
سلاطين ورجال الدين ورجال العزائم ورجال العصافير ورجال العصافير  
أجل العصافير ورجال العصافير ورجال العصافير ورجال العصافير  
الجبل العظيم والجبل العظيم والجبل العظيم والجبل العظيم  
والجبل العظيم والجبل العظيم والجبل العظيم والجبل العظيم  
والجبل العظيم والجبل العظيم والجبل العظيم والجبل العظيم  
والجبل العظيم والجبل العظيم والجبل العظيم والجبل العظيم

رسالة من الشيخ مرعيه ربه إلى قبيلة آمن (نسخة خاصة)

لِحَرَامَةِ وَهُرَيْ

وَصَلَّى اللّٰهُ عَلٰيْهِ وَسَلَّمَ



يعلمون سكورة زند عذارى الله فرقة وجعلوا العادات كلية ونشر  
الكتاب / إن اتنا نور الله وقوته وسلامه ينبع وفتحت روحه علينا لانه الفطلع الملموس بكتابنا  
هذا السير عبد اللطيف حروم بالله الشفاعة لحرام مسيحي في جميع الارواح  
يعطيه الله شارة كمالاً بعد كل روح منه بالاتفاق لا ينكره العصبة الاخرين ونحوهم  
الذين يسعونها اليه من شرب الارواح وآكلها كلياً كلينه لغيرها جميع نعماته  
وأي يسعي به الجم الغيم من الناس صدر به لذ نذ العذاب لهم بالله في مرض يرجى  
النبوي عالم النبوي عالم

إجازة الشيخ مربيه ربه للسيد عبد الله بن السيد محمد بن أحمد الجرسيفي  
(نسخة خاصة)



الر يكمل سعى نتسوئ موسم المؤود لاستئناف سعي قبل المسلمين  
وجموع العجل مدبر خصوصاً أية عدهم، صراحته وورقتة فما كان  
إما بحد جنونه ليك بذلك العنة ويراتقها وحسر مواده الشفاعة وإن  
زنكونوا ربيلاً أو اغترفاً على اعتقاد اللهم وبخجلوا واحداً من نداء  
أعيانكم وتبذلوا أعيانكم وسخنكم قاتل تعلي وجهكم ووجهكم وإن  
الله حفظ جهادكم وخلال جهادكم فلديكم أن تنصروا الله بغيركم  
ويثبتوا قدكم وفعال جهادكم الذي انتصروا عليه وأصلحوا  
ورأبلاكم وانتقو الله لعلكم تعلمون وخلال إنصروا أحدكم وإن  
ترشداً إزدواج حجه زوراً فلهم الله باسوانا وانصتنا ولأنكم خمس  
رجمة، كنت فلكم وفؤاد ولا تخفوا ولا تخزنوا أو انتزروا عذابكم  
ولأنكم سمعت وفؤاد ولا تفتراز على واقع بقى شفاعة أو تذرعوا وخدعكم  
فوتكم وشكراً برب حقولكم الجدار ببعض الموس وكونوا مستقرين  
لما متصوا لكم وآدموا المسؤولية والحكمة بيد واحدكموا  
بردة وردوا المظاهر واعييكموا الله لكم لنعم واحذروا  
ازهر بيته مع حمالاته قاتل تعلي وبمحبه الله إلى بيته ابنه  
الهدى علته واحذروا الزينة والغرابة والتفاهة  
وبكل ما فيكم فحكمكم للحد واحتفلوا للسماءين ولا تقيموا  
سراحتكم لاما يفتحكم رؤاً عذراً ومني بعد بخز وامنه ما احعلت  
قبيله يد المسلمين من حماة قاتل لهم غيركم لك مما لا يحيط بهكموا  
لهم يحصلكم صوارض لا شر يحيى إن شاء الله لتنفذوا كلامكم وندفع  
الله حروافعل وأصلحكم ما تخلع بالسلال وربع الفجر عالمكم

الشَّهْرُ الْمُبْرُوكُ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاتَّخَذَهُ مُحَمَّدًا



الْمُبَارَكُوْمِي (لَا يَبْرُرُ الْعَقِيقَةَ الْعَلَاقَةَ لِلصَّبَرِ) لِأَنَّمَا لِتَشْرُفِهِ مِنْ أَنْ يَنْجُو النَّاسُ  
رَسِيرُهُ، رَعِينُهُ وَرَفِيقُهُ لِلَّهِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَمَّتْ رَبِّهِ وَعَزَّلَ فَرِيقَهُ كُلَّهُ  
مِنْ يَدِ بَرِّهِ بِإِحْرَانٍ (لَا يَمْلِمُهُمْ الْعَذَابُ إِذَا هُمْ يَرَوْنَهُ) مُنْتَهِيَّاً إِلَى الْكَنْزِيَّةِ  
كَفَرَ بِهِ فَنَرَى كُلَّهُ مِمَّا تَرَجَّعَ إِلَيْهِ تَعْلُمُ بِأَيْمَانِهِ وَيَعْلَمُ بِهِ خَلَالَهُ (لَا يَهْدِي  
وَلَا يُهْدَى فِي إِنْدَنْسَكِرْجَارِيَّةِ الْأَصْلَاجِ) فَلَمْ يَعْلَمْ لِلَّهِ بِرِّهِ سَهْلَهُمْ حَدَّهُ، لِأَنَّهُ يَرِيدُ  
الْهُبَّةَ لِلْمُسْتَحْسَنَةِ لِلَّتِي كَلَّتْ أَرْكَبُهُ وَسَبِيلُهُ لِلْعِزَّةِ لِكُلِّ الْحَسَنَةِ (لَا يَخْلُقُ  
مِنْ لِزْمَهُ لِلْأَكْدَارِ) وَلَوْ دَرَّ الْمُقْرَبُ لِلْأَكْلَارِ لِيَقْنُو لِلَّهِ بِرِّهِ كَتَبَهُ وَلَدَعْ حَبْكَتَهُ وَمُؤْدَقَتَهُ  
رَعِيَ الْمُبَهَّةَ وَأَدَمَهُ لِمَ (لَا يَجْعَلُهُ) - فِي عَامِ ١٣٥٣

رسالة من الخليفة السلطاني بخطوان سمو الأمير مولاي الحسن بن المهدي  
إلى الشيخ مربيه ربہ (نسخة خاصة)

الدورة الخامسة لدرازفاف الدارالبيضاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(一)

بخاران کے من تدریس میتوں پر فلسفہ، علم اسلام، ادب اسلام و ادب اسلامی سالہ ۱۹۷۵ء

مختصر ملخص المختصر لكتاب العليل السعير و به ربه المتمم

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته  
اما عن مقرر علمي بالكتاب المقدس، من مصلحتك ملائكة مرسلة لرغم سلطاته وحكم  
لهم، من المسائل على البخاري - ٤ - ٤ - ٤ - ٣ - ٤ - ٤ - ٣ - ٧ - ٨ - ٩ - ١٥ - ١٦ (الراجح)  
من المسائل على الموكا، العبر، الشافعى من دليل الرسالات بالروايات تتفق جميع مجلداته  
في مات اورفق جمع به من مسائل وبيانات ابشار بين ٤ والسبعين المترافقين وفيه  
ردود على اسئلة علماء وبيانات راسخة وبيانات ملخصة في مقدمته  
وتفصيم وبياناته، اذابها كلها مع الاقتباس، مجردة ٤ شات الخوفنة، كما سمعت من صدر منهج  
حربيت ارقى وارفعها وبياناته من مزيد الاطلاع، كما يرسمه كتبنا ٢ ابرار للخلافة (المغفولون)

(مـدـیـس)

رسالة من السيد عبد الخالق الطريبي إلى الشيخ مربيه ربه (نسخة خاصة)

## **التمازن الاجتماعي والثقافي بين سوس والصحراء المغربية**

شيبة ماء العينين (\*)

\*\*\*\*\*

لسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.  
في البدء أريد أن أوجه الشكر إلى كل من ساهم في تنظيم هذا اليوم الدراسي  
الثقافي الفكري، وأخص بالذكر:

- المجلس البلدي لمدينة تزنيت.

- مؤسسة الشيخ مرسيه ربه لاحياء التراث والتبادل الثقافي.

- السلطات المحلية.

- كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير.

- وجميع الأساتذة المشاركون.

إن هذا اليوم مظهر من مظاهر التمازن الثقافي والفكري ما بين الصحراء المغربية  
وسوس العلامة، والذي يصعب حصره في زاوية و وقت محدد؛ لأنه متعدد الأبعاد  
والأهداف، فهو تمازن ثقافي وروحي، وسياسي وجهادي، واقتصادي وتجاري، من هنا  
يصعب أن يفصل الإنسان بين ما هو سوسي وصحراوي في إطار العمل الوطني بشكل  
عام، بحكم التقارب والجوار.

وقد بلغ هذا التمازن ذروته عندما احولت الجيو بالغرب في أصعب المراحل؛ لأن  
خلفية مواجهة المد الاستعماري كانت من سوس، فقبل الحماية تصدت قبائل سوس  
للباخرة الألمانية وللمحاولات الإسبانية في الجنوب، وهذا التحرك كان له بعد جهادي  
وسياسي وعلمي وديني.

لذلك أقول: إن تاريخ هذه المنطقة لا زال لم يكتب بالطريقة التي ينبغي له أن  
يكتب بها، تكون أول منطقة انطلقت منها الرصاصة الأولى لمواجهة المستعمر هي  
سوس، وتزنيت التي توحد بها اليوم تعتبر عمرا ضروريا وحتميا لكل من يريد أن يدرس  
المقاومة المغربية وتصدي العرش والشعب المغربي للمستعمر الأجنبي.

---

(\*) - خاص - الرباط.

ترنيت والقبائل السوسية بصفة عامة هي أول من حمل السلاح، ثم هي آخر من وضع السلاح أيضاً، وما يؤكد ذلك هو أن معركة بوغافر كانت سنة 1932، وبلقاسم الشهادي التحق بسوس بعد نهاية مقاومته سنة 1932، وحركة موحا أو حمو الزيني انتهت سنة 1919، وعبد الكريم الخطابي سنة 1926. في حين ظلت المقاومة هنا في سوس متواصلة حتى شهر مارس 1934.

إلا أن ما يميز حركة المقاومة داخل المغرب بصفة عامة هو كونها حركة جهادية صرفة في مواجهة الاستعمار، أما في سوس والصحراء فتجدها حركة جهادية مسلحة، وحركة علمية أيضاً. فقد كانت هناك مدارس علمية متعددة تخرج منها علماء كبار، كما كانت حركة روحية؛ لأن الطابع الديني والروحي كان مهيمناً على المنطقة بصفة عامة، باعتباره يعكس الشعور الوطني الحاد في هذه الجهة الجنوبية من وطننا.

هذا التمازج الذي ظهر به الشعب المغربي في الصحراء والشعب المغربي في الشمال، مثلاً في قبائل سوس، ألمّر لنا منحمة نضالية خاضها الشعب المغربي في وجه المد الاستعماري وفي وجه عدو يقهه إنساناً وفكراً.

بالإضافة إلى هذه المدرسة الجهادية والفكرية والدينية، هناك كذلك مدرسة اجتماعية حصل فيها ثمازج كامل من المفكرة إلى المعاشرة إلى المطلب إلى رجل الشارع العادي.. فكل من كان في كردوس من قبائل الصحراء تعلموا اللغة الأمازيغية، وقد كان عند جدتي دفاتر يكتب فيها النساء هذه اللغة، ويُذكر لنا أن الرئيس الحاج بلعيد كان يغنى بالشعر العربي الفصيح، ومن حملته البيت المشهور للمنتقد:

ومن يجعل الضراغم باباً لصيده \* تصمد الضراغم فيما تصيده  
يضاف إلى هذا أن بعض أبناء الصحراء أدخل اللغة الأمازيغية إلى الشعر الحساني،  
فنظموا قصائد تتضمن أبياتاً بالحسانية والأمازيغية، وهذا يبين أن التمازج الفكري  
والحضاري والثقافي وقع على جميع المستويات، ويعطينا الدلالة على أن هذه النهضة  
الحضارية والجهادية التي عرفتها منطقة سوس كانت لها جذور في نفوس كل المواطنين  
وطلت مستمرة إلى اليوم.

وإذا كان العديد من رجالات الصحراء قد جاهدوا وحملوا السلاح في سوس، فإننا نجد في بداية المقاومة وجيش التحرير رجالاً من سوس ذهبوا إلى الصحراء لقيادة جيش التحرير وحمل السلاح في مواجهة المد الاستعماري. وهذا التلاقي والتمازج في إطار العمل السياسي والفكري ظل مستمراً دون انقطاع.

وإذا وصلنا إلى سنوات الستينيات نجد الكثير من المهاجرين من الأقاليم الجنوبية (الساقية الحمراء ووادي النهف) في منطقة سوس، في ترتیت أكادير إفني إفران بوير كارن الأحصاص تأثراً بثورة ماسة. وهذا كلّه يعكس واجهة من تلامس الشعب المغربي الموحد من طنجة إلى الحوزة.

أما التمازج على المستوى الاقتصادي، فنحن نعرف أن الصحراء ضعيفة من هذه الناحية، والتجار الأساسيون الذين قاموا بدور كبير في ازدهارها كانوا من منطقة سوس، سواء أيام الاستعمار أو في ظل الاستقلال، وهذا معناه أن هذا التمازج السياسي والاقتصادي والبشري ظل مستمراً ومتواصلاً بشكل يصد المستعمرون من جهة، وبشكل يبني العطاء الفكري والثقافي والاقتصادي لبناء الوطن من جهة أخرى.

وقد شيد هذا بفضل رحالت جديرين بالتقدير والإكبار وجديرين بالخادهم قدوة للشباب الصاعد والجيل الوعاد حتى يترسموا خطاهم، ويعرفوا تاريخ بلادهم، ويطلعوا على الدور الذي لعبه رجال هذا الوطن، هذا الدور الذي لازال لم يتناول بالشكل الكافي من الدارسين والباحثين.

وهنا لا بد أن نذكر بالجهد الهام الذي قام به المحترف السوسي في جمع الكثير من تاريخ هذه المنطقة، بالرغم مما قد يقال عن بعض الروايات، ولكنه جمع لنا حقيقة أساسية، ورصيداً مهما لكل الباحثين لهم أن يرجعوا إليه وينقحوه ويخلوه. ولكنه حفظه من الضياع، وضمن لنا معه عدم ضياع الرواية الشفوية بشكل حافظ به على اسم منطقة سوس والصحراء. إنه رصيد ثقافي فكري، علينا جميعاً أن نرويه ونسطره، ونتهلل من معينه، لنعرف المراحل التي مرت بها بلادنا على مختلف الملاحم.

وفي الوقت نفسه، لا يمكن أن تكون ظاهرة من هذا النوع دون أن نذكر الجهد الهام الذي تقوم به كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، وكذلك الدكتور عباس الجرارى الذي يرجع له الفضل في توجيه الباحثين والدارسين والطلبة - ومعنا العديد من طلبيته - إلى دراسة أدب الجنوب بصفة عامة، والأدب السوسي والصحراوي بصفة خاصة، بشكل قربه من الأذهان، وبعثه من مرقده، ونفض الغبار عنه، بعد أن كانت يد البلى أن تعصف به.

لذا، على الجيل الحاضر أن يرجع إلى هذه المرحلة ليبعث تلك الصفحات المشرقة من تاريخ بلادنا، التي تعكس مدى تمازج الشعب المغربي وأقاده جهادياً وسياسياً واقتصادياً وروحياً وثقافياً، بشكل يخصه من الدعايات المغرضة التي أصبحت للأسف تنخر جسم وطننا الموحد.

إن مثل هذه التظاهرات الثقافية والفكريّة من مثل هذا اليوم تشكّل لبنة من اللبنات الأساسية التي تبنيها الطبقة المثقفة في بناء فكر الأجيال الصاعدة، وتحصين مستقبلها من الاجتثاث والبُرْ عن ماضيه.

وبالمناسبة، لا بد من التذكير بأنّ هذا التوجه هو الذي ركز عليه جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله عندما طرح مسألة الجهوبيّة، وأكّد على أهميّة التراث الجاهوي والإقليمي والحضني، وضرورة بعثه والالتفات إليه. لذلك لجأ مطالبون بالبحث عن قيمنا لاحيائنا في عهد العولمة والغزو الثقافي والحضاري الذي بدأ يدخل بيوتنا وكياناً، ويعاول أن يبعدنا عن مصالحتنا وقوتها.

فلتحصّن جميعاً بالرجوع إلى قيمنا وما تركه الإسلام لنا من مفكّرين ومجاهدين وعلماء وأولياء وصلحاء، الذين كانوا فعلاً الحصن الذي حصّن الإسلام في هذه الربوع التي تعرضت للغزو الأجنبي: البرتغالي، والإسباني، والإنجليزي، والفرنسي؛ ومع ذلك ظلت وظلّ المغرب محفوظاً بفضل رجالاته الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى ثجباً، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبدلاً.

وأؤكد من جديد على أنّ هذه التظاهرات تعتبر ضربة لخصوم وحدتنا الترابية الذين يحاولون أن يفصلوا ماضي الصحراء وماضي رجالاتها وسكانها عن ماضي وتاريخ الشعب المغربي من طنجة إلى الطحوية، فتنظيم أيام دراسية من هذا النوع، وعمل ثقافي أو سياسي له أكثر من بعد يتجاوز بعده الثقافي والجهوي إلى بعده الوطني والقومي والروحي، وبثبت أن الشعب المغربي موحد في خل الدولة العلوية الشريفة، من طنجة إلى الطحوية، قام بمواجة المد الاستعماري في القرن التاسع عشر في معركة الداخلية سنة 1884، وقام بمعارك هنا في تزنيت وأكادير وإفني وفي جميع الجهات الأخرى، كما تصدى للاستعمار في موقعة إسلي وموquette تطوان... .

وطلّت معارك المغرب مستمرة، شارك فيها أبناء الصحراء، كما شارك فيها أبناء سوس، وأبناء الشمال، وأبناء الأطلس؛ فتариختنا ملحمة مستمرة، وسننطلق في خندق الكرامة واقفين ثابتين، ومدافعين عن وحدتنا الترابية وعن ديننا وحضارتنا وقيمنا، خلصين لما ورثناه من أجدادنا، حتى نظلّ جميعاً مواطنين أحرازاً في وطن حر هو المغرب الموحد من طنجة إلى الطحوية.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

**سبيل الاقتناء بجهود الوحدة والإجماع**  
**قراءة في مكتاب الشيف ماء العينين: "دليل الرفاق على شمس الاتصال"**

محمد عيتاق (\*)

\*\*\*\*\*

السيد رئيس المجلس البلدي المختار.

السيد رئيس مؤسسة الشيخ مربيه ربه لاحياء التراث والتبادل الثقافي المختار.

أسرة الفقيد عني بن الشيخ مربيه ربه المشمول برحمته الله.

السادة آل ماء العينين الشرفاء.

الحضور الكريم.

يسعدني غاية السعادة أن أشارك في هذا الملتقى الثقافي الذي تنظمه مؤسسة الشيخ مربيه ربه لاحياء التراث والتبادل الثقافي، بتعاون مع المجلس البلدي لمدينة تزنيت، تكريماً للقائد الأديب والمقاوم ماء العينين علي مربيه ربه، وعرفاناً بدوره العلمي وال الجهادي في سبيل وحدة الوطن... وهي مناسبة غالبة لصلة الرحم بين أبناء هذه المنطقة الجنوبية من جهة، وإنجوانهم في باقي جهات المملكة المغربية من جهة ثانية، وهي سنة حميدة دأب عليها الآباء والأجداد، وسوف نحرص على التمسك بها إن شاء الله تعالى إلى ما شاء عز وجل.

وأود في هذا السياق التذكير باللقاءات التي كانت تتم - حلال مختلف حقب تاريخ هذا الوطن - بين علماء وأعيان المراكز الثقافية الجنوبية وإنجوانهم في مختلف المراكز العلمية بشمال المملكة، بدءاً من سوس حتى أقصى الشمال، مروراً بالصويرة ومرأكش والرباط وسلا وفاس وتطوان وغيرها... كما أذكر في السياق ذاته بالراسلات العلمية والأدبية والفقهية والأخواتية التي كان يتبادلها هولاء وأولئك.

إن مثل هذه اللقاءات - إضافة إلى ما سبق - تعد حلقة من حلقات عمل وطني واع وصادق يتغنى استكمال تحقيق الوحدة الثقافية بين مختلف جهات المملكة، خاصة بين شمالها وجنوبها، بعد أن تحققت الوحدة الترابية.

(\*) - أستاذ باحث - آسفني.

في هذا الإطار سأدي بمساهمة متواضعة سميتها: "سبيل الاقناع، بوجوب الوحدة والاجماع"، وهي عبارة عن قراءة تفصيلية وتركيبيّة لعنوان ومقدمة كتاب قيم في الفقه، لا وهو: "دليل الرفاق، على شمس الاتفاق" للشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن ماسين الذي يتصل نسبة المشريف به دريس الأكبر، ثم بعد الله الكامل، فالحسن الشثي، فالحسن السبط بن علي وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والشيخ ماء العينين «من كبار الشيوخ البارزين الذين عرفهم الصحراء المغربية في أواسط القرن الثالث عشر الهجري، وسارت بذكراه الركبان في كل مكان حلها أو تزول بها في طول البلاد وعرضها، فطبقت شهرته الآفاق، وسمع بذكراه الداني والقاصي، والحاضر والبادي على السواء، فتألق اسمه في سماء العلم والمعرفة بين الناس، كشيخ وعالم وفقه ومحدث وأديب ومتصوف وقائد في ميدان الحرب وبجاهد على رأس المهاجرين في ساحة الوعى والقتال، ورائد إسلامي لا يشق له غبار في حلبات العلم والمعرفة وفوق منابر الخطابة والتوجيه والإفتاء وفي حلقات الوعظ والإرشاد والتربية، وصاحب كرامات ظاهرة... يضاف إليها ما عرف عنه وبه عند الناس من فضل وكرم وسمو أخلاق وسخاء وبذل وعطاء... الخ»<sup>(١)</sup>.

ولد الشيخ ماء العينين في أقصى بلاد الجنوب المغربي بعاصمة الحوض من أبوين عظيمين في الحسب والنسب... ونشأ في أحضانهما فتعلم من العلم ما تعلم، وتنقذ وتتلمذ على والده الشيخ محمد فاضل، وانقطع إليه انقطاعاً كلياً، فامضى الشطر الأول من حياته في الأخذ والتلقى بين أهله، وأمضى الشطر الثاني في النظر والطالعة لمختلف الكتب، مع التدريس والتاليف، إلى أن توفي -رحمه الله- بعد عمر مديدة ليلة الثلاثاء 21 شوال الأبرك من سنة 1328هـ في الجنوب المغربي بمدينة تزنيت، بعدما صلب المغاربة مع الناس، ولم يكن يشكو لما، أو حل به مرض قبل الوفاة.

رحم الله الشيخ، وسكن قبره بهاطل رحماته.. لقد كان عصامياً، نابغاً في كل فن من فنون العلم التي التفت إليها.. يدل على ذلك ما حلقه -رحمه الله- من كتب أفتتح المخرانة الإسلامية يصعب حصرها ويطول تعدادها، ويعتبر كتابه "دليل الرفاق على شمس الاتفاق" أهم كتب الشيخ في باب الفقه والأصول..

(١) - "دليل الرفاق على شمس الاتفاق" ، تحقيق: أحمد يحيى البعلبكي: ١/٢٣ (ج).

فالدليل في الاستعمال اللغوي هو المادى والموجه والمرشد الذى تحصل باعتماده المعرفة بالقصد، وبواسطته يتجنب الضلال والتىه والزيف والرلل<sup>(1)</sup>... وما إلى ذلك. فمعانى النقطة - وهي الأولى في صيغة العنوان - يطفى عليها المعنى التوجيهى، وهذا شيء طبيعى لاعتبارين:

الأول: لأن المصنف في الفقه يوضح الحال والحرام، والمباح والمكرور، والجائز والمستحب، وما إليها من أحكام شرعية، وهي كلها أمور لهم المعاملات.

والثانى: لأن المصنف يتدرج في إطار المشروع الإصلاحى العام للشيخ ماء العينين الذى يتغنى تحديد الوضع الدينى في الساقية الحمراء، ووادى الذهب، وبث الإشعاع الإسلامى بين ربوعها، «فلما أقام بها الشيخ ماء العينين وجد الدين غريبا، والحق نكرة لا تعرف، والسنة مهجورة، وأركانها مهيبة مكسورة، قد خفت آثارها، وخبت أنوارها، فالفرض فيها مرفوض، وعهد الله على عباده منقوض، والتدب فيها غير مندوب إليه، والباطل موثوب عليه، والصلة فيها ضائعة، والبدع فاشية شاسعة، والهوى متبع، وذكر الله غير مسموع، فتدارك شيخنا (رضي الله عنه) الدين الغريب، وأحيى السنة فيها، وأقام أركانها وقواعد مبانيها، وأوضح طامس آثارها، واقتصر زناد أنوارها»<sup>(2)</sup>.

إن مشروعًا كهذا لا يستطيع شخص عفرد أنه يقوم به، بل لابد في البداية من تكوين خلية من الرجال يجعلها نواة يمكن الانطلاق منها والاعتماد عليها في تقوية وتعزيز امتدادات حركة هذا المشروع وتوجهاته.. وهذا أصل إلى المفردة الثانية في صيغة هذا العنوان، ألا وهي: "الرفاق".

والرفيق في اللغة: الصاحب في السفر خاصة، والرفقة يسمون كذلك ماداموا منضمين في مجلس واحد ومسير واحد، فإن تفرقوا ذهب عنهم اسم الرفقـة، والرفقة: القوم ينهضون في سفر يسيرون معاً ويتركون معاً ولا يفترقون<sup>(3)</sup>.

هذه الدلالات التي تحيل بها المفردة لا يمكن فهمها بعزل عن السياق العام وعن التوجهات الأساس للدعوة الشيخ ماء العينين الإصلاحية، فقد أسس - رحمه الله - زاويته في الصحراء للمواحة بين القبائل وبين الأفراد دون أن يعتمد على «عصبية قبلية أو سند

(1) - "السان العربي"، دار صادر، مادة: دليل.

(2) - "سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان"، ماء العينين بن العتيق، الورقة: 94.

(3) - "السان العربي"، مادة: رفق.

اجتماعي خاص، بل الخذ من كل القبائل سنتا لراوته دون مراعاة لأي اعتبار سلالي أو عرقي، هدفه في ذلك حلق نوع من التأسي والتآلف بين الجميع»<sup>(1)</sup>.

فانضم إليها جم غفير من أهالي الصحراء لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل، ولا أبالغ إذا قلت: إن أغلب أهل الصحراء كانوا من مریدي الراوية المعينة، منهم طامع إلى علم الشيخ، ومنهم طامع إلى عطائه.. وقد تلمند على يديه -رحمه الله- جم غفير من فطاحل الصوفية في الجنوب وطلاب العلم والمعرفة والمریدين الذين يعدون بعشرات الآلاف، وتخرج على يده من كلا الصنفين عدد كبير من أكابر العلماء في الشريعة والحقيقة، فكانت حلقات الدرس والتربيـة والوعظ عنده عامرة طوال السنة، تؤمـها جمـوع الـوافـدين من مختلف طلـاب الـعلم الـآتـين إلـيـها من كل حدـب وصـوب عـبر مـسـالـك الصـحرـاء الـوعـرة..

كما كانت تغشـى تلكـ الحلـقاتـ أيضـاً الألـوفـ المـولـفةـ منـ المرـيدـينـ العـاكـفـينـ عـلـىـ حلـقاتـ الذـكـرـ الـذـيـ يـمـلـأـ صـداـهـاـ الـخـاقـينـ..ـ لاـ كـضـاطـ هـذـهـ الـحـلـقاتـ بـالـمـرـيدـينـ وـالـطـالـبـينـ الـمـقـيـمـينـ عـنـدـ الشـيـخـ وـالـنـازـلـيـنـ فـيـ ضـيـافـتـهـ،ـ فـهـوـ يـقـومـ بـشـوـونـهـمـ جـمـيعـاـ مـاـكـلـ وـمـشـرـبـ وـمـلـبسـ وـمـسـكـنـ وـتـرـيـةـ وـتـعـلـمـ،ـ لـاـ فـرـقـ عـنـهـ فـيـ ذـلـكـ بـيـنـ هـؤـلـاءـ الـمـقـيـمـينـ دـوـمـاـ وـبـيـنـ أـولـئـكـ الـذـيـنـ يـقـومـونـ زـمـانـاـ،ـ ثـمـ يـرـجـونـ..ـ وـبـيـنـ خـاصـ وـعـامـ مـنـ كـلـ الـذـيـنـ سـاـلـتـ بـهـ إـلـيـهـ تـلـكـ الـأـبـاطـعـ الـصـحـرـاوـيـةـ<sup>(2)</sup>.

لقد استطاع الشيخ ماء العينين -طيب الله ثراه- أن يجعل من هؤلاء جميعهم رفاقا بكل ما تحمله الكلمة من معنى ومعنى، وقد تأتي له ذلك:

أولاً: عن طريق إقناعهم واقناعهم بوحدة المصير الذي تزول إليه جميع المخلوقات، ذلك أن الإنسان فوق هذه البساطة مسافر -لا محالة- نحو دار البقاء والخلود في رحلة قد تطول وقد تقصر.

ثانياً: عن طريق إقناعهم واقناعهم بوجوب ملازمته باعتباره شيخا، في الحال والترحال، وذلك راجع إلى طبيعة الحياة في الصحراء من جهة، وراجع من جهة أخرى إلى ما تستوجهه ظروف الدعوة من انتقال إلى الأهالي والإقامة بينهم لمدة من الزمن...

ثالثاً: عن طريق إقناعهم واقناعهم بضرورة الاستمرار في تقوية الصف ونبذ

(1) - "الحياة الأدبية في الراوية المعينة"، رسالة دبلوم الدراسات العليا، محمد الطريف، كلية الآداب الرباط، ص: 70-71.

(2) - المرجع السابق، وكذلك: "دليل الرفاق"، ص: ٤٧ وما بعدها.

الشقاق والتأخي والتكتل والتوحد..

فالكتاب، إذاً، هو دليل للرفاقي على "شمس الاتفاق" و"شمس الاتفاق" هو عنوان المقطومة التي يتولى الشیخ شرحها في مصنفه هذا، وتلك العبارة مركب إضافي من نقطتين: الشمس والاتفاق.

فاما الشمس فهي ذلك الكوكب المعروف الذي هو أوضح من أن يستدل عليه بدليل، كما أن لفظة الشمس تقيد في اللغة<sup>(1)</sup> بمجموعة من المعاني، فهي ضرب من القلائد، أو ضرب من الخل، كما تعني كذلك معلق القلادة في العنق.

ويستفاد من هذه الدلالات جميعها اشتراکها في الأصلية على النور الساطع، والوضوح القوي، والجمال الأخاذ، والمكانة العظيمة، والدرجة العالية، وال منزلة الرفيعة... وأما لفظة الاتفاق فتقيد في استعمالها اللغوي<sup>(2)</sup> الملاعنة والموافقة والاتحام

والوحدة، ففي "اللسان": أُوقِّعَ الْقَوْمُ الرَّجُلَ: دُنوا مِنْهُ، وَاحْتَمَّتْ كُمَّتْهُمْ عَلَيْهِ، والمركب الإضافي يحيط على مجموعة من المعاني الاستعارية الرمزية والإشارية القرية والبعدة.

فمن معانيه القرية الإشارة إلى ما اتفق عليه العلماء الأصوليون الأحكاء الثلاثة:

- ابن رشد الحميد صاحب "بداية المحتهد ونهاية المقتضى".
- والإمام الصفدي صاحب "رحمه الأمة".
- والإمام الشعراي صاحب "الميزان الكبير".

فهذه الكتب القيمة الثلاثة - مع بعض الكتب الأخرى - هي التي اعتمدتها المؤلف - رحمه الله - أساساً لصياغة منظومته "شمس الاتفاق"، وقد صرّح بذلك في خطبة الكتاب.

ولكن بالنسبة لنا باعتبارنا باحثين، لا نقنع بالوقوف على الأمور الظاهرة فقط، بل نحاول - قدر الإمكان ودون تعسف - الغوص بعيداً بحثاً عن الثوابت التي تحكم في استحضار صيغة معينة للقول دون سواها، وتستدعي تركيباً لفظياً معيناً دون غيره. وفي هذا الإطار يدلينا أن لفظة الاتفاق هي الكلمة الحورية التي تدور في فلكها سائر مفردات العنوان موضوع المقاربة، فالاتفاق هو المحجة البيضاء، وهو نهج السلف الصالح التي لا يزيع عنها إلا هالت.

(1) - "لسان العرب"، مادة: شمس.

(2) - "لسان العرب"، مادة: وافق.

## والاتفاق نوعان:

الأول: جزئي، وهو ما تواضع عليه عدد قليل من الناس مع احتفاظهم بحق نقضه وإلغائه دون أن يترتب على ذلك ضرر مادي أو معنوي فادح، خاصة إذا كان محكماً بظروف زمانية معينة.

وأما النوع الثاني فهو اتفاق شمولي يلزم الجماعة من الناس مهما قيل عددها أو كثرة، فلا ينبغي لأحد الخروج عليه أو تجاوزه، وهو الذي اصطلح عليه أئمة الأمة بالإجماع، وقد عرفه أبو محمد بن حزم بقوله: «ما تيقن أنه لا خلاف فيه بين أحد من علماء الإسلام، ونعني بقولنا العلماء من حفظ عنه الفتيا من الصحابة والتتابعين وتابعهم من علماء الأمصار وأئمة الحديث، ومن تبعهم رضي الله عنهم أجمعين»<sup>(1)</sup>.

وعرفة السبكي يقوله: «هو اتفاق أهل الحال والعقد، أي المختهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أمر من الأمور»<sup>(2)</sup>.

ويقول أبو العباس بن تيمية: «والتحقيق أن الإجماع المعنوم يكفر عخالفه، كما يكفر عالٌف النص بتزكى، لكن هذا لا يكون إلا فيما علم بشوت النص به... فالإجماع مع النص دليلان كالكتاب والسنّة»<sup>(3)</sup>.

وإذا كان الإجماع بهذا الموضع العظيم في الدين اعتقاداً أو عملاً، فإن علماء الأصول قد أقاضوا في مباحثه والتدليل على حجيته، وجعلوا عالٌفه متبعاً غير سبيل المؤمنين استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشَاقِقُ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ أَهْدِي وَيَبْعَدُ عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ فَوْلَهُ مَا تَوْلِي وَنَصْلَهُ جَهَنَّمُ، وَسَاءَتْ مَصِيرَهُ﴾<sup>(4)</sup>.

وسبيل المؤمنين هو الاتحاد والوحدة والاتفاق والإجماع، ففي إطار هذه الرؤية، وفي إطار هذا التوجه يمكن فهم المرامي والطموحات الوحدوية المعنية الهدفية إلى بناء مجتمع إسلامي سني قوي يستطيع مواجهة التحدّيات الأجنبيّة، ويعيد إيجاد الأمة الإسلامية في عهد صفاتها، وقد تجلّت هذه الطموحات المعنية على صعيد الفكر، كما تجلّت على صعيد الممارسة الحياتية اليومية بشتى مناحيها.

فعلى صعيد الفكر أبرز الشیخ ماء العینین في كتابه هذا "دليل الرفقا"، كما في

(1) - "الاحكام في أصول الاحكام"، أبو محمد بن حزم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الافق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية 1983: 121/5.

(2) - "الابهاج"، السبكي: 349/2.

(3) - "الفتاوى"، ابن تيمية، دار عالم الكتب، الرياض 1991: 270/19.

(4) - سورة النساء، الآية: 115.

باقي مصنفاتة الفقهية وغيرها، آراءه الوحدوية في المواجهة بين جميع الاتجاهات الفقهية، والمساواة بين سائر المدارس والمذاهب التشريعية الإسلامية، وليس هذا فحسب، بل ذهب إلى القول بأن «الشريعة المطهرة لا خلاف فيها البتة، بل إنما نزلت على مرتبتين، لكل مرتبة قوم من الفريقين: مرتبة كأنها مشددة هي للأقواء، وأخرى كأنها مخففة هي للضعفاء، فلا الأقواء يرخص لهم في التزول لمرتبة الضعفاء، ولا الضعفاء يكلفون بالصعود لمرتبة الأقواء. ولا تجد قوله خارجاً عن إحدى المرتبتين، ولا شخصاً خارجاً عن إحدى الحالتين»<sup>(2)</sup>.

وهذا الحسم في مسألة الاختلاف -على الأقل من الناحية النظرية- يدل على معرفة الشيخ العصيّة وعلمه الراسخ بقطبي الفقه: الإجماع والاختلاف، فعن سعيد بن حبير قال: «أعلم الناس أنعمهم بالإجماع والاختلاف»<sup>(2)</sup>، وعن قتادة قال: «من لم يعرف الاختلاف لم يشم أنه الفقه»<sup>(3)</sup>، وعن عطاء قال: «لا ينبغي لأحد أن يفتى حتى يكون عالماً باختلاف الناس»<sup>(4)</sup>.

وقد نص الشيخ صراحة غير مرة على ما أجمع عليه علماء الله وفقهاء الأمة، وهكذا نصادف في شرحه عبارات من قبيل: «اتفق المسلمون على كذا...»، و«إنهم اتفقوا على كذا...»، و«اجمعوا على كذا...»، و«لا خلاف في كذا...»، إلى غير ذلك مما يطول استقصاؤه.

أما على صعيد الممارسة الحياتية اليومية، فيمكن رصد طموحات الشیخ ماء العینين الوحدوية من تاحیتین: الناحیة الإصلاحیة، والناحیة السیاسیة.

ففيما يخص الناحیة الأولى -وقد أشرنا سابقاً إلى بعض جوانبها- يمكن أن نصيغ عنصرین التین:

الأول: محاولته جمع كلمة الطرق الصوفية والمواجهة بينها؛ يقول: «إن الطرق وإن تعددت واختلفت، فمرجعها كلها لأمر واحد هو القناء في مشاهدة الله والنظر إليه عن كل ما سواه»<sup>(5)</sup>.

والثاني: قيادته لحركة الجهاد ضد الاستعمار، فقد كان هم الشیخ في بداية

(1) - "دليل الرفاق"، ص: 3.

(2) - "الإحکام": 135/5.

(3) - "المواقف للشاطئي": 4/161، دار المعرفة بيروت.

(4) - نفسه: 161/4.

(5) - "نعت البدایات ونوصیف النهایات"، الشیخ ماء العینین، ص: 11.

استقراره في منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب أن يوحد القبائل المغربية، ويكون منها قاعدة اجتماعية حصلية تستطيع مواجهة التدخل الأجنبي في المنطقة الجنوبية، وقطع الطريق على المستعمر الفرنسي الذي كان يتحين الفرصة للانقضاض على جموع الزراب المغربي، وقد استعمل مجموعة من الوسائل لبلوغ هذه الغاية، منها مساعدة القبائل المستضعفة، ومقاطعة القبائل الطالمة، وغيرها من الوسائل التي أعادت بناء الهيكل الاجتماعي الصحراوي، ومتى أواصر علاقاته الاجتماعية، وقد استكمل المشروع الاجتماعي المعين لبناته الوحدوية ببناء مدينة السمارة<sup>(1)</sup>.

وقد خلت هذه الزاوية في حركتها الجهادية والإصلاحية وفقة لالتزاماتها الوطنية، إلى أن تم التحاق الأقاليم الجنوبية بباقي الأقاليم المغربية في الشمال.

إن هذا الالتزام هو محور الطموحات الوحدوية المعنية من الناحية السياسية، فمن المعلوم أن حضور السلطة المركزية في جموع الأقاليم المغربية - ومن ضمنها الأقاليم الجنوبية - وغيرها الديبية والوطنية جعل الشيخ ماء العينين يضع يده في يدها، ويتعاون معها على تفريد مشروعها الوطني، فكان بذلك خيبة السلاطين العلوبيين في المنطقة الخليفية من الجنوب المغربي، ووكيلهم في السهر على ترتيب شؤونها، يثهم لدى سكانها، وينقل أوامرهم وقراراتهم إلى قبائلها<sup>(2)</sup>.

وقد كان - رحمه الله - دائم الاتصال منذ فجر حياته على ملوك الدولة العلوية الشريفة، فزار السلطان مولاي عبد الرحمن سنة 1274هـ/1857م، والسلطان مولاي محمد بن عبد الرحمن سنة 1290هـ/1871م، والسلطان مولاي الحسن الأول، ثم السلطان مولاي عبد العزيز، ومولاي عبد الحفيظ. وبذلك يكون الشيخ قد اتصل بخمس ملوك من هذه الدولة المصنونة، وبايعهم على السمع والطاعة، وتعلق بعرشهم مدى الحياة هو ومن تبعه من تلك الأئماء من أتباعه، فلقي من الدولة كل تعظيم وإحلال وإكرام يليق بأمثاله... ووقع في إحدى جلساته مع السلطان مولاي الحسن الأول أن سأله السلطان في مجال البسط في الحديث قائلا له: كيف كنت ترى يا شيخنا مكانك قرب الوالد رحمه الله؟ فأجاب الشيخ: أدام الله ملك سيدني، لقد كنت مع حذك السلطان مولاي عبد الرحمن رحمه الله قبل والدك، وكان يعني مكان أبيه، ومع والدك فكان يجعلني مكان أخيه، فقال له السلطان مولاي الحسن: وأنا أجعلك مكان

(1) - محمد الطريف، الرسالة الجامعية، ص: 228.

(2) - نفسه، ص: 79.

أبي أيها الشيخ، لشرفك، وعلمك، ودينك، ونصحك لنا، ونصرتاك للحق، وجهادك من أجل الدين والوطن ووحدته<sup>(١)</sup>.

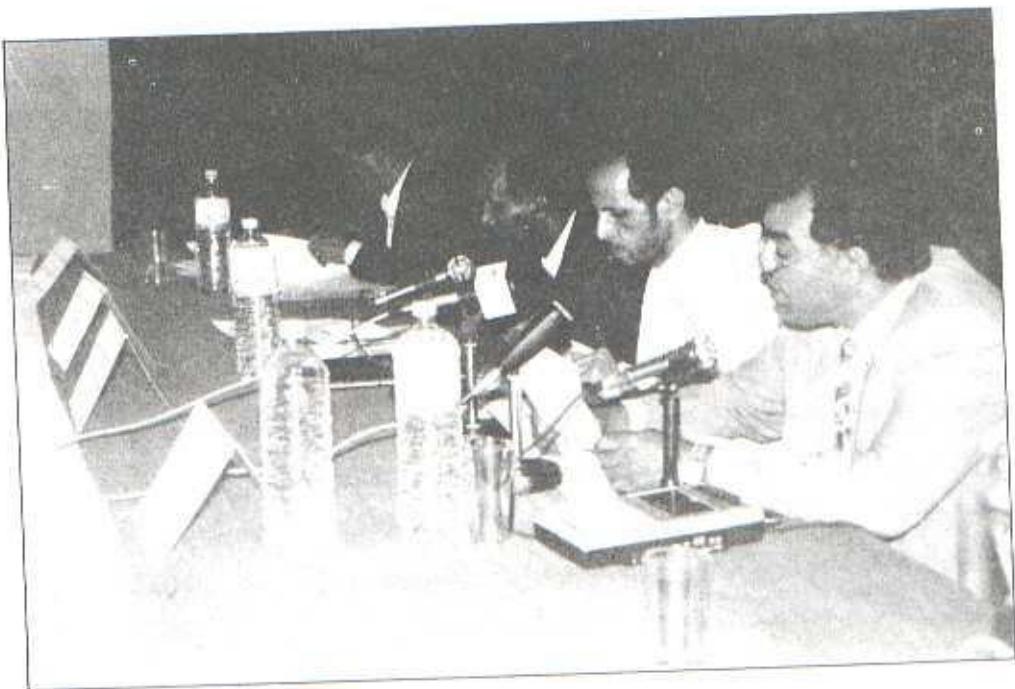
نعم، وحدة الوطن كانت اهم الامر الاكبر للشيخ وشغله الشاغل، فقد كان يدرك بعمق أن الوحدة والإجماع مبدأ اساسيان لا غنى لكل مشروع حضاري مستقبلي عن الارتكاز عليهمما والتمسک بهما..

لقد ساهم -طيب الله ثراه- ليس فقط في توحيد قبائل الجنوب الصحراوية، ولكن أيضاً في توحيد هذه القبائل ومثيلاتها السوسية والخوزية وغيرها، خلال حملاته الجهادية التي قادها بنفسه، وواصلها من بعده خلفه الشيخ احمد الهيبة، والشيخ مرعيه ربه، وغيرهم من أبطال الحركة الجهادية في صراعهم مع المستعمر.

رحم الله شيخنا الحليل برحمته الواسعة، وأمطر عليه وعنى حفيده الأستاذ ماء العينين علي بن الشيخ مرعيه ربه، وعلى كل من استشهد مدافعاً عن وحدة هذا الوطن شأيب رضوانه، وأسكنهم جميعاً فسيح جنانه، في أعلى عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

(١) - "دليل الرفاق"، ص: تي.



صورة حلقات المخور التاريخي والأدبي



## الرواية الشفوية ودورها في البحث العلمي

محمد ناجي بن عمر (\*\*)

\*\*\*\*\*

إن الحديث عن واقع البحث العلمي في أمة من الأمم، مقياس حقيقي لدى تفاعಲها وتعاملها مع مستجدات أي عصر من العصور في كافة المستويات وعلى جميع الأصعدة، وبه يمكن أن يُحكم على إمكانية التطور، أو الوقوف في محطة من المحطات، مما يعني حتماً التأخير والاندحار، ومن ثم مقدرة مسرح الحياة العلمية والعلمية.

وعلومن أن هذا البحث العلمي بعثة نهر دائم الجريان، تغذيه رواد عديدة مختلفة في القوة والتأثير. ومن أهم رواد البحث العلمي: الوثيقة المكتوبة والمعuran، والرواية الشفوية. وتختلف هذه الروايات من حيث حجيتها، وإجرائيتها، ونتائجها، وإلزامية خلاصاتها، وافتتاح آفاق تخيلها، وتفسيرها، وتأويتها.

وما دام موضوع هذه المداخلة يتناول دور الرواية الشفوية في البحث العلمي، فإنني سأطرح عدة أسئلة، تحاول محاصرة الموضوع من أي منطلق منهجي. وهذه الأسئلة هي:

- 1) لماذا الرواية الشفوية؟
  - 2) من من الباحثين يلتجأ إلى الرواية الشفوية؟
  - 3) متى يلجأ إلى الرواية الشفوية؟
  - 4) لماذا يلجأ إليها؟
  - 5) كيف يتعامل الباحث مع الرواية الشفوية؟
  - 6) ماهي طبيعة النتائج المتوصل إليها من خلال إعمال الرواية الشفوية؟
  - 7) هل يمكن للرواية الشفوية أن تسخّح أهمية الوثيقة؟
- وهل يمكن أن تبني عليها استنتاجات تتشكل قرارات مترفة بشكال من الأشكال؟ قبل الشروع في الإجابة عن هذه الأسئلة، نشير إلى أن أصول ثقافتنا العربية الإسلامية، مختلف أشكالها: النقلي والعقلي، والأدبي والكلامي، كتبت عن أصول

(\*\*) - أستاذ جامعي - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الحمد لله.

شفوية أمتدت أربعة قرون، اثنان قبل الإسلام، أو ما يصطلح عليه بالعصر الجاهلي، واثنان بعد الإسلام، وتحديداً إلى حدود النصف الثاني من القرن الثاني أو ما يعرف بعصر التدوين، مما يجعل كثيراً من الحقائق وال المسلمات اللغوية والعقلية والكلامية والفلسفية التي تداولتها الألسن شفافها قبل أن تصبح أصولاً ملزمة، محظوظة تساؤل. ونضرب هنا مثالاً فقط بالشمائين ألف مادة لغوية المبنية بين دفتي معجم "لسان العرب" لابن منظور، التي ترجع أصولها كلها إلى الأعرابي سيد الرواق، كما يسميه محمد عابد الجابري.

1) أما لماذا الرواية الشفوية؟ فلأنها مصدر مهم من مصادر الحقيقة العلمية، في كل أصناف العلوم الإنسانية، من ضمن المصادر الأخرى، إلا أنها أثارت النقاش أكثر مما أثارته المصادر الأخرى، بدعوى غياب الموضوعية، وحضور الذاتية. أي أنه، وحسب بعض الباحثين في مجال التاريخ خاصه، لا يمكن اعتمادها؛ لأن نسبة الذاتية تكون طاغية فيها على حساب الموضوعية، مما يفسح المجال للأهواء والانتيماءات القبلية والعرقية والحزبية والطائفية والسياسية والاجتماعية، لظهور وتنعش على حساب الحقيقة العلمية. ومن ثم، فإن الرواية الشفوية لا تعتمد أمام وجود الوثيقة، ناسين أن الوثيقة بدورها تتنازعها ثنت الأهواء والانتيماءات؛ فالوثيقة في عرف الشارع هي ميثاق وعهد مضمون بين طرفيين، ملزم ما يدخلها لكليهما، خاصة أنها تعني في النهاية اسم مفعول على وزن اسم فاعل، فهي موثوقة، وحولت إلى وثيقة كما يفعل بتعيل ومفعول، قتيل ومقتول.

وغالب تلك الوثائق المعتمدة في الكتابة التاريخية خاصة، لا يتوفّر فيها هذا الشرط بالضرورة، فهي إما أوامر ونواه أو تصريحات أو تحسيبات، الغلبة منها دائماً للمرسل بشكل من الأشكال. مما يولد أسئلة كثيرة حول حجية هذه الوثائق، التي غالباً ما تكون هناك روايات شفوية رصينة تطرح الكثير مما ورد في هذه الوثائق محظوظ تساؤلات كبيرة، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، فإن الباحث في مجال العلوم الإنسانية لا غنى له عن أي مصدر من مصادر الحقيقة أَنْ وجدتها، وكيف وجدتها؛ لأنها عندما تدخل غير التدقيق والتحليل، تعطي نتائج قد تكون مهمة وقد تكون استنائية.

2) أما من هو الباحث الذي يتعامل مع الرواية الشفوية؟ بكل بساطة هو الباحث المكتوي بحرقة الأسئلة التي تناصر الظاهرة التي يبحث فيها، والذي لا يستحضر الخواب الواحد الجاحد عن كل سؤال تعدد، أي باحث له تقنيات البحث العلمي لولوج الظاهرة

المراد البحث فيها، من جمع للمادة، ثم تصنيف، ثم توبيب، ثم شرح، ثم تفسير، ثم تحليل، ثم تأويل... .

باحث يحترم بحثه والمحور له في محاولة لإعطائه أكبر عدد ممكن من المعلومات بأقل أخطاء ممكناً. إنه باحث غير متسرع، وغير طامع في إرضاء نفسه، أو قبيلته أو عرقه، أو حزبه أو وسطه، على حساب البحث العلمي.

باحث لا يكتفي بتزديد ما هو متعارف عليه، بل ساير إلى التيقن من بعض المسلمات التي لا تملك القوة والإجرائية إلا من خلال تداولها في المجالس، وتواتر وجودها في صفحات بطون الكتب المختصة وغير المختصة.

باحث؛ كل شيء يساعدة على تبديد عتمات طريق البحث العلمي المظلمة، ضالله ضمن تلك المساعدات من الرواية الشفوية التي غالباً ما تكون ناجحة في توضيح أشياء هامة، خاصة إذا كانت متوافرة على شروط الصحة والإفادة.

(3) أما متى يُلْجأ إلى الرواية الشفوية؟ فإن الباحثين يختلفون في إعمالها. هل قبل الوثيقة؟ أم معها؟ أم بعدها؟ أما من يرى أنه يلْجأ إليها قبل الوثيقة، فيرجع إلى أصول الثقافة العربية الإسلامية، عختلف أشكالها، ذلك أن العرب عندما وصلت إلى مرحلة التعبير الكتابي المؤسسي، لم تجد كل ضالتها في تلك التصوف المكتوبة هنا أو هناك، مستدين بكون القرآن الكريم والسنة النبوية لم يكتبَا في وقتهم، بل وتقا في عصر لاحق، وفي ظروف خاصة ليس الحال هنا للحديث عنها.

أما الذين يُعملون مكون الرواية الشفوية بحوار الوثيقة، فإنهم لا يعتمدونها إلا باعتبارها مكملاً في جانب من الجوانب التي يريد الباحث توكيدها، إن كان مشروع البحث أو الموضوع يقتضي ذلك، أو نقدها، إن اقتضى الأمر كذلك. فيلْجأ إليها باعتبارها نظماً موازياً، وليس نصاً أساساً، ويتعامل معها تعاملنا نعمها، وليس تقاعلاً استراتيجياً. لكن أكثر التعاملات تعسفًا مع الرواية الشفوية، هو الذي يجعلها في مرتبة ثانوية وهامشية، إن لم تنقل عددياً، مما يؤثر سلباً على البحث العلمي.

(4) أما لماذا يلْجأ إليها؟ فلأنها تعد مصدراً مهماً من مصادر الحقيقة العلمية في بعض مجالات العلوم، خاصة الإنسانية، ذلك أنها تجد فيها أحياناً تصويبات وتنقيحات واقتراحات، غالباً ما تكون قوية وصادقة، تعجز الوثيقة التي غالباً ما تصدر عن جهة أو قبيلة أو عصبية، عن الالتزام بها، أو على الأقل البرهنة على صحتها إن احتاج الأمر إلى الصحة، أو نفيها إن احتاج الأمر إلى النفي.

ثم إن أي بحث علمي لا يستحضر جميع العوامل المساهمة في أنسس ومناهج وتصورات الحقيقة العلمية والرواية الشفوية، ومن هذه الأنسس -متلاً- كونه يتحرك خر كا بطريقاً، وإن كان مسرعاً؛ لأنه غير قادر على تغيير نفس مشيه أو جريه كيف يشاء، ومتى يشاء.

أما كيفية التعامل معها، فأعتقد شخصياً أن أسلُم منهجه والأكثر أصلحة في ثقافتنا العربية الإسلامية هو منهج الجرح والتعديل عند علماء الحديث، خاصة عندما نقف عند تلك العبرابيل الدقيقة التي ينحا إليها لأخذ معلومة من المعلومات، بل حتى مفردة من المفردات، كالأمانة، والثبت، والدقة، والصدق، والبراعة، والتراة، والعدل، والعفة، ثم بعد ذلك تأتي عمليات أخرى عند عالم الحديث، كالتضعيف، والترجيح، بعيداً عن كل هوى، أو تزويج، أو تخْنُق قد تكون نتائجه إما باطلة، أو مضللة لآفاق البحث العلمي.

أما ما عدا هذا العلم، مع تحديده وتكليفه لجميع المستجدات العلمية المعاصرة، فإنه يبدو أيًّا منهجه مقارب للرواية الشفوية، في العلوم الإنسانية، غير كفيل بإكسابها الإجرائية والصلاحية المتواخدة.

6) أما عن النتائج المتوصل إليها من خلال الرواية الشفوية، فإنها قد تكون قوية وملوقة، خاصة إذا عرضت أمام العقل، وبتها المنطق المبني على الفهم والفسير والتحليل، والمقارنة والاستخلاص والاقتزاج.

وبهذا تكون متساوية لليقنة، إن لم تكن متجاوزةً لها، خاصة إذا علمنا أن الكثير من الحقائق التاريخية التي مرت عند بعض المؤرخين الثقات من هذه العمليات هي التي حددت وأكَدت الواقع والمستجدات التالية، من هنا، إذًا، تبدو ضرورة أخذناها بعين الاعتبار وعدم التفريط فيها بحال من الأحوال.

7) ثم إنه إذا مرت الرواية الشفوية من كل هذه القنوات، وتحققت منها كل هذه الشروط، فإنها قد تراحم وتُوثقَة الوثيقة وحجيتها، إن لم نقل إنها قد تجاوزتها وتسخّها، وتغير من وضعيتها، فتصبح الوثيقة هي المستأنس بها لا الأساس.

لكن يبدو أن هذا المطلب الأكاديمي لن يتحقق له النجاح والإجرائية، إلا بعد تضافر جهود ذات عدة جهات فاعلة في اتخاذ القرار، مختلف أشكاله، وحينذاك يمكن القول إن البحث العلمي قد أفاد المجتمع في تقدم حضاري ملموس.

وأعتقد أن إعادة الاعتبار للرواية الشفوية، لا تكفي فيه الأمانة والتنظيرات، بل لابد من إحياء ذاكرة علمائنا وشيوخنا ومقاومينا ومجاهدينا، قصد تقصي دقائق

تفكيرها. ومن هذا المنطلق حاولت جمع أكبر عدد ممكن من المعلومات، عن تاريخ المغرب عامه خلال القرن التاسع عشر، خاصة في التصف الثاني منه، ذلك بعدما أقدمت وبترفيق من الله على ترجمة أحد أهم الكتب التاريخية التي تعتمد الرواية الشفوية، وهو كتاب "زمن الخلافات" أو "مغرب ما بين 1860 و1912"، لوييس أرنو، وتعزى أهمية الكتاب إلى كونه يعتمد رواية شفوية لضابط عسكري بخاري يدعى الحاج سالم العبدلي، ذي ذاكرة قوية ومستقصية وأمينة وموربدة لأخبار مهمة حول الأوضاع السياسية خلال هذه الفترة. بل يمكن القول بأنه كتاب تاريخي تفرد بإبراد بعض هذه الأحداث التي لم ترد في غيره.

ولاشك أن الكتاب عندما ستدوله أيدي القراء فربما، إن شاء الله، سيساهم في إضاءة هذه الفترة المهمة من تاريخ المغرب كله، شمالاً، وجنوباً، وشرقاً، وغرباً. كما حاولت أن أجمع أكبر عدد ممكن من الروايات الشفوية حول منطقة الرحامة عموماً، وموقعة شمال سيدى أبي عثمان سنة 1912 التي واجهت فيها قوى الغدر والخيانة حملة الشيخ أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين، وسجّلت ما حاكمه الألسن عنها، بما فيها الأغاني الشعبية التي تعنى ببطولات تلك الموقعة وأمجادها. وفي الأخير، أقترح على الباحثين إيلاء الرواية الشفوية، كل في مجال تخصصه، ما تستحقه من العناية والاهتمام، حتى توصل إلى تتابع فيها نصيّب محترم من العلمية والجدة، والحدية والموضوعية، فبلون الرواية الشفوية لن يعني درس تاريخنا وحضارتنا المغربية العربية الإسلامية الرصينة.

**مظاهر التواصل العلمي والروحي**  
**بين علماء سوس وعلماء الصحراء المغربية**

أحمد بن مبارك أبو القاسم (\*)

\*\*\*\*\*

**أولاً: مقدمة مدخلية:**

إن العلاقة بين سوس وصحرائه لا يمكن حصرها في مجال معين، ولا تحديدها في مظهر من المظاهير؛ لأنها علاقة ذات جذور تاريخية عميقة، وذات طبيعة جغرافية لا تحدها حدود؛ فسوس منحدرة من الصحراء، والصحراء منحدرة من سوس، بشرياً وطبيعاً. ولذلك فمن الصعب أن تُوْقِن هذه العلاقة حقها مهما بذلت من جهود، إذ كيف يمكن الفصل بين الأصول والفرع في القبائل المغربية عامّة، والقبائل السوسية والصحراوية خاصة<sup>(1)</sup>.

ولهذا، فإن مجال العلاقات بين سوس وصحرائه أوسع بكثير مما يتصور، رغم قلة الوثائق المتعلقة بما قبل الفتح الإسلامي، ولكن لو تضافرت جهود الباحثين على حدة كل في تخصصه، لأمكن كشف ما لا يحصى من مظاهر التواصل بين سوس وصحرائه عبر تاريخ المغرب العريق.

أما هذا العرض المتواضع فقد اقتصر على ما بعد الفتح الإسلامي بقرون<sup>(2)</sup>، ولم يفصل القول إلا في مطلع القرن العشرين وفيه، مع الاكتفاء بمحاجتين هامين، هما:

العلمي والروحي، تاركاً الحالات الأخرى للمختصين فيها.

**ثانياً: ما المقصود بالتواصل؟**

التواصل مصدر تواصل، الدال على المشاركة في الوصل، وهو تفاعل بين طرفين أو بين أطراف قصد الالتحام، والاتحاد والتلاقي المستمر.

(\*) - أستاذ باحث - تربیت.

(1) - انظر بحثاً لحمد الغربي في القبائل الصحراوية، مجلة المناهل، العدد: 58، الخاص بالصحراء المغربية، ص: 44 وما يتعلّمه. ولنخّ معه انطلاقاً من مصادر تاريخية كالطبراني، وأ ابن حذيفون وغيرهما.

(2) - ذلك أن التواصل العلمي والروحي ومظاهره لم تبدأ إلا بعد الفتح الإسلامي بزمن طوبل، رثى في عهد الأدارسة كما سبق.

أما التواصل العلمي والروحي الذي أقصده، فهو التلاقي المستمر، والتراور المتواصل بين علماء الصحراء المغربية، وبين علماء سوس، للأخذ والعطاء، والإفادة والاستفادة، فهو العلاقة الراسخة التي تربط بين هؤلاء العلماء، إن على مستوى الجماعات أو الأسر العلمية، أو على مستوى الأفراد؛ تلاميذ وشيوخا، وأصدقاء. وأرجح أن تكون مدينة "تندولت" التي أسسها عبد الله بن إدريس<sup>(1)</sup> في العقد الثاني من القرن الثالث الهجري همرة وصل هذا التواصل، كما كانت كذلك لتوصلات أخرى. غير أن التواصل الكبير الذي آتى أكله ناضجاً لذيداً قد تحقق بانطلاق شيخ الإسلام عبد الله بن يسن التميمي، من مدرسة "أطحلو" إلى قلب الصحراء، لنشر العلم والإسلام بطلب من يحيى بن إبراهيم الطهالي، في قصة أجمعـت على صحتها كتب التاريخ. ومن الصحراء، قاد عبد الله بن يسن وقـلامـيـذه وـمـريـديـوه المسيرة العلمية والروحية لتوحيد المغرب، بالعلم والدين الإسلامي القويم، بل تجاوز الأمر توحيد المغرب إلى تحرير الأندلس من الطغـاةـ المسيـحـيينـ، ومن المـلاـعـينـ يـشـوـونـ الـمـسـلـمـينـ منـ الـأـمـرـاءـ الـلاـهـيـنـ<sup>(2)</sup>.

أما التواصل الكبير الثاني فقد تم بهجرة الشـيـخـ مـاءـ العـيـنـينـ منـ مـدـيـنـةـ السـمـارـاـةـ،ـ الـيـ أـسـسـهـاـ فـيـ الصـحـرـاءـ،ـ لـنـشـرـ الـعـلـمـ وـتـقـوـيـةـ الـإـسـلـامـ وـتـنـظـيمـ الـجـهـادـ،ـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ تـرـنـيـتـ،ـ وـإـلـىـ الـمـغـرـبـ كـلـهـ.ـ بـلـ كـانـ هـجـرـةـ مـنـ أـحـلـ التـوـعـةـ وـالـجـهـادـ،ـ لـحـمـاـيـةـ الـبـلـادـ مـنـ كـيدـ الـكـاثـدـيـنـ الـمـشـأـرـيـنـ عـلـيـهـاـ،ـ لـتـوزـعـهـاـ بـيـنـهـمـ غـنـيـةـ مـرـحـةـ.

فقد رافق الشـيـخـ مـاءـ العـيـنـينـ منـ الصـحـرـاءـ إـلـىـ تـرـنـيـتـ آـلـافـ مـنـ الـعـلـمـاءـ وـطـلـابـ الـعـلـمـ،ـ وـمـرـيـديـونـ،ـ فـكـيـفـ لـاـ!ـ وـهـوـ مـنـ هـوـ،ـ عـلـمـاـ وـتـرـيـةـ وـجـهـادـ.ـ وـيـكـفـيـ شـهـادـةـ عـلـىـ ذـلـكـ مـاـ قـالـ فـيـهـ أـحـدـ مـعـاصـرـيـهـ،ـ وـهـوـ الـعـلـمـاءـ أـحـمـدـ بـنـ الـأـمـيـنـ الشـنـكـيـطـيـ،ـ مـتـنـ الـمـغـرـبـ فـيـ كـلـ الـعـلـومـ بـيـنـ عـلـمـاءـ الشـرـقـ،ـ قـالـ فـيـ حـقـهـ فـيـ كـتـابـهـ "الـوـسـيـطـ":ـ

«... وـكـانـ هـذـاـ شـيـخـ فـاضـلـاـ كـرـيـماـ،ـ لـاـ يـوـجـدـ أـحـسـنـ مـنـهـ أـخـلـاـقاـ،ـ وـقـدـ اـجـتـمـعـتـ بـهـ حـيـنـ خـرـوـجيـ مـنـ مـدـيـنـةـ شـنـقـيـطـ إـلـىـ مـرـاـكـشـ،ـ فـيـ تـوـجـهـيـ إـلـىـ الـحـجـازـ،ـ وـرـأـيـتـ مـنـهـ مـاـ

(1) - الاستقصاء: 171/1، تحقيق: ولدي المؤلف، الدار البيضاء 1954. والروض المعطار في خبر الأقطار، محمد عبد المنعم الحميري، ص: 128، لبنان، الطبعة الثانية 1984، تحقيق: إحسان عباس.

(2) - الاستقصاء: 2/6، الوسيط في أدباء شنقيط، ص: 365، موسسة الحاخامي، مصر 1958. ومذكرات المنوري في المسؤول: 3/247 و 414، وأعلام الزركني: 4/144، الطبعة 9، دار العلم للملائين، بيروت 1990. وصياغة أندلسية للدكتور عباس الجراوي، الخاضرة التي لفتها في جامعة دكار في 29 مارس 1984 بعنوان: Les Almoravites Empire, doctrine, œuvre, p. 8-9.

حيرني، لأنني أقدر من معه في وادي اسمار من الساقية الحمراء بعشرة آلاف شخص...»<sup>(2)</sup>.

إلى أن قال: «مع حسن معاشرته هم، لا فرق عنده بين ولده والمحسوب عليه»<sup>(2)</sup>.

وفي ترنيت وفاه أحله بعد أن استفاد منه خلق كثير، علماً وتربية وسلوكاً. وكانت له لقاءات علمية وروحية مع عدد من علماء سوس الأفذاذ، أمثال الحاج الحسين الإفراني، والشيخ علي الدرقاوي، والعلامة علي بن عبد الله الالفي، والعلامة محمد بن مسعود المعدري، والمؤرخ الإحراري، وغيرهم. فقد توفي في 24 شوال 1328هـ / 29/10/1910م. رحمه الله، وجزاه عن العلم والإسلام خيراً<sup>(3)</sup>.

ويبين مسيرتي عبد الله بن يسن والشيخ ماء العينين استمرار التواصل بين علماء سوس وعلماء صحرائه، لا يتسع المجال للحديث عنه بالتفاصيل الآن. ولذلك سأنتقل إلى مظاهر التواصل، من غير أن ألتزم بالترتيب الزمانى؛ لأن ذلك من الصعوبة التي لا تطاق، لما يحتاج إليه من جهود مضنية، ووقت أطول، وبعوث متعددة...

### ثالثاً: مظاهر التواصل:

فكما حددت في عنوان هذه الكلمة، هناك نوعان من التواصل بين علماء سوس وعلماء صحرائه، فال الأول علمي، أحذا وعطاء ومحاذبة، والثاني روحي، منه ما هو ديني عقدي، ومنه ما هو إنساني آخر، فلنبدأ بظاهرة التواصل العلمي أولاً:

1- **مظاهر التواصل العلمي:** يتحقق التواصل العلمي بين هؤلاء العلماء في مظاهر ثلاثة، أوها المشيخة، وثاتها التلمذة، وثالثها المخاورات العلمية والمساجلات الإبداعية.

**فهي المشيخة:** نجد مثلاً الأسرة العلمية السباعية التي مازال صداها يطن في الآذان

(1) - الوسيط في تراجم أدباء سنفيط، ص: 365.

(2) - نفسه، ص: 365.

(3) - ترجمته في المراجع الآتية:

- المعسول: 4، وهو خاص به، وي بعض به.

- الشيخ ماء العينين وجهاده العلمي والوطني، لشبيهنا ماء العينين حمداتي، دار المعارف الجديدة، الرباط 1995.

- في الأدب والمقاومة: نماذج من زاوية المسمارة المعنية لماء العينين ماء العينين، دار وليلي، مراكش 1996.

- الرحلة المعنية، ماء العينين ابن العتيق، تحقيق: محمد طريف، دار المعارف الجديدة، الرباط 1998 (انظر ص: 49 وما بعدها).

السوسي، ونذكر منهم على سبيل المثال العلامة الشهير محمد بن عبد الله السباعي النحرير، يابني "مدرسة الساعدات" بناحية شيشاوة، وما تزال تؤدي دورها العلمي<sup>(1)</sup>، وكان يدرس فيها يتضان وإخلاص، هو وأبناؤه من بعده، والوالد عبد المعطي: عالم كبير، أحد عن الشريف الكثري بهشتوكة. وللمدرسة السباعية دور كبير في تخريج الأفذاذ، والمختار السوسي واحد منهم<sup>(2)</sup>.

ونجد من التاجكانتين الأسرة العلمية الباعمائية، نسبة إلى ابن الأعمش مؤسس مدينة "تدوف"<sup>(3)</sup>، ومن "تدوف" انتقلت الأسرة إلى أقا. وقد اشتهر من الأسرة ابن الأعمش الأكبر الشيخ أحمد دومنا، وابنه محمد المختار مؤسس "تدوف" في أواخر القرن الثالث عشر الهجري.. ومن كبار علماء الأسرة عبد الله بن الأعمش العام الراسخ، توفي في "توزونين" بأقا حوالي 1326هـ. وفي "توزونين" مقبرة تسمى مقبرة تاجكانت، دفن فيها اثنتا عشرة امرأة تاجاكانتية، كلهن حفظ القرآن. ومن علماء الأسرة محمد بن أحمد بن المختار الذي له علاقة وطيدة بالطاهر الإفراني، وبينهما مساحلات شعرية، ومحاضرات علمية. ومنهم العلامة أحمد بن محمد المختار الذي كان شغله الشاغل نشر العلم في "تدوف" و "توزونين"، وله علاقة وثيقة بالعلامة المدرس أبي الحسن الإلغي<sup>(4)</sup>.

وإلى جانب هؤلاء الأفذاذ: صهرهم العلامة سيداتي بن محمد الكنتي التاجكانتي، إمام الزاوية الأحمدية في "نوريرنست" بأقا، ومنه استفاد المختار السوسي كثيراً عن علماء الصحراء الغربية عامة، وآل تاجكانت خاصة<sup>(5)</sup>، وقد قال في حقه: «وقد أخذ عنه أناس، وعادته الإكباب على المطالعة...»<sup>(6)</sup>.

ولسيداتي هذا علاقة ود وإخاء مع الشاعر الحسن البونعماني، وهمما معا جولات في المدن المغربية، وقد زار خلالها العلامة المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان<sup>(7)</sup>.

(1) - حدثني بذلك مشافهة العلامة محمد الضوء السباعي المعروف بالصاوي، وكتب إلى بخطه معلومات قيمة حول العلامة السباعيين، فجزاه الله خيرا.

(2) - انظر السباعين في المஸول: 266/8 وما بعدها، وفي الوسيط، ص: 509.

(3) - بين التاجكانتين مدينة "تدوف" حوالي 1271هـ بأمر من الشيخ محمد المختار ابن الشيخ أحمد دومنا المعروف بابن الأعمش، وتحت إشرافه، وأول ما بناه مسجد كبير يدرس فيه. انظر المஸول: 158/8-165.

(4) - المஸول: 163/8-164.

(5) - خلال جزولة: 47/3.

(6) - نفسه: 50/3.

(7) - نفسه: 50/3.

أما الأسرة العلمية الكبيرة التي لا يخفى فضلها العلمي على أهل سوس خاصة، والمغاربة عامة، فهي أسرة الشيخ ماء العينين، وسواء الشيخ نفسه، أو أبناءه، فإذا كان الشيخ همه التدريس والإفتاء والتأليف إلى أن وفاه أحده، فإن أبناءه من بعده، وفي أثناء حياته، ما انفكوا ينثرون العلم، ويوطدون الصلات فيما حلو وارتحلوا، في سوس وغيرها؛ فالشيخ أحمد اهيبة، والشيخ مرعيه ربيه، والشيخ النعمة، والشيخ محمد الإمام، والشيخ شبيهنا، والشيخ محمد تقى الله، وماه العينين بن العتيق، كلهم رجال العلم، أفادوا وأفتقوا وساحلوا... بسوس وغيرها<sup>(1)</sup>.

وهنالك أسرة علمية أخرى نزلت بآيت بويسن بالاحصاص تسمى "آل البصیر"، أي آل البصیر، وهي من الرحابيين الأفضل<sup>(2)</sup>. وأول من نزل منهم بالاحصاص: الشيخ إبراهيم بن مبارك البصیر، وسمى بالبصیر -على عادة السوسيين- لأنه أكمه، قال فيه المختار السوسي: «ولد أكمه، فوعده الله ما حرم من بصر بصيرة نيرة، حازت العلم والدين».

وحكى لي الأستاذ يحيى أبو القاسم (أخي)، وهو يعرف بعض علماء الأسرة، أن الكلمة استمر في هذه الأسرة يقدر ابن واحد لكل عالم من الأسرة، ومن ذلك العلامة مبارك بن إبراهيم، فقد ولد كأبيه أكمه، ومع ذلك أدى دوره العلمي والروحي كأبيه غاية الأداء. فهو الذي جمع آيت بويسن على بناء مدرستهم المسماة "سيدى علي أسعيد" عام 1292هـ، ولم تكن لهم مدرسة من قبل، ثم اشتهرت هذه المدرسة بالمدرسین الكبار، كالعلامة الحسين بليس، والمورخ الإحمراري، والمحفوظ الأدوزي، وابنه عيسى، وغيرهم<sup>(3)</sup>.

هذا عن الجماعات العلمية الصحراوية الشيوخ، أما الأفراد الذين لهم أدوار عنمية بين السوسيين فكثير، نذكر منهم الشيخ محمد بابا الصحراوي الشاعر المشهور، ومحمد سالم بن عبد الفتاح شيخ محمد الإمام<sup>(4)</sup>، وزوجته مريم الصحراوية<sup>(5)</sup>، وهي عالمة تربت

(1) - انظر تراجمهم في المعسول كما سبق، وانظر كذلك بعض أنشطتهم العلمية في: الرحلة المغربية السابعة الذكر.

(2) - راجع المعسول: 12/88-172.

(3) - انظر حوطا: المدارس العتيقة لمحمد المختار السوسي، ص: 98. وانظر: المعهد الإسلامي والمدارس العلمية العتيقة بسوس لعمرو الساحلي: 256/4. وروضة الأفان في وفيات الأعيان للمورخ محمد بن أحمد الإحمراري، ص: 339، تحقيق: حمدي أنوش رحمة الله، نشر كلبة الأداب -أڭادير 1998.

(4) - انظرهم في المعسول: 3/26-38.

في حضن العالمة الكبيرة زوجة<sup>(1)</sup> الشيخ ماء العينين، والعلامة القاضي محمد بن عبد العزيز<sup>(2)</sup>، وغيرهم. وكلهم مبثوثون في ثنايا "الم المسؤول"، و"تحلال حزولة"، بإفاداتهم وأشعارهم... .

أما الشيوخ السوسيون فيكتفي أن نشير إلى العلامة مسعود المعدري البونعماني المشهور، وابنه محمد بن مسعود، وابنه أحمد بن مسعود<sup>(3)</sup>، وشيوخ إللغ، وخاصة على بن عبد الله، وعبد الله بن محمد<sup>(4)</sup>، وإلى الشريف سعيد بن أحمد الكثيري التحرير<sup>(5)</sup>، والشيخ الحسن التمكيدشي<sup>(6)</sup>. فكل هؤلاء يقدّم إلى مدارسهم طلاب العلم من الصحراء، ويكون التناقض بينهم وبين إخوانهم الطلاب السوسيين، فيديرون بينهم كذوس المساحلات والمطارحات العلمية والإبداعية.

ولا ينبغي أن ننسى المدرسة المتنقلة التي أفتت بعلمها وإبداعها رجال العلم وطلابه، إلا وهي المسماة: عبد الرحمن البوبركاري العالمة الفحل، الذي لا مأوى له إلا مدارس العلم، ولا شغل له إلا التعليم أيهما حل<sup>(7)</sup>.

أما المختار السوسي فقد استفاد منه خلق كثير، منهم الصحراويون، في مراكش وغيرها<sup>(8)</sup>.

أما في التلمذة: فمن الصعب أن يحصر العدد، فإذا أمكن أن نقترب من حصر الشيوخ باعتباره معلومين يشار إليهم بالبيان. فإن التلاميذ عندما يقضون مأربهم

(5) - هي مريم بنت محمد سالم بن عبد الله، كانت تدرس النساء باللغ. انظر المسؤول: 57/3.

(1) - هي العالمة الخلبلة ماجا، والدة الشيخ النعمة. المسؤول: 26/3.

(2) - هو كاتب مربيه ربه وقاضيه.

(3) - المسؤول: 13/5-187.

(4) - نفسه: ترجمة الأول في: 1/160، وترجمة الثاني في: 2/156.

(5) - العالمة سعيد بن أحمد الكثيري المعروفة بسيدي سعيد الشريف، لازم مدرسة "إذاً محمد" المعروفة بالمخملية بهشتوكة مدة طويلة، فتخرج عنده علماء كثيرون، منهم السباعيون، كما قدم. توفى 1295هـ. وقد غير منهج علمي تربوي في التدريس وتنظيمه، وله برنامج دقيق لا يخالفه. انظر سوس العالمة، ص: 162، ورحلات العلم العربي في سوس، ص: 51.

(6) - انظر ترجمته ونشاطه في المسؤول: 6/262 وما بعدها. ومن الصحراويين الذين تنقواعته بعض النحكاتيين.

(7) - المسؤول: 10/90-151. ولهم مساحلات كثيرة، مغفرة في أجزاء المسؤول.

(8) - انظر لائحة بعض تلاميذه في كتاب: المعهد الإسلامي: 1/434-444. أما الذين استفادوا من مؤلفاته من الباحثين الصحراويين وغيرهم، فلا مجال للمحدث عهم لكنترتهم. ويكتفي أن كتابه المسؤول الآن قد تم التحليل والاستنتاج في إحدى الجامعات اليابانية من قبل شاب يبحث في علم الاجتماع المقارن، وقد زار إللغ صيف 1997 لمعاينة مسقط رأس المختار السوسي.

يتفرقون في الأمصار، ولا يكاد يحفظ إلا بعض الأسماء، لقلة الاعتناء بالتذوين في هذا الجلاب على أهميته، ولكثره الأفواج، مما يتغدر معه الاحتفاظ بالأسماء، غير أنه لما قيل: «بالثال يتصحح المقال»، نذكر بعض الأسماء من سوس وصحرائه معاً:

1- محمد المختار السوسي: أخذ عن السباعيين، كما تقدم.

2- محمد بن عبد الرحمن، ابن القائد عياد الجراوي: أخذ عن الشيخ سيدية، وعن ابن العتيق خديبة إفني، وعن الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين.

3- الشاعر محمد العثماني: افتح العلوم على يد الشيخ مربيه ربه بكردوس سنة 1930م، وقد حدثني عن ذلك مشافهة، وأعطياني قصيدة مخطوطة قالها في ذكرى مربيه ربه، مطلعها:

غاب حرا جزاه في الخندربه \* عن حمى دينه مربيه ربه  
إلى أن قال:

لي في ذلك الجلاب ذمام \* لم يذبه طول الزمان وكربه  
لست أنسى لوحًا كتبت عليه \* لي في العلم ما به لأن صعبه  
لست أنسى ما عشت منك دعاء \* لي به يرغم الحسود وذبه  
وعطاءً مباركا هدا الطف \* ل وقد هابه فيرجف قبه  
نالني من يديك فضل كبير \* فارعو الدهر يوم ذاك وربيه  
لست أنسى تقبيل كفيك يوماً \* وأنسى جالس إليك وصحبه  
يستشيرون في عدو عقور \* نابه في الشعوب دام وخلبه  
حينما شاهدوه زحفاً ورحاها \* يذدر الأطلس المروع خطبه  
فتواضعت لا صدى الذكر تبعي \* بغية التقى من الله قربه

4- نساء من إلغ: أخذن عن مريم الصحاوية، كما ذكرت من قبل.

5- الحسن بن الساحي الرهائبي: أخذ القرآن في الساحل، ثم التحق بـ محمد بن مسعود المعذري بمدرسة بونعمان.

6- عبد المعطي السباعي: أخذ عن الشريف الكثيري بهشتوكة.

7- الحسن معطي الله: تلمذ على عبد الله بن خرياش المشهور<sup>(١)</sup>.

8- عبد القادر الودنوبي المشهور، وقد تردد اسمه في كثير من أجزاء "المussول"، فقد تلمذ على بونعمانين.

(١) - المسؤول: 14/201.

واللائحة مفتوحة، وخاصة إذا علمتنا أن العلامة الحسين بن محمد الكاهيا الجراري أحد تلامذة الكبيري، استقر بالحوض في الصحراء، وتزوج بعالة صحراوية اسمها الغالية، وأبواها العلامة إبراهيم السباعي، وابنها، من زوجها المذكور، عالم كبير اسمه عبد الله كان يدرس بطرفية قبل أن يتحول في كثير من مناطق العالم. ثم استقر بائز كان أكادير، وكان هناك مراسلاً لجريدة "السعادة"<sup>(1)</sup>.

**في الحوار العلمي وما إليه:** هذا المجال واسع النطاق<sup>(2)</sup>، وخاصة في المساجلات التي فصل فيها القول كثير من الباحثين، ويكتفى أن نذكر فيها بما كان يجري في المدرسة الإلögية واليونعمانية، ومدينة تارودانت، بين الباشا الشنكيطي وعلماء سوس، وعلماء الصحراء معه، وأن نذكر بالطاهر الإفراني وابنه محمد مع محمد بابا وابن العتيق. وأن تشير إلى مجالس الشنكيطي الأدبية مع أمثال موسى الروداني، وداود الرسموكي، وإسماعيل السكتاني، والمحترم السوسي، وغيرهم. وتقدر الإشارة -في هذا المجال- إلى أن الأستاذ البحائة ماء العينين النعمة جمع من مساجلات الحسن البونعماني وحده مع بعض شعراء الصحراء أزيد من أربعين مساجلة مخطوطة<sup>(3)</sup>.

فلنتقل الآن إلى جوانب أخرى، وهي:

**أولاً: المخاورات العلمية:** ومنها المناقشة المشهورة بين الشيخ محمد الولاتي، والشيخ محمد بن العربي الأدوzi<sup>(4)</sup>، وقد فصل فيها القول بما فيه الكفاية، الأستاذ محمد الحاتمي. وهناك مناقشة بعض الأحكام القضائية لنقضها أو تأييدها، كنقض عبد الله الإلög بعض أحكام لأحمد بن محمد بن المختار الدوھننا. وكقضية إرثية تتعلق بحكم الغائب، فقد أثارها الطاهر الإفراني، فأفتقى فيها كل من محمد بن عبد العزيز كاتب مربيه ربه، وماء العينين الحضرامي، وأحمد بوطعم، وماء العينين بن العتيق، ومحمد الإمام، وأصدر مربيه ربه ظهيراً مؤيداً للإفتاء، كما أيد الإفتاء محمد بن عبد الله الأعلاوي، فحكم الطاهر الإفراني في المسألة طبقاً لفتاوي هولاء، ولكن العلامة أحمد بن محمد

(1) - المسؤول: 18/109-112.

(2) - انظر مثلاً: ثقافة الصحراء للدكتور عباس الجراري، ص: 43 وما بعدها، وانظر شعر داود الرسموكي، تحقيق: البزید الراضی، ص: 42، نشر جمعية إلیجع 1992.

(3) - تحدث عن هذه المساجلات في ندوة «الحسن البونعماني» التي نظمتها جمعية الحسن البونعماني، بتنسيق مع مندوبي وزارة الشؤون الثقافية ببرتنيت، يوم 15 مارس 1998 بإعدادية بونعمان.

(4) - انظر نص الحوار في رحلة محمد بن نجی الولاتي الحجازية، ص: 104، تحریر: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي 1990، وانظر مضمونها في المسؤول: 8/181-182.

التداري، والعلامة عبد الله بن محمد الإلغبي، تقضا الحكم والفتاوي<sup>(1)</sup>.  
ثانياً: تقرير المولفات: من ذلك ما كتب حول قصيدة لامية في مدح الرسول  
عليه السلام، وشرحها للقاضي المهاشم الأقاوبي، فقد قرر قصيدة وشرحها كل من ابن  
العتيق بقوله<sup>(2)</sup>:

ناهيك عن خير الورى تبجيلا \* لها عن المدح تفضيل وتبجيلا  
إلى قوله:

نظم رقيق وشرح رائق حصلا \* من ذهن ندب له في العلم تحصيل  
تربين كل مدح له أوصله \* إفادة ما هالولاه توصل  
ما زال علمك نور البيضاء به \* له بفهمك تقييم وتأصيل  
ومحمد سالم بن عبد الله بقوله<sup>(3)</sup>:

نيل المراد أفاد العلم تاظره \* سيرة المصطفى والصحب والأئل  
نظم بديع عديم الشكل مختصر \* وشرحه عجب عديم أمثال  
له فكر أديب زانه ورع \* أحيا العلوم به من منظر عال  
محمد المهاشم بحر المكارم من \* ينسحب محسن في الأهل والمالي  
تبارك الله في أدابه وعندي \* صولات هنته في أيّما حال  
ومحمد بن سالم بن عبد الفتاح بقوله<sup>(4)</sup>:

نيل المراد أتي فيه من العجب \* ما لم يرد قبله فيسائر الكتب  
إلى قوله:

قد عظم المهاشمي المهاشمي به \* أكرم به قربة من أحسن القرب  
ومن المؤلفات الصحراوية التي اعنى بها علماء سوس، مؤلفات الشيخ ماء  
العينين، ومنظومة ماء العينين بن العتيق في القضاء<sup>(5)</sup>، وديوان الشيخ مرعيه ربه الذي  
جمعه العربي الصواعي، وقد اطلعت على نسخة منه عند العلامة محمد العثماني الشاعر،  
رحمه الله.

(1) - راجع القضية في المجموعة الفقهية في الفتاوي السوسية للمختار السوسي، جزء: 188-183، إعداد: عبد الله البرقاوي، نشر: كلية الشرعية بأكادير 1995.

(2) - الم المسؤول: 143/9.

(3) - نفسه: 144-143/9.

(4) - نفسه: 144-143/9.

(5) - انظر عمودجاها بخط أحد فضلاء سوس في الملحقات من هذا البحث.

## ثانياً: مظاهر التواصل الروحي:

أقصد بالروح، كما ألمحت إلى ذلك من قبل، جانبين: الأول الديني المرتبط بالاتجاه الطرقي، أو ما يسمى بـ "التصوف". والثاني الجانب الإنساني العام المرتبط بالأح韶ة والصدقة. ففي الجانب الأول نجد بعض زعماء الطرق الصحراويين لهم آثار كبيرة في كثير من العلماء السوسيين؛ فمثلاً: مبارك بن إبراهيم البصيري الرهائلي أسس زاويتين، إحداهما بالأخصاص، والأخرى بالرحامنة، ولهم علاقة وثيقة بالعلامة الحسين بيسس والمورخ الإحراري.

وفي الوقت نفسه تأثر بالتمكيدشتين؛ إذ أخذ عن آل وغزير بتزويت الطريقة الناصرية، كما أخذوها عن شيخهم الحسن بن أحمد التمكيدشي، وكانت علاقة روحية مستمرة بين مبارك البصيري والحسن التمكيدشي، بدون انقطاع<sup>(1)</sup>.  
أما الحسين بن محمد الكاهيا الحراري، فكان مقدماً للطريقة الناصرية بالمحض، وكان في الوقت نفسه مدرساً هناك كما أشرت من قبل.

أما الشيخ علي الدرقاوي، فلا يتحقق ما له من علاقة روحية بالشيخ ماء العينين وغيره، ويكتفى أن نذكر ما قاله فيه أحمد الدھننا: «ليس في زمانا هذا مثل الشيخ سبدي الحاج علي، وقد تأثرت بعلاقاته، فوُجِدَتْ في قبّي ما لم أجده مع غيره»<sup>(2)</sup>، بينما نجد الشيخ ماء العينين قد خطب ود كل الطرق. مثل قوله<sup>(3)</sup>:

إني مُخاوم لجميع الطرق \* أخوة الإيمان عند المتفق  
ولا أفرق للأولىاء \* كمن يفرق للأئماء  
قال تعالى: المؤمنون إخوة \* وعدم التفریق فيه إسوة  
ولذلك يجده يلقن كل الأوراد كما قال ابنه محمد تقى الله في سيرته<sup>(4)</sup>:

وكم له كان من الأوراد \* مفرقات يعطي للعباد  
يعطي لذالورد عبد القادر \* وذاك يعطيه لوراد الناصرى  
ويعطي ذا طریقة التجانى \* وذاك يعطيه لوراد تان

(1) - انظر المعسول: 12/97-99 و 8/99.

(2) - نفسه: 18/164.

(3) - الشيخ ماء العينين وجهاده العلمي والوطني، ص: 100.

(4) - مذكرة الموارث، سيرة ماء العينين ذي القوائد، محمد تقى الله بن الشيخ ماء العينين، ص: 5، طبعة حجرية 1316هـ.

ويعطى للخلوتي والدرقاوي \* وللشبيتي والعيسواوي وغير ذا من طرق أهل الله \* يعطيه كلّه بلا تناهي ومن العلماء الطرقيين الذين ارتبوا بالشيخ ماء العينين الحاج الحسين الإفراني، مقدم الطريقة الأحمدية بسوس، فكان كلّ منهما يتمنى أن يموت سابقاً ليصلّي عليه صاحبه، فمات الإفراني، فصلّى عليه الشيخ ماء العينين، وليس بينهما غير أيام معدودات. وقد نظم الطاهر الإفراني وفاتهما في قوله:

مات الإمام الشيخ ماء العينين \* بعد وفاة الإفراني الحسين  
وكان ذلك عام حط الشرف \* وأصبحت عين العلوم تدبر  
وطح الشرف، بحساب الحمل؛ رمز لعام 1328هـ.

ومن أقطاب الطريقة التجانية الذين هم صلة مباشرة بالشيخ ماء العينين وأئمته العالمة الطاهر الإفراني، وابنه محمد، والشيخ محمد الحبيب اليوشاري، وشيخ الدرقاوين بسوس الحاج علي بن أحمد الإلغي الذي أئمته عليه الشيخ ماء العينين، وأعجب بسلوكه، كما أن جميع الطرقيين بسوس يُكتون التقدير والإعجاب للطريقة الفاضلية ولقطبها الشيخ ماء العينين.

وأخيراً الحاج الروحي الثاني، وهو علاقة أخوة وصداقة بين علماء الصحراء وعلماء سوس، وخاصة المدرسین منهم، ويتجلى هذا المظہر فيما يلي:

1- المراسلات التي لو أمكن جمعها، لتكون منها ديوان ضخم يغنى المكتبة الأدبية المغربية.

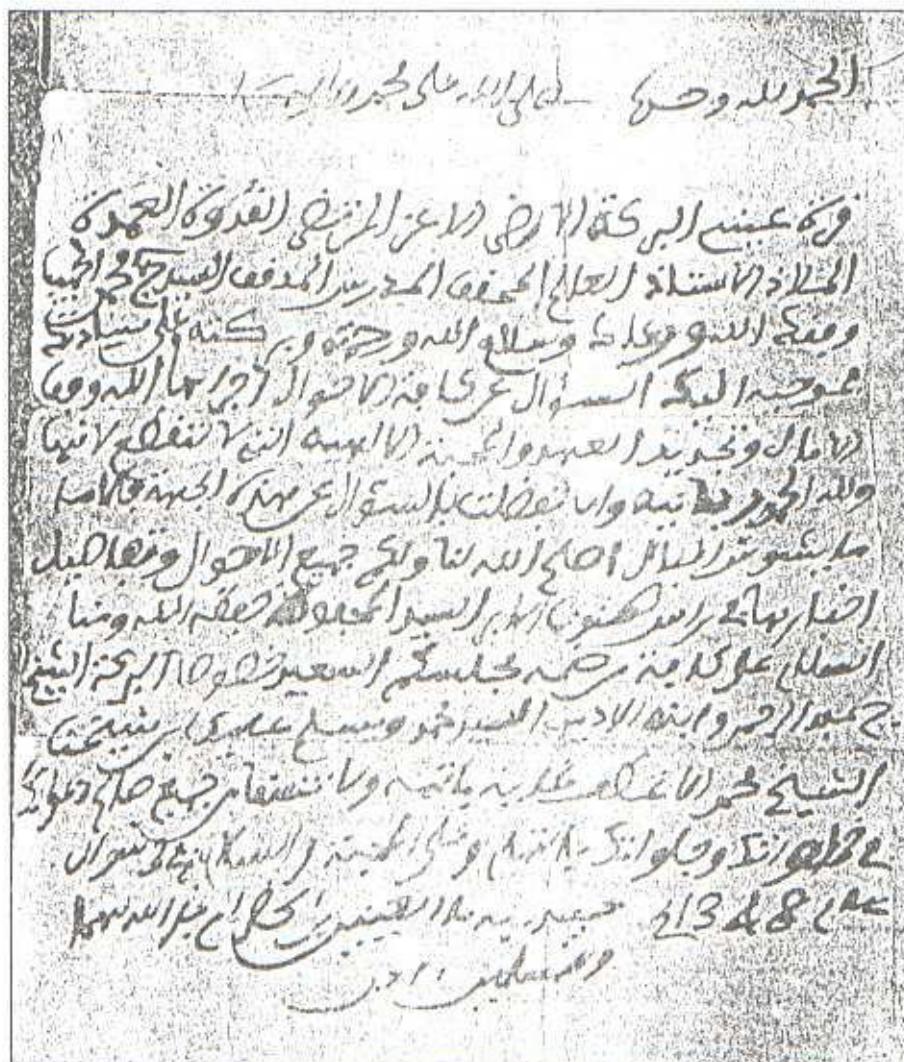
2- نزول كثير من علماء الصحراء على علماء سوس ضيوفاً، وخاصة في المدارس.

3- إصلاح بعض علماء سوس كمحمد المنوزي الذي تحدث في مذكراته عن علاقته الخاصة بالصحراويين، وأئمته على علمائهم وعلمائهم<sup>(1)</sup>.

4- العلاقة الفضلى التي جمعت بين عدد من علماء الصحراء، وخاصة آل ماء العينين بالإلغين والبنعمانيين والإفرانيين والإحراريين<sup>(2)</sup>، وغيرهم.

(1) انظر مذكرة محمد بن أحمد المنوزي في ترجمته آخر الجزء الثالث من المuszول.

(2) محمد بن عثمان الإحراري كان مشغلاً جمع فيه مساجلاتة، ومناقشاته مع الصحراويين، وخاصة آل ماء العينين.



نموذج من المراسلات الإخوانية من ماء العينين بن الحضرامي  
إلى الحاج الحبيب البوشواري

١٣٥٣ - عاصم المظاہر علی بن ابی زین العابد رضی اللہ عنہ و آله و سلم

وَرَجُلٌ مُؤْلِمٌ بِعَصْبَرِ الْأَرْبَعِينِ وَكَرْمَةِ مَائِيَّةٍ تَهْكِمُ خَطَايَاهُ وَهُسْنَاهُ عَوْنَى  
نَفَاهُ، مُحْرِجٌ بِعِوجَةِ الْأَسَادِيَّةِ وَالْأَجْزَرِيَّةِ، مُنْشَبِدٌ إِلَيْهِ مَاعِدَّ ١٣٦١ وَمُتَّ  
مُنْزَهٌ النَّسْنَةِ ١٣٦٢ صَاحِبُ الْمُنْظَرِ بِعِدَّةِ ١٧٠ مِنْ شَوَّالِ مَاعِدَّ ١٣٦١ أَرَانِي السَّبَقُونِ  
وَضِيرُهُ مَا بَعْدَهُ وَهُوَ فَنَانٌ كَثِيرٌ، مُسِيفٌ لِلذِّلَّاتِ مَعَ الْعَيْنِينِ بِرَأْيِي بِغَلَامِ  
مُتَّهِمٍ بِفَوْرِ الشَّاعِرِ لِلْمَدْرَكِ: لَا كُنْ مُتَّهِمٌ لِلْأَيْمَانِ وَلَا فَرَضْتُمْ  
يُوكَادُونَ كَاثِرَتِيَّ لِلْمَعْيِينِ أَنْتَهَارِ: ٥٥١ الْمُغْلَوَارِيُّ فَلَقِيَهُ مَا عَتَّشَرَ  
مَعَ أَنْتَهَارِيِّيَّ أَنْتَهَارِيِّيَّ أَنْتَهَارِيِّيَّ.. وَلَا نَعْرِفُ حَرَزاً لِلْكَلْمَانِ لِلْمَلَكِ

نموذج من مؤلفات علماء الصحراء التي اعتنى بها المؤسسيون  
(الصفحة الأخيرة وبعلها الاسم الكامل للناسخ)

حکایت الایمۃ غوث التغیییس خلیفۃت چدک سیر المؤمنین بحمد الدلیر عدو  
المحمدہ بیر الاستئناف ذا مهر یہ سین الشایخ مریم ریم بریجھنا لذیں کی  
ماہ العینیں کتبہ معہ ہنڑا لاپڈا تیہ تغیریٹ و تلازخ نہ جزا، اللہ عنہ  
اہمیت ما جھزو زب المحسنوں واللہ تعالیٰ اکثر شرحت

نعتت بغير عصب للأفباء  
وكثير نعبيك ذوي رداء  
بالقرن عز الرخاردة زل  
وأقم بين الزواجر والآباء  
ونظمتهم عفودا من لقا طـ  
مشتمب بـ(بـ) يحيى العـضـاء  
وأزوـيـقـرـيـاحـيـ عـلـالـاـ اـسـمـاـ  
جيـعـيـتـيـ سـكـبـرـ العـلـمـاـ دـلـلـقـبـيـ  
وكـابـقـ المـسـعـوـدـ شـهـادـةـ بـلـبـدـعـ مـلـيـكـوـهـ فـلـغـضـاءـ  
وـبـعـلـ الفـباءـ بـلـشـفـيـرـ وـمـدـوـمـ الـجـعـلـ الـفـباءـ  
كتـلـيـاـ الـتـحـيـفـ بـقـيـتـ دـهـرـاـ رـجـالـ الـعـمـ يـاجـيـنـ الـوـضـاءـ  
جانـكـلـ تـجـبـ بـالـعـلـمـ لـسـوـمـاـ وـجـوـلـ الـعـمـ لـيـقـلـ الـأـنـاءـ  
عليـكـ جـرـتـ بـيـوـرـ الـعـمـ مـسـلـ بـعـيـنـيـ حـافـ نـسـمـ الـفـباءـ  
وـبـيـقـ أـسـهـ لـيـسـلـ اـنـفـيـاـ وـأـمـاـغـيـمـاـ عـلـالـيـ اـنـفـضـاءـ  
وـبـعـتـارـيـجـ بـعـيـتـ اـبـعـيـناـ لـكـ النـبـرـزـ وـشـهـادـةـ الـفـباءـ

١٣٦٩ - دفع تهاب الشياخ المذكور وهو ادليس المسرور بن عمر العتيقي من ملوك الافران -  
السيفون سعيد قاسم المحرر حروم بالله السعيرين (أتمه رواه بريدة برثى بخدا والشيفون والعتيقين  
بقوه جزئ شيفون) أرجح علم بحكم يقنة وفقاً  
وبحكم كل ما ذكر من روى في ذلك بتفصيل

غودج من التقارير نقلها الناسخ لنفسه اعتماء بها

لِسْنَ اللَّهِ لِلَّاتِهِ  
لِلْقُرْبَى وَلِلْمُؤْمِنِينَ

هُنَّا زَانِهِمْ أَكْسَمُ الْبَغْيَةِ  
الْكُسْرِيَّةِ الْمُعْتَدِيَةِ مِنْ دَبْرِ الْمُكْبَرِ  
مُكْرَكَ وَمَدْمَعْ اَهْلَ وَقْتِهِ  
سَيْفُ الدِّينِ بَزْبَنِيَّةِ

مَهْدَ الْقَوْمِ وَالْمُخْلَفِ حَكْمُهُ قَضَى  
بِسَعْتِهِ مِنْ أَنْعَمَهُ أَذْقَاهُ  
حَلَّ عَلَى الْعَبْرِ وَعَوْتَ بِالْقَرْفَدِ  
وَوَالِهِ أَلَا لَوْ رَوَاهُ مِنْ فَدَى  
وَبَعْرَقْدَسْعَ رَجَزْلَغْيَرْتَنْخَلْ  
أَكْدَامَهُ الْمَهْدَادِرْ كَرْتَرْهَدْ  
وَوَنْ فَوَلَنِيَنْ لَهَمَاهُ بَرْهَنْغَرْ  
أَفْسَاطَهُ أَرْعَتْ بَجْجَوَلْ  
وَهِيَتْ مَا لَهَمَتْ يَعِيمَ الْعَيْنِيَّةِ  
لِبْ جَزْوَاسْمَهُ مَهْرَبِنْ أَكْمَدْرَالِهِ  
أَبْرَسْعَبْرَسْ جَنْزِيَ الْكَلِيعَ زَغْزَوَنِيَّهِ  
سَمْتَ ٦٢٣

مُؤْذِنٌ من مؤلفات علماء الصحراء التي اعنى بها العلماء السوسيون  
صفحة الأولى

## السباق العلمي بين سوس والصحراء من خلال وحلة الولاتية

محمد الحاتمي<sup>(\*)</sup>

\*\*\*\*\*

لم تقطع العلاقات بين الصحراء وبقى المناطق المغربية عامة، وسوس على وجه الخصوص. وقد تنوّعت هذه العلاقات إلى:

- علاقات دينية تخلت في انتقال المذهب المالكي والطرق الصوفية من شمال المغرب ووسطه إلى صحرائه.
- علاقات اجتماعية تخلت في المتاجرة والمصاہرة التي تتم بين الأسر السوسية والأسر الصحراوية.
- علاقات علمية وهي التي تهمنا في هذا العرض.

إن الناظر إلى العلاقات الثقافية بين الصحراء وبقى المناطق المغربية - ومنها سوس - سيلاحظ أنها كانت أكثر حضورا في الربط بين هذه المناطق، وقد توطدت هذه العلاقات وتمتنّت مع المرابطين الصنهاجيين الذين قدموا إلى الشمال من منازهم بأقصى الصحراء<sup>(1)</sup>. وقد قرر الدكتور عباس الحراري، عند حديثه عن ثقافة الصحراء أن أولى خصائص هذه الثقافة هي: «أن ثقافة الصحراء كانت دائما ثقافة تواصل، حيث يجد العلماء والأدباء الصحراويين يتوافدون على أقاليم الشمال، إما للدراسة والتدريس، وإما للاتصال بالملوك ومدحهم، أو الكتابة لهم»<sup>(2)</sup>.

وليس معنى هذا أن جبل التواصل الثقافي كان دوما ينطلق من الصحراء تجاه الشمال، بل إننا نجد بموازاته خطأ آخر «يسير من الشمال إلى الجنوب، ويتمثل في الرحالة الذين اتصلوا بالصحراء وكبوا عن أقاليمها.. كما يتمثل في الوفود الرسمية التي كانت تزور أقاليم الصحراء... وكذلك يتمثل في الشعراء الذين مدحوا الشیخ ماء

(\*) - أستاذ جامعي - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - أڭادير.

(1) - "المراکة الفکریة بالمرکب على عهد السعديين"، محمد حجي: 635/2.

(2) - "ثقافة الصحراء"، ص: 35.

العتين، كالطاهر الإفراطي، وأحمد بن المواز، وعبد الرحمن بن زيدان»<sup>(1)</sup>.

هكذا نرى، إذًا، أن حبل التواصل الثقافي والعلمي بين المغرب وصحرائه كان يسير في خطدين متوازيين: أحدهما يمتد من الصحراء، والآخر يمتد إليها، ييد أن الأول، أي الممتد من الصحراء، كان أقوى وأحلى.

وقد حظيت سوس بتصنيف غير قليل من هذا التواصل الثقافي عبر قنوات متعددة كالتعليم والتعلم، والراسلات، والإجازات، والمساجلات التي تتم بين علماء سوس وعلماء الصحراء.

وقد كانت رغبتي في أن أرصد كل هذه الأشكال من التواصل الثقافي بين الصحراء وسوس من خلال كتب الرحلات التي يدون فيها الرحالة، غالباً، لقاءاته العلمية، ومتناظراته للذين ينزل بهم أو يلقاهم من العلماء والفقهاء والأدباء، وهي بهذا تكون مرآة تخلو هذه العلاقات العلمية التي يربطها المؤلف الرحالة مع غيره، كما تخلو المظاهر الثقافية التي يقف منها المؤلف موقفاً إيجابياً أو سلبياً.

تلك كانت رغبتي، ييد أن هذه الرغبة لم تتحقق نظر الزحمة الأشغال وقلة الوقت والإمكانات، فاقتصرت على مظهر واحد من مظاهير هذا التواصل هو المساجلات العلمية، وفي رحلة واحدة هي رحلة الولاتي محمد يحيى الحجازي، وترك الباقى لمن له من الوقت أوسع مما عندي، ومن الإمكانيات أوفر مما أملك.

وفي هذه الرحلة تجد الولاتي قد بسط وقائع مساجلة علمية وقعت بينه وبين فقيه سوسي هو محمد بن العربي الأدوزي. وهذه المساجلة هي التي ساقف عندها قصد النظر في موضوعها وكيف عرض كل مساجل وجهة نظره فيه، ثم إلى ماذا انتهت المساجلة؟ وقبل ذلك أرى من المفيد أن ألم بالمامة وجيبة بخية المتساجلين حتى تقف على مكانة الرجلين العلمية.

فمحمد بن العربي الأدوزي (ت. 1323هـ)<sup>(2)</sup> هو أحد أعلام المدرسة والأسرة الأدوزية التي تسلسل فيها العلم عدة أجيال. درس بالمدرسة الأدوزية وبها درس خلفاً لأبيه، وقضى بها كل عمره مدرساً ومفتياً وعالماً مشاركاً في ميدان التأليف، بما تركه من مؤلفات عديدة في مختلف المجالات المعرفية، قال فيه الإحراري: «شيخ الجماعة بسوس، رجل الدنيا وواحدتها، ومنكر خصال البخل وجادتها، طلق النسان، مطبوع على

(1) - "ثقافة الصحراء، ص: 45 وما بعدها.

(2) - انظر ترجمته في: "روضة الأنفان" للإحراري، ص: 174 وما بعدها، وفي "المعسول": 149/5 وما بعدها.

الإحسان، محِبٌ إلى كل إنسان، شاعر مطبوع، يقتدي به في الصناعة التابع والمتبوع، سَلَّمَت له الأماثل، وقبلت إشارته الأفاضل، قرأ بأدوز، وأخذ عن أبيه علمه المكروز، فهو البدر التمام، والزهر المنشق عن الأكمام...»<sup>(1)</sup>.

ووصفه العلامة محمد المختار السوسي بأنه كان: «رجل الصراحة، مِكْرَمًا مِفَرَّأً، مُقبلاً مدبراً، يقبل ويرد، وبهاجم ويدافع، لا تأخذنه في الله نومة لائم، ولا يعرف أهوادة في الذي يراه حقاً»<sup>(2)</sup>.

وتكتفي هاتان الشهادتان للتدليل على مكانة الفقيه الأدوزي العلمية.

أما محمد بن حني الولاطي (ت. 1330هـ)<sup>(3)</sup> فهو أحد علماء الصحراء المشاركون، وأديائها المرموقين. قال فيه الأستاذ محمد حجي عحق رحلته: «كان عالماً مشاركاً، محدثاً حافظاً، فقيهاً أصولياً، أديباً شاعراً ناثراً، مالكي المنصب، أشعري العقبة، تجاني الطريقة، منفتح العقل، حاد الذكاء، طويل النفس في الحوار والمناقشة، واسع الاطلاع، قوي الذاكرة»<sup>(4)</sup>.

إذاء هدان علماً كباراً، أحدهما سوسي، والأخر صحراوي، وكل منهما له مكانة علمية مرموقة في وسطه، ستقع بينهما مساجلة علمية، ولاشك أن أيهما لا يرضى أن يُفْحِمَه صاحبه.

وسبب هذه المساجلة أن الفقيه الولاطي أعمل الرحلة إلى الديار المقدسة سنة 1311هـ فخرج على سوس، وكان من بين المناطق التي نزل بها منطقة إينيع. وكان حلول عالم مشهور كالولاطي بأحد المراكز العلمية بسوس حدثاً هاماً يختلف به، فيقصده العلماء والفقهاء للسؤال أو للاستجابة أو للترى... فلما نزل الولاطي بإينيع قصده محمد بن العربي الأدوزي للسؤال والمناقشة. وهناك دار بينهما سجال علمي شفوي نظور بعد ذلك إلى سجال كتابي بعد رحيل الولاطي. وقد بسط الولاطي وقائع هذه المساجلة في رحلته على امتداد حسين صفحه<sup>(5)</sup>، كما ألم محمد المختار السوسي بأطراف منها في ترجمة الأدوزي من "معسولة"<sup>(6)</sup>.

(1) - "روضة الأنفان"، ص: 174.

(2) - "المعسول": 159/5.

(3) - ترجم له عبد العزيز بن عبد الله، "علماء الصحراء"، ص: 188.  
محمد حجي في تقدمة لـ"الرحلة الحجازية"، ص: 7 وما بعدها.

(4) - مقدمة "الرحلة الحجازية"، ص: 8.

(5) - من ص: 104 إلى ص: 155.

(6) - المعسول: 173/5-175.

إن الفقيه الأدوزي لما قصد الولاتي لم يكن مستفينا، ولا مسترشدا، بل كان مناظرا<sup>(1)</sup> سعى إلى مناظرة هذا العالم الكبير في قضائيا علمية مختلفة، وهدف هذه المناظرة عند الأدوزي ليس علما يكتسب، ولا جهلا يرفع، بل ما يمكن أن يتحقق له إفحام العالم الصحراوي من رفعة ومكانة وذبوع صيت<sup>(2)</sup>.

وقد فطن الولاتي إلى هذا الهدف غير المصح به والمغلف بالرغبة في المعرفة، فأشار إليه بقوله: «فسألني عن أشياء، ظاهر سؤاله أنه سؤال ثبت، وهو في نفس الأمر سؤال ت証ت»<sup>(3)</sup> يسعى إلى الإقناع بصواب رأيه وخطل رأي الولاتي بكل ما أوتي من قوة.

بعد هذا تساؤل: ماهي القضايا التي يريد الأدوزي مساجلة الولاتي فيها، والتي يظن أنه يملك فيها من العلم ما لا يملكونه الولاتي مما سيتحقق له تفوقا عليه؟ إن عدد الأسئلة التي وجهها الأدوزي للولاتي ستة يمكن تصنيفها ضمن مجالات

معرفية ثلاثة هي:

أ) المجال الدييني الفقهي، وفيه ثلاثة أسئلة:

- 1- هل من قنده العوام أن يجريهم على مشهور مذهب، أو يجريهم على القول الذي يناسب حاضر؟
- 2- هل من أجاز شرب الخمر وجه؟
- 3- بأي شيء عرف النبي صلى الله عليه وسلم أنه نبي: أعلم، أو بحسن، أو بوجдан؟

ب) المجال التحوي، وفيه سؤال واحد:

- 4- محمد يحيى قلت: إنه مركب من علمين تركيب مرج، هل ذلك مطرد أم لا؟
- ج) مجال الثقافة العامة، وفيه سؤالان:

- 5- كيف علم العاقل أنه عاقل؟ أبعقل آخر عرف عقله؟ أم بغيره؟
- 6- هل لكلام أبي مسلم حمل صحيح؟<sup>(4)</sup>

يتبيّن من خلال هذه الأسئلة رغبة الأدوزي في إفحام الولاتي، فجره إلى مجالات معرفية مختلفة، وطرح قضائيا معقدة وشائكة، كما أنها تبيّن نوعية المعارف التي كان العلماء يتداولونها ويهتمون بها ويناقشتها، وهي كما نرى تحتاج إلى زاد معرفي لا

(1) - «السائلون ثلاثة: مُستفت، ومسترشد، ومناظر»، «أعر ما يطلب»، ص: 205، (تح: عمار طالي).

(2) - المساجلة في معناها اللغوي تعني: المبارزة والمقابررة.

(3) - "المرحلة"، ص: 104 وما يليها.

(4) - نفسه.

يتيسر إلا من لهم الرسوخ في العلم والفقه أمثال الأدوزي والولاتي.

إن الولاتي لم يتعاكس عن الجواب عن أسئلة الأدوزي كلها «بالحق الواضح الذي لا غبار عليه»<sup>(1)</sup> مع اقتناعه أن طرح بعض الأسئلة إنما هو مضيعة للوقت والجهد، وصرفهما إلى ما لا طائل لخته. وقد صرخ بهذا غير مرة، يقول بعد أن أحاجب عن السؤال الرابع: «مع أن السؤال عن مثل هذا لا يفيد علماء، فليسنة أهل العلم وأقلامهم مصونة عن السؤال عما لا طائل لخته»<sup>(2)</sup>، ويقول بعد الجواب عن السؤال السادس: «وأما البحث في بيانه فعما لا يُجدي ولا يُفيد، كما أن السؤال عنه من العبث الذي لا يُعني ولا يزيد»<sup>(3)</sup>. ويقول في نهاية جوابه عن السؤال الخامس: «وهذا كله من الخوض الذي لا طائل لخته، ولا برهان عليه من كتاب ولا من سنة»<sup>(4)</sup>.

ورغم التصريح المتكرر من قبل الولاتي بعدم جدواه أسئلة الأدوزي، فإنه أحاجب عنها كلها، وكان بإمكانه أن يعرض عن الجواب مادام السؤال لا طائل لخته، يد أنه لم يفعل لأن رئما عجاف أن يكون إعراضه عجزاً عن الجواب وانتصاراً للفقيه السوسي. لقد أحاج الولاتي عن الأسئلة سؤلاً فسؤالاً، وهو في أجوبته يعتمد الأدلة الشرعية ويفسرها حسب مقتضى اللغة العربية والشرع الإسلامي، وإذا نقل فإنما يتغلب عن علماء ثقات.

يد أن أجوبة الولاتي لم ترض الأدوزي، وهكذا راحجمه في قضيتي ابتداء النبوة، وكيف عرف العاقل أنه عاقل؟ فأحاجيه الولاتي عن القضية الأولى بما مقاده أن النبي صلى الله عليه وسلم عرف أنهنبي بالوحى، ولا علم له قبل الوحي بأنهنبي، وعن الثانية بما مقاده أن ماهية العقل غير معقوله للإنسان حتى يتعقل الدليل الذي عقل به ماهية عقله. ولما وصل الجوابان إلى الأدوزي اعتراض على جواب الولاتي في القضية الأولى بأحد عشر اعتراضاً حاول من خلالها أن ينسف رأي الولاتي وأن يثبت رأيه الذاهب إلى أن النبي عليه السلام عرف أنهنبي قبل بدء الوحي. ويبدو أن هذا الرد وهذه الاعتراضات هما الكتاب الذي ألفه في هذه القضية وسماه "العروض المحنكة" في ابتداء النبوة، انتصاراً لرأيه.

ويبدو من خلال حديث محمد المحتر السوسي عن هذا الكتاب أنه وقف عليه،

(1) - "الرحلة"، ص: 105.

(2) - نفسه، ص: 108.

(3) - نفسه، ص: 114.

(4) - نفسه.

إذ نقل منه مفتوحه، ثم قال معلقاً عليه: «ثم أطال النفس في الموضوع، وأكثر النقول، ولكن غالب ما ينقله ينقله عن كتب الصوفية، رحمة الله، وقلما يُخرج على غيرهم»<sup>(1)</sup>. ولما وصل هذا المؤلف إلى الولاتي رد على اعترافات الأدوزي، وبين بطلان ما يدعوه مستنداً في رده إلى الكتاب والسنّة، وإلى أمهات الكتب الفقهية والتفسير المعتمدة، ولم يُعرج على أقوال الصوفية إلا مرة واحدة حين استشهد بكلام شيخه التجانسي في تفسير آية استدل بها<sup>(2)</sup>.

وقد بين منهجه في الرد والاستدلال حين قال: «فأجابت عن اعترافاته كثيّراً، تتبعها كلمة كلمة بالنقض والإبطال بالأدلة الشرعية التقليدية، والأدلة الكلية الإجمالية، والقواعد الشرعية القطعية، لا بالأدلة العقبية، ولا بالأدلة العادبة، ولا بالكتشوفات، ولا بالمرائي والخوارق، ولا بالإهامات»<sup>(3)</sup>؛ «إذ لا حكم للعقل ولا للحس، ولا للوجدان في الشرعيات»<sup>(4)</sup>.

من القولة السابقة يتضح أن الولاتي في ردوده سلك طريقة الفقهاء بالاعتماد على الأدلة الشرعية التقليدية، وهذا ما خالف به مناظره الأدوزي الذي لم يسلك المنهي ذاته، بل اعتمد في التدليل على صواب رأيه وخطل رأي الولاتي على آراء الصوفية وكتبهم، وقد سبق ذكر إشارة المختار السوسي إلى هذا المتراع: «ولكن غالب ما ينقله ينقله عن كتب الصوفية..»، وهذا المسلك لم يقبله الولاتي لأنه - في نظره - لا تُبني عليه الأحكام الشرعية، بل إن الولاتي وأخذه على سلوك هذا المسلك لما قال له: «فالحاصل أنك أتيت الأخ شحنت كتابك بكلام أهل التصوف الذي لا يوافقه دليل من كتاب ولا من سنّة، وإنما هو من طرق الكشف المنبودة شرعاً، وشحنته أيضاً بمحكيات كشفهم وخوارقهم تستدل بذلك على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى وقت علمه بها، وما به علمها. وقد اتفق الفقهاء على أن ذلك لا عبرة به، ولا اعتداد به في شيء من الشرعيات، فآخرى أمر النبوة ودلائلها»<sup>(5)</sup>.

إن مسلك الأدوزي في الاستدلال مرفوض لدى الولاتي رفضاً مطلقاً، وهذا حذر منه سلوكه مرة أخرى في مُجاجحته فقال له: «فياك إياك يا أخي إن أردت أن

(1) - "المسؤل": 174/5.

(2) - "الرحلة": ص: 133.

(3) - نفسه، ص: 114.

(4) - نفسه، ص: 112.

(5) - "المسؤل": 174/5.

تكتب لنا شيئاً في هذه المسألة، أو في غيرها من المسائل الشرعية أن تورد لنا فيه كلام أهل الكشف والتضوف الذي لا دليل له من كتاب أو سنة. وإذا أوردت آية أو حديثاً فلا تفسرهما إلا بكلام الفقهاء الذي يقتضيه اللغة، فإنه لا عبرة به شرعاً. وقد اتفق الفقهاء على أن تفسير القرآن أو الحديث بما لا يقتضيه من حيث اللغة اعتماداً على كلام أهل الكشف من التصوفة إلحاد في الدين»<sup>(1)</sup>.

فهل استجواب الأدوزي لتحذير الولاتي وعده عن مسكته؟ كلا، بل أحابه بقوله: «هذا الرجل قد نادى على نفسه بالجهل وقلة المعرفة، لأن رأي أن يُبَذِّل علم التضوف بأسره لأنه عن أهل الكشف وأرباب القلوب أحد». وهذه حماقة، كمن أراد رد نور الشمس في كبد السماء، والاستدلال على مثل هذا تحصيل الحاصل الذي يضيع معه العمر»<sup>(2)</sup>.

إن رد الأدوزي هذا فيه تحامل على الولاتي وتقويله ما لم يقل، لأن الولاتي لم يدع إلى تبذيل علم التضوف جملة وتفصيلاً، بدليل أنه متضوف على الطريقة التجانية وإنما رفض الاستدلال بآراء الصوفية وكشوفاتهم ومرآياتهم في المسائل الدينية فقط.

وإذا تأملنا جيداً كلام الأدوزي السابق سيدو لنا فيه تعنته وهدفه المضمر من مساجلة الولاتي. هذا الهدف الذي يتجلى في إظهار جهل الولاتي وقلة معرفته، تأمل معنى هذه العبارة: «هذا الرجل قد نادى على نفسه بالجهل وقلة المعرفة...». إنها الهدف المنشود، وقد وصل إليه الأدوزي في النهاية حسب رأيه. وبعدها ما نقرأه في عبارة أخرى يظهر منها أن الأدوزي لم يرقه ما تقنع به الولاتي من صيت ذائع ومكانة عالية في العلوم والمعارف، يقول: «لما رأيت غلو الناس في مدح علوم هذا الإنسان قبضت له رجلي، ثم أقول اليوم: الآن يمد أبو حنيفة رجله»<sup>(3)</sup>. لا ترى معنى أن الأدوزي غاظه ما يتمتع به الولاتي من ذيوع صيت من غير استحقاق لأن الناس إنما يغالون في مدح علوم هذا الرجل الذي لم يسمه الأدوزي إلا بـ«الإنسان» تكيراً له وتحقيراً، ثم إن الأدوزي لما خبر علمه ومعرفته مد رجله إحالة على من كان يظن أنه أبو حنيفة عالماً فقبض له رجله احتراماً، فلما تبين جهله مد أبو حنيفة رجله.

وإضافة إلى ما سبق، فإن الأدوزي كان ينوي تأليف كتاب آخر لزبد على الولاتي، واختار له هذا العنوان: «صخرة العصر على بعض أهل العصر» الذي يدل على

(1) - "الم Gusoul": 174/5.

(2) - نفسه: 175/5.

(3) - نفسه.

هذه الرغبة الجامحة في التحطيم، تحطيم الآخر لإظهار تفوق الذات. تنتهي بعد بسطنا لأطرافٍ من هذه المساجلة العلمية بين عالم سوس وعالم الصحراء إلى أن المساجلين يقفن على طرقٍ تقىض؛ لأن الأول -العالم السوسي- يسر في مهيع التصوف، والمترنح الصوفي هو أحد الجوانب البارزة في شخصيته، إن لم نقل إنه كان الطاغي عليها<sup>(١)</sup>، بينما كان الثاني -العالم الصحراوي- ينزع متزعاً فقهياً رغم كونه صوفياً ثانياً. وأنى لذين الطريقين أن يلتقيا؟ أو يتقا على رأي واحد. وهكذا يقى الأدوزي والولاتي متشبثين برأيهما، وانتهت المساجلة دون تحقيق أي هدف سوى استعراض كل من المساجلين لما لديه من بضاعة وما يملكه من طرق المجاجة والاستدلال. ونخلص في النهاية إلى أن رحلة محمد يحيى الولاتي الحجازية قد أوقفتنا على جانب مهم من جوانب التواصل العلمي بين سوس والصحراء، هذا الجاتب يخلص في المساجلة القيمة والممتعة التي بسط الولاتي وقائعها في رحلته والتي دارت حول قضايا علمية مختلفة أهمها مسألة ابتداء النبوة، وانتهت إلى ما وقفنا عليه سابقاً.

#### المراجع:

- الارتباط الثقافي بين المغرب وصحرائه، منشورات جمعية رباط الفتح. (أعمال ندوة نظمتها الجمعية في نونبر 1991)، المطبعة الملكية، الرباط 1998.
- ثقافة الصحراء، د. عباس الجراروي، دار الثقافة، الدار البيضاء 1978.
- الحركة الفكرية بالغرب في عهد السعديين، د. محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1978.
- الرحلة الحجازية، محمد يحيى الولاتي، تربيع وتعليق: د. محمد حجي. منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، الطبعة الأولى 1990.
- روضة الأفان في وفيات الأعيان، محمد بن أحمد الإحراري، تحقيق: حمدي أنوش، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، 1998.
- مدينة تزنيت وباديتها، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، 1996.
- المسؤول، محمد المختار السوسي، الطبعة الأولى.
- الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية: معلمة الصحراء، عبد العزيز بنعبد الله، مطبعة فضالة، 1976.

(١) - "شخصية محمد بن العربي الأدوزي العلمية من خلال شرحة لرحلته"، محمد الحافي، ندوة: تزنيت وباديتها، ص: 272.

## أدباء صحراويون في المدرسة الإلخالية

المهدي السعدي<sup>(\*)</sup>

### مقدمة:

بين سوس والصحراء علاقات وطيدة في كل الميادين، فمن سوس دخل ترسيرخ الإسلام إلى الصحراء، وانتشر على عهد المرابطين وزعمهم عبد الله بن ياسين التماري الحزولي، ومن الصحراء انطلق المرابطون ليوطدوا دولتهم في المغرب كله. وترجع العلاقات السياسية والاقتصادية إلى قرون قيل ذلك في عهد حكم الولاة للمغرب، واستمرت بتكاثر الهرمات القبلية من منطقة إلى أخرى لأغراض مختلفة خاصة طلب العيش الرغيد، ولأغراض علمية حيث يستوقفنا في القرن الثامن الهجري مظاهر من مظاهر التواصل العلمي وهو خبر عن هجرة خمسة من أبناء مدينة تارودانت إلى منطقة شفقيط، حيث تعاهدوا على الاستقرار هناك والصر على نشر الإسلام والعلم<sup>(1)</sup>، كما تواصلت خلال القرون التالية وفادة العلماء الصحراويين على سوس، ولعل أكثرها أهمية في العصر الحديث هجرة الشيخ ماء العينين - رحمه الله - أوائل القرن الرابع عشر الهجري.

وبعد هذا التواصل العلمي نشأت صلات علمية وأدبية بين علماء الإقليمين نتيجة اهتمامهم بالأدب وولعهم به دراسة ومطالعة وإبداعا، فكانت لقاءاتهم مناسبات لمعاطة كؤوس الأداب ولإقامة نوادر أدبية حافلة بفنون القول.

وقد طاب المقام للأدباء الصحراويين في المراكز العلمية السوسية خاصة المدارس الأصيلة، حيث كانوا يستقبلون خير استقبال، ويحتفظ بهم، ويستقرنون ما طاب لهم الاستقرار.

ومن المراكز العلمية التي أقام بها الأدباء الصحراويون حتى صاروا كأهلهما المدرسة الإلخالية<sup>(2)</sup> التي زارها أو استقر بها مدة من الزمن عدة أدباء صحراويين، نذكر منهم محمد

(\*) - أستاذ جامعي - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - ألمانيا.

(1) - "بلاد شفقيط: المغاربة والرباط"، حليل التحوي، ص: 98، تونس 1987.

(2) - "شعر داود الرسموكي"، تحقيق: الراضي الزيدي، ص: 42-43، نشر جمعية إيليق 1992.

يحيى الولاتي و محمد بايه الصحراوي والشيخ سيديا و محمد سالم العنوي الصحراوي و محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين و ماء العينين بن العتيق والمحفوظ الحضرمي وسيدي محمد بن عبد العزيز<sup>(1)</sup>. وقد استقر هؤلاء الأدباء باللغة مدة طوينة حتى صاروا من أهل ذلك البسيط، وكذلك اعتبرهم الإلغيون فأشركوه في أفرادهم وأتراهم. وقد أعجب الأدباء الصحراويون بدورهم باللغين وباهتمامهم بالأدب وبجادتهم لغتهم، من ذلك تفضيل الشيخ أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين الأستاذ الأديب علي بن عبد الله الإلغي عن كل معاصريه في الكتابة التترية، وذلك بقوله: «.. إن الأستاذ الإلغي في الشر أربع ولا يشق له فقه غبار، وليس دون وادي لم الربيع إلى شنقيط من يوازيه في الترسل»<sup>(2)</sup>.

#### ١- أسباب اتصال الصحراويين بالإلغين:

لاتصال الصحراويين بالإلغين وتوطد أسباب الخبرة والصداقة فيما بينهم عدة أسباب يمكن إيجادها فيما يلي :

- قرب المدرسة الإلغية من الصحراء. فهي تقع جنوب الأطلس الصغير في منطقة مطنة عليها تبعد حوالي 100 كم شمال ياغي أو كادير (فه الحصن). من ثم كان القرب مساعدًا على الاتصال.

- اشتهر المدرسة الإلغية رغم كونها من المدارس المتأخرة في التأسيس. إذ بنيت سنة 1297هـ، لكنها بلغت شأوا كبيراً بعد موسسها الفقيه الأديب الأستاذ محمد بن عبد الله الإلغي، ثم خلفه من بعده أبوه علي، وخرجت عشرات الطالبات الذين انتشروا في سوس والصحراء، بل في مناطق المغرب، ناشرين ذكرها، ومنوهين بها، مما شوق علماء هذه المناطق إلى زيارتها ولقاء أساتذتها.

- اشتهر المدرسة الإلغية بزرعتها الأدية التي أنسنت عليها من أول يوم، فكانت دراسة الأداب ومطالعة كتبه وعقد ندوات لتداوله وتشجيع الإبداع عبر المراسلات والمساجلات من عادات الإلغيين الراسخة، وقد استرعى ذلك انتباه الصحراويين الذين كانوا مغرمين بهذا النهج ميالين إلى أهله. تمهّلهم إلى الأدب سجحة، قال الشيخ محمد الإمام في كتابه: "الحاش الربيط": «وأما فنون الأداب في مسائل أخائتها والأشعار والحضرات فهي جليلة في كثير منهم، لا يحتاجون فيها كثير معاناة، فهي من باب

(1) - "المسؤول"، المختار السوسي: 26/3 وما بعدها، و 284/4 وما بعدها.

(2) - المرجع نفسه: 1/349.

السحايا والغرايز»<sup>(1)</sup>. وهكذا كان لقاء الصحراويين بالإلغيون واتصافهم بهم لقاء الأديب بقرينه والصديق بخله.

- مشاركة الإلغيون وخاصة أساتذة المدرسة في الحركة الجهادية للشيخ أحمد الطيبة، ومساندتهم لها بالضلال العسكري وبالنهاية يسان الأدب في إطار ما واكب ذلك الجهد من حركة أدبية نشيطة، كانت مناسبة لبروز أدباء المدرسة الإل贡ية: «فنجرت فرائحهم، وشحدت أذهانهم، وأهتمتهم قصائد شعرية حمدة»<sup>(2)</sup>. فكانت هذه الحركة الجهادية مناسبة أدبية لفت فيها أدباء المدرسة الإل贡ية وتلاميذها أنظار الصحراويين إلى أدبهم وإبداعاتهم. ومن شارك في هذه الحركة من تلاميذ المدرسة الإل贡ية تذكر الشاعر الطاهر الإفراقي الذي كان: «... يليل هذه الحركة الصداج، فقد تعنى بمحنة الأسرة المعينة، وأشاد باهية وحقيقة من بعد، ووشح صدريهما بأوسمنته الشعرية الرائدة، وخلد ما ثار هذه الأسرة بقصائده الطنانة»<sup>(3)</sup>. ثم محمد التونسي التملي ومحمد بن علي الإلغي وأحمد أبوابو الإيعشاني وأحمد بن سعيد الإكماري والفقير الأستاذ عني بن عبد الله الإلغي. وقد سجل إبداعات كل هؤلاء الشعراء الأديب ابن العتيق في كتاب له بعنوان: "بحور البدائع المحتوية على درر الأشعار المصطفوية"<sup>(4)</sup>.

## 2- الأدباء الصحراويون النازلون بالمدرسة الإل贡ية:

نزل باللغ، كما أشرنا من قبل، عدد من الأدباء الصحراويين مددًا متفاوتة، استضافهم فيها الإلغيون مكرمين وقادتهم، ومن هؤلاء الصحراويين:

- العالمة محمد بنعيسى الولاتي (1260-1330هـ): ينتسب إلى قبيلة ولاته في الموض جنوب شنقبط،أخذ عن علماء بيده، ثم زاول التجارة والتدريس، وعند ارتحاله للحج في شهر صفر 1312هـ مر باللغ، فاستضافه الإلغيون مدة خمسة عشر يوماً، واستغلوا مقامه لأخذ البيان عنه، قال عن ذلك في "رحلته": «... فآوانا الليل إلى بيت سيدتي عني، ففرح بنا ورحب، وأنزلنا في مكان وطيء طيب، فأقمنا عنده ست عشرة ليلة، فوجدناه يدرس علم المعاني والبيان لي بعض طلبه وهو لا يحسنهما، فأصلحنا له بعض ما احتل في تصاحب الدرس الذي يفسر طلبه. فأقبل علينا، وصار يتعلم هو وطلبه

(1) - "الجائن الرييط"، الشيخ محمد الإمام، ص: 40، مطبوعات دار العلم، 1957.

(2) - "شعر داود الرسموكي"، ص: 43.

(3) - المرجع نفسه، ص: 44.

(4) - "تحلال حزولة"، المختار السوسي: 2/187.

منا علم المعاني، فتعلموا مما أمكنتهم تعلمه في المدة المذكورة»<sup>(1)</sup>.

- الشیخ سیدیا الیکانی الصحراء (1295-1373ھ): من بنی دیمان القبیلۃ التي اتشر فیها العلوم، درس بین أهله ثم عنی الشیخ ماء العینین فی السمارۃ، وبقی ملارما له، ثم صحبه فی هجرته إلی سوس حيث تقلیل بین تربیت وآیت رحا والبغ وتالعینت بآیت حزار، وقد استقر بالبغ بضع سنوات فی ضيافة علی بن عبد الله الإلغی. واسعة علمه وعمق معرفته اللغوية كان الألغيون يستعنون به فی درس المسائل الغویصة<sup>(2)</sup>.

- محمد باہ الشنکطی: مرید الشیخ ماء العینین، وناسخ کتبه أدیب أریجی وشاعر مفتّن، استقر بالبغ عند الأستاذ علی بن عبد الله الإلغی مشارکاً فی الندوات الأدبية، قال عنه العلامة السوسي: «كان لمنترجم ذکاء وقاد، وفريحة أدبية علمية، فكان يشارك في كل ما يعنی في الحالس الإلغاۃ من البحوث، فكان مما يشارك فيه ارسال التواقي...»<sup>(3)</sup>.

وقال عنه محمد الإمام بعدما وصف حسن خطبه وحصہ للقرآن الكريم حفظاً ورسمها وحسن أداء: «... وهو فوق ذلك شاعر مفتّن، حسن الأخلاق، رقيق الحاشية، لذيد المفاکهة، عزوف عن سفاسف الأمور، مهذب الطباع، يتقدّم ذکاء، كرس حياته على علم يفیده أو يستفیده، مع انقباض عن سوى ذلك، لا يعطي له المقام في كثير من الأوقات إلا في البغ لما رأى في أهله من الدين المتين والفضل، وله حقاوة وإعجاب كبير»<sup>(4)</sup>.

- محمد سالم الصحراء (1322-1364ھ): من قبیلۃ إداوعلی نزل أبوه علی الشیخ ماء العینین وصحبه، وهناك نشأ ودرس على يد محمد باہ الشیخ النعمة وعن غيرهم من علماء الصحراء كما درس اللغة والأدب شأن الصحراءين. ثم لازم الشیخ النعمة حتى وفاته فعاد إلى الصحراء ثم رجع إلى سوس، وسكن بالبغ ضيقاً على الفقيه المدرس المدنی بن علی الإلغی: «... يقادمه ما تيسر، مع ضيق ذات اليد... نحو ثلاثة سنوات»<sup>(5)</sup>. كان أدیباً مفوهاً، قال عنه العلامة السوسي: «هذا شاعر فطري مفوه

(1) - "الرحلة الحجازية"، محمد بخي الولاتي، ص: 31-32، تحریر وتعليق: د. محمد حجي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، الطبعة الأولى.

(2) - "المعسول": 26/3.

(3) - "الرجوع نفسه": 29/3.

(4) - نفسه: 29/3.

(5) - نفسه: 36/3.

عفري، يعرف كيف يسبك وكيف يصوغ، ولم يلتفت نظري مما يقوله الصحراويون النازلون بسوس بعد الفحليين الفذين محمد الإمام وابن العتيق إلا أقوال المترجم»<sup>(1)</sup>.

- محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين (1311-1389هـ): درس على الشيخ الحضرمي والأبجد الأبياري ومحمد البيضاوي وعن الأديب محمد باه ولله الشيخ، بزر في الأدب حتى قال فيه السوسي: «شاعر مفوه، لا أقدم عليه وعلى ابن العتيق.. أحدا من أهلهما في الفصاححة»<sup>(2)</sup>. كان يقدّم مرة بعد مرة على إلّغ في وقد من الصحراويين ينزلون على الأستاذ علي بن عبد الله الإلّاعي، فيستقيهم بالقصائد الرائقة مرحبا، ويحيّونه على العادة الجارية في مقابلة القرى الأدبية بأفضل منه.

- ماء العينين بن العتيق (1310-1376هـ): درس على أستاذ زين ولله محمد بن سيدى وعن خاليه الشيختين الهيبة والتعمة، وأنهى دراسته على جده الشيخ ماء العينين، فقصد عنده عالماً مختصاً أدبياً متوفقاً، وقد رأينا قول العلامة السوسي فيه حين جعله قريراً حاله محمد الإمام، كان يقدّم على إلّغ زائراً لرفقة حاله المذكور، فيشارك في الندوات الأدبية الإلّاغية<sup>(3)</sup>.

- محمد بن عبد العزيز (1290-1370هـ): درس على الشيخ ماء العينين ولم يأخذ عن سواه، ولزم أبناءه من بعده، فكان كاتباً لشيخه الهيبة وقاضياً في حضرته ثم مع أخيه الشيخ مربيه ربه، اشتهر بتقواه وورعه، كان يزور إلّغ أحياناً ضمن الوفد الصحراوي<sup>(4)</sup>.

- المخطوط بن الحضرمي: سبط الشيخ ماء العينين، كان ولوّعاً بالأدبيات حفظاً وجمعها لآثار أهله منها، وكان يقدّم على إلّغ مع وفد الصحراويين<sup>(5)</sup>.

### 3- مظاهر التواصل الأدبي بين الإلّاغيين والصحراويين:

رأينا أن الصحراويين يعشّقون الآداب وأنّها فيهم حبّة، وذكرنا شعف الإلّاغيين بالأداب وتشبعهم بالأرجحية، فكان طبيعياً أن تتفق سوق الآداب عند لقائهم، وتزوج الأشعار والرسائل فيما بينهم، وقد بُرِزَ ذلك في عدة مظاهر هي:

#### - المظهر الأول: الوفد الأدبي:

ازدهرت المدرسة الإلّاغية فخرّجت التلاميذ الناجحين الذين التشرّدوا في سوس،

(1) - "الم المسؤول": 36/3.

(2) - "الم المسؤول": 284/4.

(3) - المرجع نفسه: 294/4.

(4) - المرجع نفسه: 299/4.

(5) - نفسه: 299/4.

وجعلوا من المدارس التي أقاموا بها للتدريس حدائق أدبية غناء انتشر عبرها في المغرب كله، ولم ينقطع اتصال التلاميذ بأساتذتهم، بل كانوا يزورونهم مرة بعد مرأة، والخذلت هذه الزيارات طابعاً أدبياً صرفاً، حيث كان الوافدون أفراداً أو جماعات ينظمون قصائد في مدح شيوخهم؛ لأنهم كانوا يعلمون أن أفضل ما يقدم للأدب هو الإبداع الأدبي، وكان الشيوخ المضيفون يرددون على تلك القصائد بما يتألها وزناً وقافية، في مساجلات متالية ترفع للأدب رايته، وتتفق بها أسواقه.

وهكذا نشأ تقليد الوفود الأدبية والقرى الأدبية، ولم يقتصر هذه العادة في الاحتفاء بالوافدين على تلاميذ المدرسة، بل تجاوزتهم إلى كل واحد أديب يعرف للأدب قيمة، ومن هذه الوفود التي كانت تتردد على إلغ نذكر الوفد الإفريقي ورئيسه الشاعر الفحل الطاهر الإفريقي، وكان هذا الوفد يضم أدباء مدرسة تانكرت ووادي إفراز، كما كان للأدباء الصحراوين وفدهم الذي كان يرأسه الشيخ محمد الإمام ويضم الأدباء: ماء العينين بن العتيق والمحفوظ بن الحضرمي وغيرهم، وقد وفد الأولان مرة على إلغ فقال الفقيه الأديب عبد الله بن محمد الإلغي يستقبلاهما<sup>(1)</sup>:

أهلاً أسيادنا الإمام والعلم \* ما العين من بهما قد ضاعت الضلم  
أقبل والله لي السعد المبين بطن \* عنة عييكما وزالت الغم  
فمرحباً بكم حير الورى كرماً \* فانتما حير من وفت هم ذمم  
فأصحابه ابن العتيق:

جزيت بالخير بما من دأبه الكرم \* لا يعزيلك وتنى عنه ولا سأم  
فمن يسع بث عبد الله راحلة \* عن قبته يترج الإيمان والغم  
دامت بنا وبكم موصولة رحم \* وإنما رحم الآداب ذي الرحم  
وأصحابه كذلك محمد الإمام مغيراً الوزن والقافية:

فبوركت عبد الله بحمل محمد \* كريم السجايا طيب الأصل ماجده  
تلقينا بشراً فلتكم فيكم \* أيا آل عبد الله الزم قاعدده  
أبوك الذي عمّت مزاياه في الورى \* ولا عجب أن شایه النجل والده

#### المظهر الثاني: الندوات الأدبية:

كان من عادة الأدباء اللغويين عقد ندوات أدبية لتداول ما جدّ من إبداعات

(1) - "المعسول": 286/4.

خاصة إذا كان هناك ما يستدعي ذلك كميلاد مولود أو زواج أو أوبة من سفر أو حج... أو غير ذلك، وكان الأدباء الصحراويون يحضورون هذه المجالس، ويشاركون فيها، فتمتاز أقوال أدباء الصحراء بأدباء سوس في انسجام وتألف حتى سماها بعض المؤرخين ندوة الأدباء العرب والعلم<sup>(1)</sup>، وكانت هذه الندوات بمحالاً لعدة أنشطة منها:

• **المباحثات اللغوية:** كان الإلاغيون مفتونين باللغة وبالبحث فيها وضبط معانيها<sup>(2)</sup>، وكانت مجالسهم لا تخلو من بحث في كتب اللغة، وكان الصحراويون يساهمون بما لديهم من معرفة لغوية عميقه، ومن هؤلاء الشيخ سيديا الديانى، ففي بعض المجالس جرى ذكر كنمة لغوية وحار المتذمرون فيها، «... فقال الأستاذ علي بن عبد الله الإلاغي: أفتى ومالت في المدينة؟! أت肯 لأحد أن يقول وهذا الشيخ سيديا الذي إليه الأعنزة؟! فكل الصيد في جوف الفرا». كما جرى مرة أخرى ذكر كنمة إلغ.

هل تصرف؟ أم تتع من الصرف؟ فأتى سيديا بيبي السيوطي في "الفريدة":

وابن البلاد والتقبيل والكلم \* على الذي تقصده كما رسم  
ومقصوده أن لك صرفه وعدم صرفه، وهكذا يكون علمه معه رحمه الله<sup>(3)</sup>.

• **المساجلات الشعرية:** تعتبر الندوات الأدبية مناسبة للمساجلات وإشارة القراءع لتعاطي الأشعار وتحث الحاضرين على المشاركة في ذلك الحم الأرجسي الإخواني، وقد كان الصحراويون النازلون بهلуг يشاركون بارتجال القصائد والمقطوعات في مخاطبة الإلاغيين وفي الرد على الوفود النازلة هناك.

ومن المساجلات التي شاركوا فيها تلك التي بدأها الشاعر محمد بن الطاهر الإفريقي، وقد ورد على أستاذة علي بن عبد الله الإلاغي بقصيدة رائعة مطلعها<sup>(4)</sup>:

سيري مطيبة واقطعى البيداء \* فعسى يبلغك المسير رحاء  
فأحابه الأستاذ الإلاغي بقصيدة مطلعها:

هذى بروق في الحمى تزاءى \* أم ثغر مهدى في البراعم ضاءا

(1) - "المسؤول": 286/4.

(2) - بل هذا ديدن كل المغاربة، وما يعکي من طراف هذا الشقف باللغة والحرص على صحتها أنه عندما انتهى الدكتور طه حسين في بعض زياراته للمغرب من إلقائه محاضرة، سئل بعض العلماء المغاربة من كان حاضراً عن رأيه فيما قال، فأجاب وهو ييدي أصابعه المعقودة: لقد خن سبع عشرة مرة، وهاهي ذي أصابع لازالت معفودة على أحطاته.

(3) - "المسؤول": 27/3.

(4) - "المسؤول": 30/3.

فقال الشاعر الأديب محمد بايه وقد هزّته الأرجحية:

عهود الصبا ذكرت يا هبة الصبا \* فلا حرج إن حنْ ذو الشوق أو صبا  
ويا نسمات القرب هل من وسيلة \* إلى معهد الأحباب في زمن الصبا  
ويا نسمة الأسحار هل لتك لمة \* بقلبك مشوق بالغرام تنهيا  
ويا سلسيل الوصل هل لخشاشق \* شفاء من أشفاء إلى القبر قربا  
ويا بارق البرق اللموح معارضا \* شتتت لمى المع المؤشر أشتيا  
كفاك فقد حرّكت ما كان ساكنا \* وحاكيت لكن كان أضوا وأعديا  
رعى الله أيام الصبا وصفاهما \* من أكدار واش أو رقيب ترقبا  
تقليت الأحوال من طول عهدهما \* ولا عجب فالدهر ما انفك قلبا  
لحى الله دهراً راعنى بفارق من \* أود وألى باللوشة وعديا  
وصبّر قلبي لا يفارق محنتي \* رقيب تدوى أو حبيب تغيبا  
في دهر مهلاً قد تستمّت نفحة \* بوفد ها لا بد أن أتأهلا  
بوفد حبانا ما حجا يقدومه \* لا مرحباً أهلاً وسهلاً ومرحبا  
ومن هذه المساجلات تلك التي خطّب بها محمد سالم الصحراوي أحمد بن  
الشيخ علي الدرقاوي بطلب رفده، فأجابه بيابة عنده الطاهر بن علي الإلغي مداعبا، قال  
الصحراوي في مطلعها<sup>(١)</sup>:

مني إليك مع المدائح أَحمد \* أَتُمِّي سلام لا يزال يجدد  
فأُجاهد الطاهر بن علي الإلغي يداعبه متوجهلاً قصده:  
يا من يطيب به الرمان الأنكد \* ويطيب منه مصدر والمورد  
أنس الحزين ونجمة للمعتنى \* ذاك الإمام ابن الإمام الأحمد  
منا على صوغ غدوت بدره \* ما الشعر يصيّبنا سلام يحمد  
هذا وإن شعركم في قلبيا \* معنى يكاد من النطافة يعقد  
ما فيه من عيب وحقّت غير ما \* ييدو حضرتكم إذا ما يشد  
لم ندر ما قصد الأديب بشعره \* أمن النوال به يقام ويقعده؟  
إن كان ذلك مثل ذاك فلا يكن \* طول الزمان من المياه توقد  
أو كان مدحًا خالصًا فجوابه \* ما قال سيدنا النبي محمد

(١) - انظر المساجلة كاملة في "معوقات الكلووس في آثار ثلاثة من أدباء سوس" ، مخطوط لدى تصحّحة منه، ص: 351-352، وفي "المسؤول" : 3/36.

أحتوا التراب بأوجه المذاج ذا \* ك حزاء مثلث يا فصيح محمد  
 أو قلت إني ما أقول لغير وجه \* الله والحمد الصميم يشيد  
 فحزبت عما قلت من رب الورى \* خير الحزاء به تسود وتسعد  
 مناعيك مع الحواب تحبة \* كالروض يشذى مع الحمام يغرس  
 لا تأخذن الشعر في إبطائه \* فنظير شعرك في الورى لا يوجد  
 إني برىء أبناء ممس في القوافي \* في مثل أبناء لعنة محمد  
 وقال العالمة محمد المختار السوسي عن تلك المداعبة السجالية: «انتهت المداعبة  
 التي فاكها بها الإلغيان ذلك الأديب الشكططي اللطيف الفكه، فإن كانت لهيبة في هذا  
 الشعر زيادة على الإيطاء والإقواء قدأة في عين القارئ، فذلك كله مقصود عمدًا، ولا  
 فلا يُفْعَلُ لأديب إلغي في ذلك بشنان، والصحراويون يقولون في السوسيين ومن إلهم  
 أبناء ممس من أعلام النسوة عندهم كعبنة عند العرب»<sup>(1)</sup>

### - المظهر الثالث: المراسلات:

لم يكن التواصل الأدبي متتحققًا بين الصحراويين والإلغيين بالالتافي في إلغى أو في  
 حضرة الشيخ أحمد الهيبة، بل كان مستمراً بالمراسلات الأدبية التي كانت تنتقل بين إلغى  
 وتزنيت أو إيتارخا أو كردوس، وهي مراسلات كثيرة يغلب عليها الطابع الأدبي  
 البياني، حيث الاحتفاء بالسجع والحناس والطياق، والتزيص بالآيات الحكمة، ونقل  
 القصائد الطنانة، ومنها رسالة من محمد بايه إلى الأستاذ علي بن عبد الله الإلغي يعتذر  
 فيها عن تأخره في القدوم إلى إلغى قال فيها:

«... حدث حادث، وهجمت إحدى الكوارث، فتأخرت عن الموعده، إلى أن  
 يمر عيد المولد، ثم أفي بقدومي عاجلا، راكبا وإن لم يأتي منكم مرکوب آتيكم راحلا،  
 وسيدنا الإمام يسلم عليكم وهو يستنقذ إلكم، وطالما أقض عنكم أيها الإلغيون من  
 دعواه، لتبقوا دائمًا مفعرا من مفاخر ندواته، وقد أنشدنا يوما وقد اعتذر لـه عن  
 تخلفي عنه بـلروركم وهو يقصد أحوالكم وكيف يكون الضيف عندكم»<sup>(2)</sup>

نزلت على آل المهيب شاتيا \* غريبا عن الأوطان في زمن المخل  
 فما زال بي إحسانهم وافتقادهم \* وبرهم حتى حسبتهم أهلي»<sup>(3)</sup>

(1) - "مترعات الكuros في آثار طالفة من أدباء سوس"، ص: 352، (مخطوط).

(2) - "المسؤول": 31/3.

#### - المظهر الرابع: تقدير الصحراويين للالغين:

تأثير أدباء الصحراء، تما لفوه من الالغين من حسن ضيافة وكرم غامر وبر ومن قرئي أدبي ممتع، فعبروا عن تقديرهم لهذا الخلق والأصحاب، ومن أواتهم محمد يحيى الولاتي الذي قال<sup>(1)</sup>:

يا أهل تحت الحصن أنتم فوقه \* معنى وحصنكم بعلم يشرف  
ما ضر من بالفوق معنى وصفه \* إن كان في حسن بتحت يوصف  
فارقوا بحد واحتها للعلا \* ترقوا معالي حدتها لا يوصف  
ثم محمد يابد، الذي قال<sup>(2)</sup>:

بني إلغ أهل العلم والحمد والفضل \* يصدق فيهم كل ما مسهب يكتفى  
علوم وأداب وجود وخلة \* صفت كرحيق كأس أو شهدۃ التحل  
ودین ودنيا والشهامة كلما \* يشار إذا حد النضال إلى النصل  
وجود فمن يلهم يسر أنه \* وإن لم يكن من أهلهم أحد الأهل  
نسيم الصبا سلم على إلغ من فتنى \* يرى كل إلغى له مختص الخل  
ثم ماء العينين بن العتيق الذي قال<sup>(3)</sup>:

يا آل تحت الحصن إن يقع النوى \* فبحفظ وذكرا الفؤاد زعيم  
لار لكم مأني الوفود وإن دهت \* سنة وناب من الخطوب عظيم  
إنما يلوناكم فالفيناكم \* ما منكم في النابات مليم  
أنتم مناخ بني السبيل وحيكم \* أبدا يقارعة الطريق مقيم  
(إن أمرءا جعل الطريق لباه \* طبنا وأدى حقه لكريم)  
إلى غير ذلك من القصائد والمقطوعات الدالة على ما بين الفريقين من الحبة الثانية  
للتواصلة المبنية على إحلال العلوم وعشق الأدب مما اشتهر وانتشر في سوس ووصل  
صداه إلى آذان محبي الآداب في كل مكان، وقد سجل أثر هذا الاتصال بين أدباء إلغ

(1) - "المஸول": 64/1.

(2) - المرجع نفسه: 66/1.

(3) - المرجع نفسه: 65/1، ولبيت الأخير بيت قديم مصنعا بعد تعديل، وأصله:  
إن أمرءا جعل الطريق لباه \* طبنا وأنكر حقه لشيء

والصحراء الشاعر الفذ الحسن البونعماني بقوله<sup>(1)</sup>:

حيث إلَّغَ فِمَا أَحْلَكَ مُجْمِعًا \* لِوَفُودِ شِعْرِ أَيْنِ مِنْ يَسْتَكْفِ  
عُلَمَاءَ صَحْرَاءَ الْفَسِيْحَةِ حَدَّدُوا \* فِيهَا عَكَاظًا لِلنَّهَى تَسْتَوْقِفُ  
أَحْيَا الْوَلَاتِي فِي الْمَوَاتِ حَدَّاقًا \* غَلَبًا يَفْكِرُ فِي الْمَعَارِفِ تَقْطُوفُ  
وَابْنِ الْعَتِيقِ مَطْرُبٌ بِقَرِيبِهِ \* وَعَلَيْهِ أَعْلَامُ الْبَيَانِ تَرْفُرُ  
وَعَلَيْهِمَا نَيْغَاءٌ إِلَّغَ أَغْدِقُوا \* كَرْمًا وَآدَابًا وَمَا يَسْتَطِرُ  
هُمْ أَفْعُمُوا مِنْ كُلِّ فَذِ أَكْوَسَا \* لِلْوَافِدِينَ وَبِالنَّوَادِرِ أَخْفَوْا  
صَفَ بِالْمَفَاحِرِ إِلَّغَ فَهِيَ حَدِيرَةٌ \* وَأَنَا بِإِلَّغِ فِي الْمَفَاحِرِ أَعْرُفُ  
هَذِهِ، إِذَاً، بَعْضُ مَظَاهِرِ التَّوَاصِلِ الْأَدَبِيِّ بَيْنَ الصَّحْرَائِينَ وَالْإِلْغَيِّينَ تَعْرُ عنْ عَمَقِ  
التَّرَابِطِ الْقَافِيِّ وَالْفَكَرِيِّ بَيْنَ سُوسَ وَالصَّحْرَاءِ، وَهَذَا التَّوَاصِلُ فِي حَاجَةٍ إِلَى دراساتٍ  
أَكْثَرَ عَمْقًا بِالاستنادِ إِلَى مَا يَجِدُ مِنْ وَثَائقٍ وَمَخْطُوطَاتٍ تَبَرِزُ هَا الْدِرَاسَاتُ الْمُتَعَلِّقَةُ  
بِإِسْهَامَاتِ هَذِينِ الْإِقْلِيمَيْنِ فِي النَّهْضَةِ الْقَافِيَّةِ وَالْفَكَرِيَّةِ الَّتِي شَهَدَهَا الْمَغْرِبُ خَلَالَ  
تَارِيْخِهِ الْحَافِلِ.

(1) - "ديوان الحسن البونعماني"، جمع وتحقيق ودراسة: الحسين آغا، ص: 475، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1996.



العلم الشیخ محمد الإمام بن الشیخ ماء العین  
و عن تبیه محمد بن الشیخ مریمہ ریہ، و عن یسارہ الفقید

## المساجلات الشعرية بين شعراء سوس وشعراء الصحراء المغربية

ماء العينين النعمة على (\*)

\*\*\*\*\*

عرفت الصحراء المغربية نهضة ثقافية متميزة، عممت سائر الحالات الأدبية والعلمية، وساهمت في إغناء حركة التأليف والبحث، فنبع فيها علماء وأدباء كبار، خلقو أعمالاً أدبية وعلمية غيرية، استطاعت أن تنهض بالتراث الأدبي، وأن تخرجه من الانغلاق والجمود الذي كان يعيشه.

ويعتبر الشعر أبرز وجوه هذه النهضة، فقد ازدهر ازدهاراً كبيراً في الصحراء، وظهر ساماً على الألوان المعرفية والفكرية الأخرى، ولا يكاد يجد قطرة من قطرات البلاد العربية بربور فيه من الشعراء الفحول، مثل ما نجده في الصحراء المغربية.

وتشجّي معالم هذا الازدهار، فيما حلّقه أدباء هذه المنطقة من ثروة شعرية غيرية، وتركوه من دواوين صخمة كبيرة، مما يدعو إلى القول بأن الحركة الشعرية الصحراوية، لم تكن متحلّفة عما شهدته باقي المراكز الثقافية في شمال المغرب، من رقي فكري وأدبي، ولكنها توافي في تراكمها الكمي، وتعبرها عن واقع المرحلة التاريخية التي عاشتها، ما عرفه سائر الأقاليم المغربية، من نشاط شعري، إن لم تقل تفوقها، كما وكيفاً.

ولا غرو فيما ذهب إليه العلامة الشنقيطي من أن الصحراء المغربية «يسكّنها الشعراء وعشاق الشعر»<sup>(1)</sup>. أو ما قاله المختار السوسي من أن قول الشعر كان «أشهل على الصحراوين من شرب الماء»<sup>(2)</sup>. وهذا ما يؤكده الدكتور عباس الحراري قائلاً: «الصحراء بطبيعتها شعر، وأهل الصحراء يكادون أن يكونوا كثيرون شعراء، بل إنهم يقولون الشعر كما يتفسّون الهواء»<sup>(3)</sup>.

(\*) - أستاذ باحث - تزليت.

(1) - "اللوسيط في ترجم أدباء شنقيطي". محمد الأمين الشنقيطي، ص: 4.

(2) - "حلال حزولة"، المختار السوسي: 20/1.

(3) - "شعر الصحراء"، عباس الحراري، مجلة دعوة الحق، العدد: 273، السنة: 30، يناير - مارس 1989، ص: 113.

ولم يكن شعر الصحراء شعراً منعزلاً متنقلاً يتحرك في بيته، ولكنه كان وما يزال وسيلة تواصل بين الشمال والجنوب: «يُندِّ أطراه إلى الوطن ليندمج فيه، وينصهر داخل بونقته، في عملية أخذ وعطاء مستمرتين»<sup>(1)</sup>. بينما وأن التواصل الثقافي والعلمي والأدبي ظل قائماً غير منقطع، يتجلى في إقبال علماء الصحراء على أقاليم الشمال، يأخذون من علمائها وأدبائهم، ويساهمون بهم، كما أن كثيراً من علماء هذه الأقاليم، كانوا يرحلون إلى الصحراء ليأخذوا عن علمائها وأدبائهم<sup>(2)</sup>.

وقد حظيت منطقة سوس بمنصب وافر وكبير من هذا التبادل الثقافي والأدبي لعوامل متعددة، أهمها:

أولاً: العلاقة القديمة والعميقة بين سوس والصحراء، منذ هجرة عبد الله بن ياسين التمتراتي من أهلها إليها لنشر العلم والدين.

ثانياً: سوس كانت وما تزال محطة رئيسية لعلماء الصحراء وأدبائهم، يتوقفون بها وهم في طريقهم إلى أقاليم الشمال، أو لأداء مناسك الحج، فيلتقيون بعلمائها وأدبائهم، مما أفضى بهم إلى محاورات ومساحلات أدبية وفكرية.

ثالثاً: انتقال الشیخ ماء العینين إلى مدينة تزنيت واستقراره بها كان له دور كبير في نهضة الأدب بالمنطقة؛ فقد رافقته جماعة من الشعراء والأدباء الصحراويين، الذين تعاونوا معهم أدباء سوس وشراوها، مما جعل الصلات الأدبية تقوى وتشتد، دون أن تعرف انقطاعاً. فعرفت الساحة الأدبية تعاوناً كبيراً بين الأدباء السوسيين والصحراويين عن طريق المساحلات الشعرية، فانتالت القصائد والمقطوعات، تتحدد الشعراء والأدباء، وتثنى على براعتهم الأدبية، وملكتهم الشعرية، وتنوعت إمكانياتهم العلمية، مما ساهم في ازدهار الحركة الشعرية الأدبية السوسية والصحراوية.

والمتاحلات تشمل مجموع الأشعار التي كان الشاعر يوجهها إلى غيره، فيحييه على نفس البحر والروي، أو يتداوها في مجالسه ومسامراته، كوصف الشاعر، وبث الأشواق للإخوان والأحباب، وغيرها من المواضيع، التي تغير عن امتلاكه لнациضة الشعر وقدرته على البديهة والارتفاع.

(1) - "شعر الصحراء"، عباس الجرار، مجلة دعوة الحق، العدد: 273، السنة: 30، يناير - مارس 1989، ص: 115.

(2) - "الشعر العربي في الصحراء المغربية: جذوره التاريخية - ظواهره وقضاياها"، أحمد مفتاح، دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط: 568/3، السنة 1990.

وقد ساعدت الفترة التاريخية الممتدة ما بين 1910 و1960 التي عاش فيها شعراء الصحراء وسوس، على ازدهار هذا اللون من الشعر «وهو الذي تنفع إليه الظروف أكثر من غيره، ولللاحظ أن هذا الشعر يحظى بعناية المغاربة منذ قرون»<sup>(1)</sup>. كما أن العلاقات الاجتماعية والثقافية التي تحيط بهم، ساهمت في توجيههم هذه الوجهة الأدبية؛ فقد وجدوا أنفسهم أمام ثلة من الأدباء والعلماء والشعراء، الذين يشيدون بأعمالهم وفضائلهم، وينوهون بأخلاقهم وأدابهم، ويغترفون بفضائهم ومكارיהם، ويزورونهم من حين لآخر، يتادلون معهم ملحق الأشعار ونواذر الأخبار، فكانوا يكرمونهم، ويحسنون إليهم، ويشيدون بهم وبفضائلهم وأخلاقهم ومكتاباتهم الأدبية الرفيعة، ويتحدون الشعر وسيلة لذلك، فيسجلون فيه انتصاراتهم عنهم، وشعورهم تجاههم، وما يحسون به من اتساع واطمئنان وحبور بينهم.

بالإضافة إلى هذا، فإن «العدام الجمhour المثقف الذي يتقن العربية الفصيحة، ويفهم الشعر ويتذوقه، جعل الشعراء يميلون إلى الأغراض التي تحمل شعرهم موجها إلى من يفهمه ويقدرها»<sup>(2)</sup>.

ومن بين هذه الأغراض شعر المساجلات الذي «لا يوجه إلى الجمهور، بقدر ما يوجه إلى الأديب أو الفقيه المحاطب به، فالمعنى لا يبعد أن تكون احتيالا من جانب الأدباء، الذين أعزّهم الجمهور المثقف، فمالوا إلى الإخوانيات والمساجلات التي يتجهها الأدباء، في محاولة لتحقيق اكتفاء ذاتي من نوع جديد، ولعل ذلك هو سر كثرة الإخوانيات كثرة مفرطة في الأدب المغربي»<sup>(3)</sup>.

وأهم ما تتطوي عليه هذه المساجلات هو:

- 1- إعجاب الشعراء بالشعر الذي يعيشون عنه، وإشادتهم بالفكر الذي نظمه وأبدعه.
- 2- التتويه بعلم وأدب وأخلاق ومكانة المحاطب.
- 3- توجيه السلام إلى المحاطب وإرشاده ونصحه والدعاء له بالرفعة والسمو والعنو.

وهذا ما سيظهر لنا من خلال النماذج الآتية:

(1) - "شعر داود الرسموكي"، البزید الراضی، ص: 133، منشورات جمعية إلیاذة للتنمية والتعاون، السنة 1992.

(2) - المرجع نفسه: 133.  
(3) - نفسه: 133.

- قال عبد الله بن محمد الإلغي يخاطب ماء العينين بن العتيق لما وفد على إلغ هو وأصحابه<sup>(1)</sup>:

أما العين بيل يا نور إنسانها الذي \* جلوت به السراء لائحة النتش  
أنج مرحبا أهلا وصحيث من بهم \* أنتا المنى تختال مسرعه تمشي  
وقدروا عيونا إلهادار سيد \* يلاقى التزيل بالمسرة والهش  
فأيقاه من أرقاه حصن سعادة \* يقينا صروف الدهر ذي المكر والبطش  
فأصحابه ماء العينين بن العتيق<sup>(2)</sup>:

أخفا بكم الله در أيكم \* فبادرتم بالرحب والبشي والهش  
بدار من اعتاد القرى فكانه \* يضيق به درعا فراحته تفشي  
وإني أرى سيم السيادة والعلا \* آيا آل عبد الله داركم تعشى  
فأصحابه أيضا عبد الله<sup>(3)</sup>:

عروس غدت فوق الأرائك والعرش \* تتبه دللا في علائهما الرقش  
أم الشمس في برج السماء تبرحت \* أشعتها وسط الهواء وفي الفرش  
أم الزهر في روض الرياحين حاده \* لدى سحر سج الغمامه بالرش  
نعم إنها الفاظ در تروق إذ \* ترق وصافي اللود من ضمها تفشي  
إمام اهدى ما العين سيدنا الذي \* أنته حسان الحمد سافرة تمشي  
عليكم سلام الله ما جن خاست \* على عاشق فحن مذكرا ينشى  
- وقال أيضا يرحب بماء العينين بن العتيق والشيخ محمد الإمام بن الشبيح ماء  
العينين<sup>(4)</sup>:

أهلا وسهلا بالإمام وما الـ \* عينين من ضيقين قد وفدا  
ونازلين منزل القلب في \* ضلوع هذا العبد طول المدى  
بشر اكما عيني قد وردا \* ماء كما الزمرم عذبا ردا  
لازلتـا ولا أزال أنا \* معكما على بساط الندى

(1) - "الم المسؤول"، المختار التسوسي: 184/2، مطبعة فضالية الخميدية، المغرب، السنة 1960.

(2) - المرجع نفسه: 185/2.

(3) - نفسه: 185/2.

(4) - نفسه: 185/2.

فأحاجيه ماء العينين بن العتيق<sup>(1)</sup>:

أمن كان لأركان الندى شيدا \* واعتاد ما من فضله عودا  
وأذهب الوحشة إيناسه \* وأبهرت رؤيته المتدى  
وروح الروح وجثمانها \* وأحسن المشاً والمنشدا  
ساعدك الدهر لقد سرنا \* يوم بقياك لذا أسعدا  
أخفوك الله بيبرل المدى \* وكف عن نيت كف العدا  
- وقال عبد الله الإلاغي يخاطب الشيخ محمد الإمام وماء العينين بن العتيق<sup>(2)</sup>:

أهلاً أسيدنا الإمام والعلم \* ما العين من بهما قد ضاعت الظلم  
أقبل والله لي السعد المبين بطلَّ \* عنة حبيكما وزالت الغم  
فمرحباً يكما خير الورى كرما \* فاتئما خير من وفت هم دمم  
فأحاجيه ماء العينين بن العتيق<sup>(3)</sup>:

جزيت بالخير يا من دأبه الكرم \* لا يعتريت ونرى عنه ولا سام  
فمن ينفع بت عبد الله راحلة \* عن قلبك ينزع الإيحاش والغم  
دامست بنا وبكم موصولة رحمه \* وإنما رحم الآداب ذي الرحم  
- وقال الشيخ محمد الإمام وقد خرج عن الروي<sup>(4)</sup>:

فيوركت عبد الله خجل محمد \* كريم السجايا طيب الأصل ماجده  
تلقيتنا بشراً فتنكم فيكم \* أيا آل عبد الله الزرم قاعده  
أبوك الذي عمت مراياه في الورى \* ولا عجب إن شابه التجل والده  
- وقال أبو الحسن الإلاغي يخاطب الشيخ محمد الإمام<sup>(5)</sup>:

طلعتم طلوع الشمس بعد غمام \* فأبرء حرج القلب بعد كلام  
حلقتم حلاً مستطيراً بترنكم \* فأشكر دهري إذ رعي لذامي

(1) - "المسنون": 2/185.

أشير إلى أن الكثير من هذه المساجلات ورد في كتاب "خلية الطروس" لابن العتيق، مخطوط، ورقة: 150 وما بعدها.

(2) - "المسنون": 4/286.

(3) - نفسه: 4/286.

(4) - نفسه: 4/286. وانظر كذلك: "خلية الطروس"، ورقة: 168.

(5) - "المسنون": 4/287.

أقاني بغير الفاضلين على جوى \* إليهم وشوق ضاق عنه حزامي  
 فلم يث أحلى من وصال أحابر \* محباهم في العين بدر عمام  
 أنيحوا أنيحوا فالديار دياركم \* وهذا العيد خادم كفلام  
 عليكم سلام الله ساعة وصلكم \* أيا من لقاهم كان كل مرامي  
 فأحابه الشيخ محمد الإمام<sup>(١)</sup>:

أرهر خروم أم بدور عمام \* أرهر أكام ذا أصب غمام  
 أم الدر من بحر الهدى قدفت به \* قرحة حر لا يرم همام  
 على أنه أبهى من الدر متظرا \* ويفعل بالآلاب فعل مدام  
 على المقام اسماع عنى مثل وسمه \* كريم الفروع يتسمى لكرام  
 جوى فضلهم مع فضله ولو أنهم \* سواهم لسودته نفس عصام  
 فكن لأمير العارفين معاذرا \* فقد قل من يدرى حقوق إمام  
 فلارلت في عين العدو قدى لها \* ودمت لحب الدين خير حسام  
 - وقال محمد بن حني الولاتي<sup>(٢)</sup>:

يا أهل تحت الحصن أنتم فوقه \* معنى وحصنكم يعلم بشرف  
 ما ضر من بالفوق معنى وصفه \* إن كان في حس بتحت يوصف  
 ففارقوا بجد واجتهاد لعلا \* ترقوا معانى حدها لا يوصف  
 - وقال ماء العينين بن العتيق في غير الروي<sup>(٣)</sup>:

يا آل تحت الحصن إن يقع النوى \* فيحفظ ودكم القواد زعيم  
 لازلتم مائى الوفود وإن دهت \* سنة وناب من الخطوب عظيم  
 يا بيوناكم فالفيتاكم \* ما منكم في النابات مليئ  
 لم نفجروا فطباعكم محمودة \* والعرض مما يستلزم سليم  
 أنتم مناخ بني السبيل وحيكم \* أبدا بقارعة الطريق مقيم  
 إن امرأ جعل الطريق لبابه \* طبا وآدى حقه لكريم  
 فعليكم اسمى التحايا ما شئت \* ورق على أيك وهب نسيم

(1) - "المسور": 4/286-287.

(2) - عموم المرحوم ماء العينين على مربيه ربه، مخطوط خزانته، الورقة: 10.

(3) - المرجع نفسه، الورقة: 25.

فأجابهما الحسن البونعماني<sup>(١)</sup>:

لَمْ يَقْدِهَا حَاجَ ذَاكَ الْمُوقَفْ \* وَعَيْنُ إِلَغٍ مِنَ الْوَدَاعِ تَكَفَكَفْ  
نَظَمُوا دَمْوَعَهُمْ قَصَائِدَ وَهِيَ فِي \* حَسْنٌ أَجْلٌ مِنَ الْعَقُودِ وَأَشْرَفَ  
كَمْ تَوَجَّهُوا قَبْلَ الرَّحِيلِ بِحَالَسَا \* وَلَكُمْ بِشَعْرِهِمْ الْمَسَامِ شَنَفُوا  
ذَهَلَ الْمَوْدَعَ وَالْمَوْدَعَ لَسْوَى \* فَكَانَتْ دَارَتْ هَنَاكَ الْقَرْقَفَ  
حَيْثُ إِلَمْ فَمَا أَجْحَنَتْ جَمِيعًا \* لَوْفُودٌ شَعْرٌ أَيْنَ مِنْ يَسْتَكْفَ  
عَلْمَاءَ صَحْرَاءَ الْفَسِيْحَةِ حَدَّدُوا \* فِيهَا عَكَافِلٌ لِتَهْرِيْسِ تَسْتَوْفَ  
أَحْبَابُ الْوَلَاتِيْنِ فِي الْمَوَاتِ حَدَّاقَا \* غَبَا بِفَكْرِيْنِ الْمَعَارِفِ تَقْطُفَ  
وَابْنَ الْعَتِيقِ مَطْرُوبٌ بِقَرِيبِهِ \* وَعَيْنِهِ أَعْلَامُ الْبَيَانِ تَرْفَرَفَ  
وَعَنْهُمَا بَغَاءٌ إِلَغٌ أَغْدَقُوا \* كَرْمًا وَأَدَابًا وَمَا يَسْتَطِرُفُ  
هُمْ أَفْعَمُوا مِنْ كُلِّ فِنْ أَكْوَسَا \* لَلْوَافِدِينَ وَبِالْوَادِرِ أَغْفَرُوا  
صَفَ بِالْمَفَاحِرِ إِلَغٌ فَهِيَ حَدِيرَةٌ \* وَأَنَا بِرَلْعٍ فِي الْمَفَاحِرِ أَعْرُفَ  
وَنَمْ تَقْتَصِرُ هَذِهِ الْمَسَاجِلَاتُ عَلَى مَنْطَقَةِ سُوسِ وَحْدَهَا، بَلْ تَعْدِتُهَا إِلَى مَنَاطِقِ  
الشَّمَالِ، فَفِي سَنَةِ 1938 قَامَ الشَّيْخُ مُرِيَّهُ رَبِّهِ بْنُ الشَّيْخِ مَاءِ الْعَيْنِينِ، بِرَحْلَةٍ إِلَى الْدِيَارِ  
الْحَجَازِيَّةِ لِأَدَاءِ مَنَاسِكِ الْحَجَّ، وَفِي طَرِيقِهِ تَوَقَّفَ بِمَدِينَةِ طَوَانَ، وَقَامَ فِيهَا بِشَاطِئِ عَلْمَيِّ  
وَأَدَابِيِّ وَسِيَاسِيِّ وَدِينِيِّ قَبْلَ تَوْجِهِهِ إِلَى الْحَجَّ وَبَعْدَ عُودَتِهِ مِنْهُ. وَقَدْ مدَحَهُ الْعَدِيدُ مِنْ  
الشَّعَرَاءِ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ، ذَاكِرِينَ مُقْدِمَهُ، وَمُرْجِيْنَ بِهِ وَجْهَيْنِ وَفِدَهُ، مِنْ بَيْنِهِمُ الشَّاعِرُ  
إِبرَاهِيمُ الْإِلَغِيُّ بْنُ الْحَاجِ عَلَى الدَّرْقاوِيِّ الَّذِي حَاطَهُ بِقَصِيْدَةِ طَوَيْنَةٍ مَطْلَعَهَا<sup>(٢)</sup>:  
خَطَرَ النَّسِيمَ مُبَشِّرًا بِالْأَسْعَدِ \* وَيَدُ الصَّبَاجِ تَلَ وَحْهَ الْأَخْدَ  
إِلَى أَنْ قَالَ:

هَذِيَ الْوَفُودُ الْمَازِلُونَ بِرْحَبِنَا \* لَبَوَا نَسَاءَ اللَّهِ دُونَ تَرْرَدِ  
يَحْدُوْهُمُ الشَّوْقُ الْكَمِينُ عَلَى التَّوَى \* كَيْمًا يَحْجُوْهُمْ بَيْتُ عَنْقِ سَرْمَدِ  
فَلَحِجَّهُمْ مِنْ غَيْرِ شَكِّ حَطَّةَ \* فَهُمُوا أَتَوْهُ مِنْ مَكَانٍ أَبَدِ

(1) - "ديوان الحسن البونعماني"، تحقيق: الحسين آغا، ص: 475، السنة 1996، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.

(2) - "مع أدباء الصحراء المغربية"، رضا الله إبراهيم الإلغي، مجلة دعوة الحق، العدد: 5، السنة 19 مאי 1978.  
وانظر كذلك: "خلية الطروس" لابن العتيق (خطوطة)، ورقة: 215، وديوان "مركز الإمداد ومصبه فيما  
قاله أو مدح به الشيخ مرivitye ربيه" ، ماء العينين أبو بكر بن الشيخ مرivitye ربيه (خطوطة خاص)، ورقة: 61.

إلى أن قال:

هذا أميرهم مربه ربِّه \* أَنْعَمْ بِهِ مِنْ قَدْوَةِ الْمُقْتَدِي  
بصروا بِهِ عَلِمَا أَشَمْ وَشَاحِنَا \* إِرْشَادِهِ يَهْدِي الْحَمْمَ فَهَتَّدَي  
عَلِمُوا مَكَانَتِهِ الْعُلْيَا فِي الْوَرَى \* عَلِمَا وَأَخْلَاقًا وَرَفْعَةً مُخْتَدِي  
يَكْفِيهِ فَخْرًا أَنَّهُ الْحَصْنَ الَّذِي \* حَرْسُ الدِّيَانَةِ فِي الْجَنُوبِ الْأَبْعَدِ  
فَالسَّوسُ يَعْرُفُ فَضْلَهُ وَيَجْلِهُ \* وَلَهُ عَلَيْهِمْ عَهْدَةُ الْمُقْتَدِي  
قَدْ قَاتَمُ الدُّخَلَاءِ فِي طَفِيَانِهِمْ \* وَأَذَاقَهُمْ شَرُّ الْوَبَالِ الْأَسْوَدِ  
لَا غَرَوْ إِنْ كَرِمَ الْهَزَبِرِ وَإِنَّا \* أَقْدَامَهُ طَبَّاعًا تَحَايَةً فَرَهَدَ  
أَسْلَافُ هَذَا الشَّيْخِ كَانُوا حَجَّةً \* فِي الدِّينِ وَالْعِلْمِ الصَّحِيحِ الْمُسَدِّدِ  
أَعْظَمُ بِهِمْ أَعْلَمُ قَطْرٍ مَا وَسَعُوا \* إِلَّا لِرَفْعِ الدِّينِ فَوْقَ الْفَرْقَادِ  
فَابْنُ الْعَتِيقِ الْمَحْلُ بَازِلُ قَوْمَهُ \* يَرْمِي بِفَكْرِ كَالْقَسْيِ مَسْدَدًا  
أَمَا مَعَانِيهِ فَوْحَى مِنْهُمْ \* وَالنَّفَظُ مِنْهُ كَتُولُ وَزَمَرَدَ

إلى أن قال:

الْدَاءُ كُلُّ الدَّاءِ فِي تَقْرِيقَنَا \* فَمَتَى نَسَرَ إِلَى الْوَفَاقِ الْمُنْجَدِ  
لَهُ عَهْدٌ خَنَّ فِيهِ وَوْحَدَةٌ \* وَالْقَطْرُ تَحْتَ أَوْمَرِ الْمُوحَدِ  
لَا شَيْءٌ يَصْلِحُ حَالَنَا كَتَعْارِفَ \* وَتَزَارُورُ وَتَعَاوُنُ وَتَوْدُدَ  
فَأَجَابَهُ مَاءُ الْعَيْنَيْنِ بْنَ الْعَتِيقِ، وَذَكَرَ مَعَهُ الشَّاعِرُ إِدْرِيسُ الْجَاهِي<sup>(1)</sup> بِقَوْلِهِ<sup>(2)</sup>:  
الشِّعْرُ فِي يَدِ الْحَلِيلِ عَقْرُودٌ \* يَنْفَى وَلِنْجَاهِي يَجِي طَوْعُ الْبَدِ

(1) - كان الشاعر إدريس الجاهي قد نظم قصيدة في مدح الشيخ مربه ربِّه لما حل بمدينته تطوان، وهذا ما جعل ابن العتيق يذكره في قصيده مع إبراهيم الألفي، مطلعها:

نَفَى عَنْ حَفْوَنِي النَّوْمُ أَعْدَ سَعَادَ \* وَهُلْ بَعْدَهَا يَوْمًا يَطِيبُ رِقَادِي

إلى أن قال:

وَإِنْ تَزَلُوا تَنْطَوُانَ أَعْظَمُ بَعْحَرَهَا \* الْأَطْلَوْنِي تَطَرَّدَ كُلُّ بَلَادِي  
فَقَدْ حَلَ فِيَكُ الْعِلْمُ وَالْفَضْلُ وَالْقَنْصُ \* بَمِنْ رَبِّهِ رِبَّاهُ وَهُوَ لَهُ مَادَ  
وَمَنْ هُوَ لِالْإِسْلَامِ أَكْبَرُ تَاصِرٍ \* وَلِلْعَنْمُ وَالْأَدَابِ حَمَرُ عَنَادَ  
- انظر القصيدة كاملة في ديوان: "مرکز الإمداد ومصبه، فيما قاله أبو مدح به الشيخ مربه ربِّه"، ماء العينين أبو بكر بن الشيخ مربه ربِّه، مخطوط خاص، الورقة: 65.

(2) - المرجع نفسه، الورقة: 66. وانظر كذلك: "تحليل الطرورس" (مخطوط)، الورقة: 190.

فحلان فكر كلهم لم يبعث \* إلا إلى نظم القرىض الجيد  
في السود اصطحبها اصطحاب الفرقيب \* من فادركا فيه مناط الفرقد  
في سادة من تلقه منهم نقل \* ما أبصرت عيني كهذا السيد  
أهدى لنا الندبان في النادي ابني \* فكر كسمطي لولو وزير جد  
نفتاعن الجفن الأسني إذ منها \* خطر التسليم مبشرًا بالأسعد  
بالإضافة إلى هذه المساحلات الشعرية التي تدخل في باب التعبير الإخواني المتميز،  
هناك مساحلات أخرى هي عبارة عن أبيات كانوا ينظمونها، ويتبادلونها وهم يشربون  
الشاي، مما يعبر عن سرعة بديهتهم وارتجافهم. ومن أمثلة ذلك قول الشيخ مربيه ربه بن  
الشيخ ماء العينين<sup>(1)</sup>:

نعم الأتاي أتاي القائد المذني \*

فقال الطاهر الإفرازي:

\* موافق شهوات الروح والبدن

وقال الشيخ مربيه ربه:  
يا حبذا صفو كاسات لطافتها \*

وقال الشيخ عبد الله الإلغي:

مازلت أطرب والكاسات دائرة \*

وقال أيضًا الشيخ مربيه ربه<sup>(2)</sup>:

يطيب الشرب من طيب الأنبياء \*

فقال الطاهر الإفرازي:

\* وتطفى في الحشائش الرسميس

وقال الشيخ مربيه ربه:  
وتتبسط القلوب بذكر حب \*

(1) - مجموع محمد بن الطاهر الإفرازي، مخطوط، الورقة: 20، حرثة الأستاذ الخرم أحمد أبو القاسم، ترنيت.

(2) - نفسه، الورقة: 26.

وردت هذه المساحلات كذلك في كتاب "العقد الشميم في المهد من السجال الشعري والنثري الرصين" للشيخ مربيه ربه، مخطوط خاص، الورقة: 200 وما يليها.

وقال الطاهر الإفرائي:

به تخلّى هموم القلب مهما \* تراكم حادث الدهر الخسيس  
وقال الشيخ مرعيه ريه:

إذا ماريء ملقتا تداعست \* إليه غلبة هم الحليس  
وقال الشيخ عبد الله الإلغى :

يعار لحسنه بدر هنریز \* ویسبی قبّه قلب الرئیس  
وقال الطاهر الافانی مخاطب الشیخ میرزا رضا:

كأن خاطره سيف نصته \* يمينك عند مخدم الوطنيس  
 فانت البحر في الجنوى ومهما \* سطوت تهيت آساد حرس  
 ببارك فيك رب يا إمام الـ \* سكرايم ما حدا الحادي بعيس  
 ونشرت أغيرا إلى أن هناك الكثير من القصائد والمقطوعات، التي خاطب بها شعراء  
 موس أدباء الصحراء وعلماءها، والشيء نفسه يقال بالنسبة للشعراء الصحراوين الذين  
 خاطبوا علماء سوس وأدباءها، إلا أنها لم تغدو على أحوية هذه القصائد والمقطوعات،  
 وكتمال على ذلك لسوق هذه النماذج:

- قال سيدى عبد الله الإلغى يخاطب العلامة سيدى محمد بن عبد العزىز (١)

يا قادما فضله في العلم والعمل \* قد كان أسير من طيف ومن مثل  
وسيدا عمت الدنيا صنائعه \* أنت فقيرك أضحي غاية الأمل  
أحييت بالوصل حيًا قد نزلت به \* تزول قطر يقطر سيم بالخل  
يا نحل عبد العزيز يا إمام هدى \* لم يرض مد شب أن يرعى مع العمل  
لazلت يا حير طب ماهر فطن \* تشفى برأيك ما بالدين من علل  
أصفينك الود في الرحمن حين صفت \* منث الحوااظر من غش ومن دحل  
عليك مني سلام الله ما طلعت \* شمس وما غربت عن عارب الطف

- وقال محمد بن الطاهر الإفراطى يخاطب الشيخ محمد الإمام<sup>(2)</sup>:  
سلام يزدري هـ الكمام \* على مثواه محمد الـ

(١) - مجموع الأستاذ الختم ماء العينين من به و به حامه و به جار

<sup>288-287/4</sup> "الحسين" - (2)

على فرد حوى كل المعالي \* وساد فماله أبدا مسام  
سليل الشیع ما العینین قطب الـ \* مکارم والعلائیس الظلام  
وبعد فیان ودک فی فوادي \* رسائله به أنسی مقام  
آدم الله فضلک فی اعتزار \* وصیثک بزدری مست الخاتم  
- وقال الحفظ بن الحضرامي يخاطب المختار السوسي<sup>(۱)</sup>:

أمن سلك النصیحة فی الدروس \* ویازین الدفاتر والطروس  
ومن حاز الفضائل من صباحه \* بنشر العلم فی فاس وسوس  
وی مرکش الحمراء تبدي \* عنوما جملة وسط الدروس  
فأنت الحافظ الأستاذ من لا \* يسامي فی الفهوم لدی الخلوس  
جليس العالم المختار أبشر \* فی الله درک من جليس  
هو العقد النفیس من الثنای \* فشیدا على العقد النفیس  
فدم للعلم والعلم حیعا \* لخلید المفاخر من طرس

- وقال الشیع محمد الإمام يخاطب الطاهر الإفرانی<sup>(۲)</sup>:  
يا طاهر العرض يا کتر الوداد ألم \* يأن الوصال بالقلب الغرام ألم؟  
فالقلب بعدکم ما اتفک ذا وصب \* رهین شوق لتقیاکم وحلف ألم  
- وقال ماء العینین بن العتیق يخاطب محمد بن الطاهر الإفرانی، ومحمد بن علي  
الإلغی، وقد ورد هو والشیع محمد الإمام إلی المدرسة التانکرية باغران<sup>(۳)</sup>:

ألا يا حبذا سفر حدانی \* إلی من يدعیان مهدان  
رضیعی ثدی آداب وعلم \* بتقصیار العلا متقى دان  
نجیی طاهر العرض الجھی \* فمن ذا فی الرھان له يدان  
أبغنا عنده فقری وثنی \* وکانا للنزیریل یمساعدان  
فباتا فی نوادر کل فن \* شھی ییننا یتواردان  
فیان تشدھما استمعا ومهما \* أصخت یعذیان وینشدان

(۱) - "المسؤول": 300/4.

(۲) - "المسؤول": 286/4. وانظر كذلك مجموع المرحوم ماء العینین علی مریبہ رہ، الورقة: 97، خطوط.

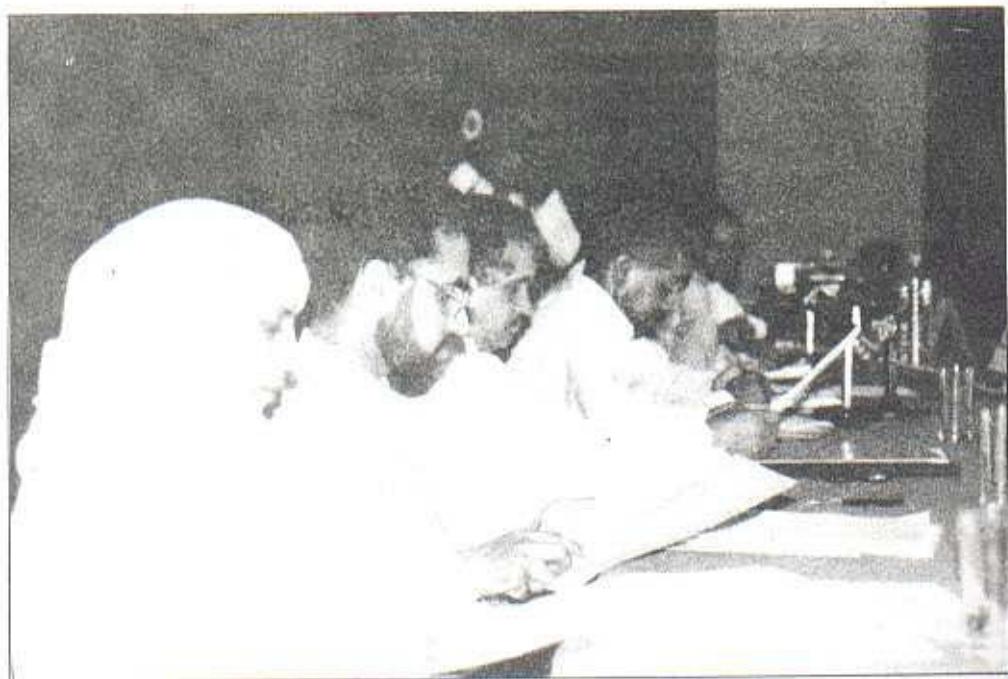
(۳) - نفسه: 287/4. وانظر كذلك: "تلیۃ الطرسوس"، خطوط، الورقة: 340، ومجموع ماء العینین علی مریبہ رہ، خطوط، الورقة: 115.

سماء الحمد مد يقارنان \* تقارن في السماء الفرقان  
ولا عجب إذا الولدان يوما \* أشادا ما بناء الولدان

ونخلص إلى أن هذه المساحات الشعرية قد أدت دوراً كبيراً وفعالاً في ازدهار الأدب العربي عامه، والشعر خاصه، بمنطقة سوس والصحراء؛ لأنها ذاعت وانتشرت لرقتها وجمالها وروعتها، وطبقت شهرتها الأدبية آفاق المغرب، وساهمت بقسط كبير من النشاط الأدبي، ليس في سوس والصحراء وحدهما، بل فيسائر مناطق المغرب. كما ساهمت في إبراز مظاهر مهم من مظاهر التواصل الأدبي التميز بين سوس والصحراء الذي يعبر عن متانة الترابط الفكري والعلمي، والتفاعل الثقافي الرصين بينهما الذي لم تزده الأيام إلا قوة وصلابة، والذي يعبر عن وحدة المغاربة، ليس في منطقة سوس والصحراء فحسب، بل في مختلف ربوع الوطن المغربي الموحد.



حلسة الشهادات والقصائد الشعرية



# شہادات

## السيد على كما عرفته

ماء العينين محمد بن الشيخ الجبيه (\*)

\*\*\*\*\*

لسم الله الرحمن الرحيم. والصلوة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المتقين.

يسعدني أن أتناول الكلمة في هذا اليوم الدراسي الثقافي، الذي ينظم لتكريم السيد ماء العينين علي بن شيخنا الشيخ مربيه ربه، لقاء شهادة في حقه رضي الله عنه وأرضاه.

لقد عرفت السيد علي منذ زمن بعيد، ومنذ عرفة لم أنس ولم أسمع ولم أنظر فيه إلا ذلك الشاب المثالي، المستقيم، الوطني، المخلص لدينه ولوطنه ولملكه، هذا الشاب كما سمعنا من الكلمات السابقة، حري الله أصحابها خيراً، بعد قدوة ومتالاً يحتذى، رغم أن ما قالوه في حقه ليس في الحقيقة إلا النذر القليل، لأنني أنا شاهدته وشاهدني، وعايشته وعايشني -والحمد لله- مدة طوينة.

قبل أن يكون موظفاً في وزارة العدل، كان رضي الله عنه وأرضاه عصامي النفس، متشبهاً بجميع الأخلاق الفاضلة قولاً وفعلاً، ومن أحسن شباب عقبه وعصره. كان مقاوماً ومدافعاً عن الوطن بكل ما يمكن من عمل باليد، ودعوى بالسان، لا يأب جهداً في هذا.

توظف في وزارة العدل هذه المدة الطويلة من سنة 1961 إلى سنة 1997، ولم نشهد أحداً يقول عنه: قال لي فلان، أو أخذ مني فلان كذلك، بل كان مستقيماً ومحنقاً في عمله رضي الله عنه وأرضاه. فلا أحد يستطيع أن يقول إنه سمع كلمة سوء من السيد علي، بل إنه كان يشوش في وجه زائريه، سعياً بكل ما تسمع به الظروف، متغرياً في الإخلاص في العمل، لا يأب جهداً فيما كلف به.

ونحن هنا نشكر بهذه المناسبة كل من ساهم في إنجاح هذه التظاهرة، وعلى رأسها السلطات المحلية، ثم بلدية تزنيت وعلى رأسها رئيسها، ومؤسسة الشيخ مربيه

(\*) - عضو المجلس العلمي لأقاليم تزنيت حموليم طاطا.

ربه لاحياء التراث والتبادل الثقافي، وكل من ساهم من بعيد أو قريب في تحرير وتنظيم هذا الملتقى الفكري اهلاً.

ونحمد الله تبارك وتعالى على أنه إذا مات علي، فإنه خلف لنا من يحل مكانه، فالمثل يقول: «ما مات من خلف»، والله تبارك وتعالى يستحب أن يتزع البركة من موضع قد جعلها فيه، فنحن نضع البركة، وتأمل الخير على الأستاذ النعمة بن علي بن شيخنا الشيخ مربيه ربه، ولا غرو أن يخلو الولد حذو أبيه، قالبند الطيب يخرج بيته بإذن ربها طيباً.

نرجو الله تبارك وتعالى أن يوفقنا جميعاً لما فيه الخير والسداد، وبعيد هذه الذكرى، ذكرى عبد الشباب الحميد، على مولانا أمير المؤمنين حلالة المثلث الحسن الثاني نصره الله، وأن يقر عينه بولي عهده الأمير الحليل سيدى محمد، وصنته مولاى رشيد، وسائر الأمراء والأميرات، إنه على ما يشاء قدير، وبالإحابة حديـر، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

## في ذكر الاستاذ ماء العينين عليه

مربيه ماء العينين بن سيدى محمد (\*)

\*\*\*\*\*

لسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على النبي الكريم.  
أيها الحضور الكريم.

إننا نجتمع هنا اليوم قاطبة، في هذه القاعة المباركة، التي تحمل اسم الشیخ ماء العینین، أحد رموز العلم والتتصوف والتصال. في هذه الربوع الغالية من وطننا الحبيب، لنسحضر ذکری أحد أحفاده الأجلاء، الذين بضموا تاریخ الأسرة المعینية بصمات واضحة لا ينکرها إلا حاقد، وساهموا في إثراء رصيدها الفكري والأدبي بشكل جلي، ذلكم هو فریسی، وأخی فی الله، الأستاذ المخاہد ماء العینین عنی، الذي جمعتني به صدقة متينة، وأخوة حمیمة، ملدة تیف عنی ثلاثة عقود.

وكان لاهتماماتنا الأدبية المشتركة أثر كبير في توطيد هذه العلاقة، وسجح حمتهما بوشایج لا تفصم، ولا انکر هول الفراعنة الذي خلفه رحیمه في نفسي: فقد كانت رسائله الغنية، منهلاً لي أطیع من خلاله على ما حدا من بحوث، وإنتحارات أدبية، وأشعار ظهرت أخیراً لأعلام المدرسة المعینية، كما أن زیاراته المتعددة لوحان بين الفينة والأخرى، كانت النسمة الذي ينطف حرارة الجو. نظراً لما عُهد فيه من أrixية، وحسن حنق، فضلاً عن حلاوة حديثه، وحسن معاشرته.

ولا أنسى زیاراته الأخيرة بي في وحان، رفقة أخيه العاز الاستاذ ماء العینین التعمة أشهر اقلیة قبل وفاته رحمة الله، على الرغم من مرضه، لصلة الرحم، وإحياء ذکری الأجداد، متمثلة في محالسهم الأدبية، وحزنه الشديد على ما أصاب سوق الأدب والشعر من كسد، وما لحق هذا الجيل من فتور، به إقباله على السفاسف والقشور.

وما تشبت الختنی به بزيارة أصدقائه ومسامرتهم، إلا رغبة منه في إحياء سنة الأیلاف، خاصة وأنه عایش كردوس رفقة والده حين كانت في أزهى أيامها مدرسة متألقة بين قمم الجبال تهوى إليها الأفقاء. ومنتقى لجهابذة سوس والصحراء، حيث كانت تعبراً مكثفاً عن هذا التواصل الحضاري الذي لم يقطع عبر تاريخنا الحميد بين

(\*) - عالم وفقیه بوجان.

سوس والصحراء من جهة، وبين الصحراء والموطن الأم الذي هو المغرب من جهة أخرى. فكان الأستاذ ماء العينين على كثراها يستحضر، يحب وشوق، تلك الحقبة الراهبة، شاكرا ربها أن جعله أحد شاهديها.

ولعل ما يوضح أهمية هذه المرحلة في حياته، مما هدانا إليه، وكان قد أنسدهما في معرض حديثه عن كرسوس أثناء لقائي الأخير به في وجاد:

مني سلام إلى الغرر الأوداء \* أربابُ كرسوس أموات وأحياء  
من مات في حنة لا زال منزله \* والحسى لا زال في عز ونعماء  
ولبيتان عبارة عن تجية مقعمة بالحرب إلى رفاق، كان الحضى به شديد الاعتزاز  
بهم، لا بدأ الحلس إلا بذكرهم، والتغى بأشعارهم، وقد كانت ذاكرة الأستاذ ماء  
العينين على تحفظ الكثير من أدب الرواية المغربية، لذلك كتبت حريراً على الاستفادة  
منها كلما أتيحت لي الفرصة، كما استفاد منها أغلب الباحثين في أدب الصحراء.  
وسمحوا لي بعد هذا الحديث عن بعض ذكرياتي مع الفقيد، أن أحاول رسم  
صورة مختصرة عن حياة هذا الرجل الفذ، الذي ظل طوال حياته، يعمال عمل المحنين  
في صمت، بعيداً عن الأضواء، محسباً عمدة الله عز وجل؛ لأنه كان يرى في ذلك وأيضاً  
منه خواطة وأساطيره.

ولد الأستاذ ماء العينين عي في 11 شتنبر 1934 بقرية كرسوس التي تقع شرق إقليم تزنيت، أيام كانت مريراً عميماً، وجهادياً تزدحم بأفواج المهاجرين والعلماء، يتزعمهم والد الحضى به، العالم العلامة الشيخ مريه ربه بن شيخنا الشيخ ماء العينين الذي كان يولي لأبنائه عناية كبيرة، رغم مهامه العديدة، وانشغاله اليومي بالحروب والمعارك ضد المستعمر.

وكان أن اجتمع لهذا الجيل في كرسوس خبطة من الأساتذة والعلماء قلما تجتمع في جامعة ما، فيكتفي أن نذكر العلامة سيدى علي بن عبد الله الإلغى، والشاعر سيدى الطاهر الإفرانى، وابنه الشیخ سیدی محمد، والفقیہ سیدی الحاج محمد الحبيب بن الحاج إبراهيم البوشاري الملکی، والشیخ سیدی محمد بن عبد العزیز، والعلامة الشیخ محمد الإمام، والأستاذ العلامة ماء العینین بن العتیق، وغيرهم كثیر، لدرك کم كان حظ الحضى به وفیراً، وهو ينهل مع زملائه من هذه النخبة العظيمة.  
لذلك لا يبالغ إذا قلنا بأن الحضى به كان مخصوصاً ونتيجة لهذا التفاعل الذي حدث في كرسوس بين الصحراء وسوس، حين وحدت همم الوطن الواحد، والدفاع عن  
كلمة الله، هذه الكلمة العاملة في تلاحم رائع.

هذه ثلاثة المباركة كانت تناوب على إلقاء الدرس والمحاضرات، وعقد المساجلات الشعرية بين فطاحل الشعراء، على مسمع من الطلبة الذين كانوا يتبعونها بالتدوين والحفظ، وكان الأستاذ ماء العينين على، رغم صغر سنه، ملازمًا -بشهادة حل زملائه- هذه الدروس، حافظاً نهما لأشعار أساتذته وأله، كما كان كثير الملازمة لوالده الشيخ مربيه ربه الذي ما فتى يرعاه، ويوجهه لما لمس فيه من رغبة أكيدة في طلب العلم، وظل على دأبه ذلك إلى أن أحازه والدي القاضي الشيخ سيدى محمد بن عبد العزيز في علوم اللغة والأدب، وبعض الأوراد، وذلك بتاريخ 1373هـ الموافق 1953م.

ولم يكن طلب العلم اهتمام الوحيد الذي شغل الأستاذ ماء العينين على، ولكن همَا آخر كان ينارع اهتمامه، وهو هم المستعمر الذي كان المغرب يرزح تحت وطأته، متاثراً بالجيو والبيعة التي نشأ فيها، فالوسط الذي نشأ فيه الأستاذ ماء العينين على كان متكوناً من عنماء وأدباء آتوا على أنفسهم جعل الجهاد في سبيل طرد المع狄ين هدفهم الأساسي، فكان القلم رفيق السلاح.

لذلك نشأ الخلف على نفس المنوال، فكان الحتفى به رفيقاً دائمًا لوالده في كل تقلاته الجهادية، ثم انضم بعد ذلك إلى صفوف المقاومة الوطنية، متكمداً في ذلك كل الصعب، سيراً على نهج والده المجاهد، إلى أن برغت شمس الحرية على الوطن الحبيب، ليخرط في سنت الوظيفة العمومية بوزارة العدل بإقليم طاطان، ولি�واصل جهاداً آخر تمثل في جمع إنتاج والده الزاخر، من شعر ورسائل، وتأليف عديدة، منها عليه، تحقيقاً وتقديحاً، وقد كتبت شاهداً على عمله ذلك أثناء زيارتي له بطنطان سنة 1981، فوجدته منشغلًا في هذا العمل الجليل، الذي جعله فيما بعد مرجحاً أساسياً لا غنى عنه لكل باحث، سواء في حياة والده أو في أدب الزاوية المعينة، يشهد بذلك كل الباحثين الذين تصلوا به، فوجدوا قلبه مفتوحاً قبل باب بيته.

وتعود خزانته العلمية العامرة ملحةً لكل دارس، لا حاجب ولا حائل دونها، والمتصفح للدراسات التي أخرجت حول أدب الصحراء المغربية يجد اسمه حاضراً بقوة في أغلب صفحاتها كمصدر من مصادر البحث الأساسية، وظل على عمله ذلك حتى وفاته رحمه الله، ويشهد ابنه الأستاذ ماء العينين النعمنة مدى أهمية عمل والده، فقد وجد التربية مهيئة، والمادة الخام جاهزة، ليواصل بدوره عمله الأكاديمي، في إخراج كنوز جده الأدبية.

ولم يقف عمل الأستاذ ماء العينين على عند هذا الحد، بل سعى في سنواته الأخيرة، رغم الجهد والمرض، إلى تحقيق أمنية طالما حدثني عنها، وتمثل في إقامة ملتقى

ثقافي مواز لموسم الشيخ مربية ربه، ليكون مرآة عاكسة لأشعة تراث الأسرة المعيبة، يتدالو له بالبحث والتحليل الباحثون الذين تزايد عددهم في السنوات الأخيرة، وكان أن حقق الله مراده، فرأى المتقى الثقافي الأول يتم بتأطير الأحفاد، توبيخاً لجهود الآباء، وكانت سعادته الكبرى حين برزت أعمال المتقى مطبوعة عام 1996 تحت عنوان: "حواب وحدوية من ثقافة الصحراء المغربية"، على نفقة صته الأستاذ ماء العينين هيبة أحمد، أطال الله حياته.

إلا أن القدر لم يمهله ليرى أميته تتحقق، حتى صارت تقليداً، سواء في المتقى الثقافي الثاني، أو في اليومين الدراسيين اللذين نظمها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، فقد خطفته يد الموت يوم الأحد 6 يوليوز عام 1997م على الساعة الواحدة زوالاً بأكادير، وأتي إلا أن يرقد جثمانه الطاهر على مقربة من جده القطب شيخنا الشيخ ماء العينين.

تغمد الله الفقيد برحمته الواسعة، وأسكنه فسيح جناته، مع من أنعم عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، وجعل البركة في حلقه وابنه الأستاذ ماء العينين النعمة، الذي سار على نهج والده في التحصيل والبحث والدراسة، مزوداً بعلوم عصره، رغم أن مهمته تضاعفت، فقد صار من الواجب عليه الاهتمام بآثار والده، إلى جانب اهتمامه بتراث جده الأدبي والفكري، الذي يدخل في صميم عمله العلمي، وهو يعون الله قادر على ذلك، وكأني بالأخ الأستاذ ماء العينين على لم يمت حين أثجب إبنا في منزلة الأستاذ النعمة، مصداقاً للحديث الشريف الذي رواه مسلم، قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة حارية، أو علم يتفع به، أو ولد صالح يدعو له». وقد أحسن من قال:

وما مات امرؤ ترك المزايا \* وخلف بعده ولداً نبيلاً  
وأرجو أن أكون قد أحاطت ببعض من فيض، في حق هذا الأستاذ الجليل، الذي  
تظل معاشرته السبيل الوحيد لإدراك مكانته، وعلو كعبه بين معاصريه، وفي الختام لا  
يسعني إلا أنأشكر النجنة المنظمة على هذه الافتتاحية الكريمة لتكريم شخصه، وكان  
الأحد أن يكرم في حياته، ليدرك قيمة عمله وأثره بين الناس، لكن مع ذلك فالمبادرة  
تستحق التتويه والتشجيع.

شكراً للحضور الكريم على حسن الإصغاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،  
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمين، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.



القعيد مع رئيس مؤسسة الشيخ مرعيه ربه  
لأحياء التراث والتبادل الثقافي



القعيد مع خبرة من المشاركين في موسم الولي الصالح الشيخ مرعيه ربه بتاوفودارت

## الوفاء

سيدي عثمان الشريف حسن<sup>(\*)</sup>

للكون قدرته الكامنة على السير عبر نظام محدد لا يحيد عنه، وكلما خلق الإنسان  
أن خللاً في جانب ما من الحياة، اكتشف الخطأ الموجود في الأداة التي كان هو  
(الإنسان) يتعامل بها مع ذلك الجانب.

تسير الأمور إذاً حسب مخطط وضعه الله لها بقدر وقدر مقدار، فلا مجال للصدفة  
إلا في عُرْفنا، فنحن كلما عجزنا عن تفسير أمر، أو فوجئنا بوجود شيء، عززناه  
للصدفة، فتصورنا منا عن المعرفة، وتكتسلاً عن البحث.  
ترتبط الأشياء فيما بينها لتشكل نسيجاً معيناً أو وحدة من، يجعل كل شيء  
مكملاً للأخر، يعترف له ب الحاجة إليه وبنقصانه إذا عدمه.

الإنسان جزء من المجتمع، منه يبتعد، به يعتز، عنه يتعمّ، إلى إفادته يتطلع.  
وما لم تكن للإنسان فائدة على مجتمعه فهو ميت الأحياء، ومكانة الإنسان  
تحقيق بعطائه للمجتمع.

وال المجتمع الذي لا يعرف لأبنائه حقهم، ولا يحافظ لهم على مكانتهم، ولا  
يُحذّهم في ذاكرته قدوة، ولا يشيد بهم عطاء ورمزاً للسمو، مجتمع محكوم عليه  
بالاضمحلال، أو في أبسط الأحوال بالذوبان وفقدان الشخصية.

من هنا يكون الاحتفاء برموز المجتمع حقاً على عاتق أبنائه، إن هم تخروا عنه  
دفعوا مجتمعهم إلى الانتحار والاندثار، وإن أقاموا لمعاذج المجتمع أمكاً لإنقاذ بهم في  
أفكار الأجيال، ليأخذوا عنهم القدوة، ويلتورواعطاءهم، ويتمموا عملهم، ويُشَقُّوا  
طريقاً موصولة بطرقهم، ومعهداً سبلاً لافق جديدة، كان المجتمع أصيلاً متجدداً ذا طابع  
يميزه عن غيره، خلقة شخصيته المتميزة، وتنوير عطائه التّرّ، ولن يكون له ذلك إلا  
بالشموخ، رفعاً لكل إيجابياته، متعللاً من سلبياته.

فواجهنا كلما ستحت لنا فرصة لذكر أحد أعلام مجتمعنا، أن نبادر إلى التعريف

(\*) - مدير الشؤون الثقافية بال مجلس العلمي للأقاليم الصحراوية - العيون.

به، وفاءً لعهده، وسيرًا العطاء، وإن خلاصاً لعمله.

لاغرابة إن توقفت قليلا عند علي بن الشيخ مربيه ربه رضي الله عنهمما عرفانا  
جميل؛ وتدكر الحليل، ووفاء لعطاء نبيل.

وعى السيد علي رحمه الله الرسالة التي تركها السلف الصالح، من سهر على العلوم، وتحصيل للمعرفة، وجمع للكتب، وتدارس لها، وتربيبة الشأء على طلب العلم والنهج القويم الذي يعلمه القرآن الكريم والستة المطهرة، فانيرى للدراسة وجمع الكتب وتحصينها، ورغم ما لاقاه رضي الله عنه من تعب للحصول على العديد من المخطوطات النادرة، لم يكن ذلك سبباً لمنعها عن مستحقيها، فقد كان قبلة الباحثين في مجالات شتى، خصوصاً كل باحث عن أدب الجنوب، أو تاريخ أبناء الجنوب، أو مدونات وفتاوي وأئمة الجنوب، وعرفت مكتبه -رحمه الله- العديد من طلاب المعرفة، نهموا منها قراءة وكتابة وتصويراً، وما يخل على أحد منهم برأي بيته، أو ملاحظة تعينه، أو تفسير يفيده، ولن أفي المرحوم علي -رضي الله عنه- حقد مهما أطلت، ولذا أكفي بما أسلفت من حروف شجيبة، وأقول أيماناً يستحقها على "علي" رحمه الله:

عليٌ بالوفاء بما ونلا \* من الحيات أعظمها خصالا  
لقد جمع التراث بكلٍ صبر \* وأبرزه الكتابة والمقالا  
فهي يكُن كاتما للعلم كلاً \* فقد أعطى العلوم لها أنيلا  
أيكتُمْه وقد ورث المرايا \* عن الآباء واحترق الحالا  
تعرفة ولبن واحترام \* رعى نهج المكارم حيث صلا  
فيارئي علىٌ ترحمه \* ووسع قبره يامن تعالي  
وكن لبنيه إنهم فداء \* وابن يسعيان بذ النروا  
وأمّهم فصعنها كي تراهم \* بفضل ينتقمان الحالا  
وأمّة أحمد الهادي فعنها \* وأبعد عن مرابعها الضلا  
وصل علىٌ محمد يا إلهى \* ومن راه الحجّة والكمالا  
وفي الآخر أتقدم بالشكر والتقدير لأسرة الفقيد والمشرفين على هذا التكريم،  
وكل من ساهم فيه من قريب أو بعيد.

## الأستاذ علي: أصمم الجنوب المغوب

محمد فاضل اسد (\*\*)

\*\*\*\*\*

لِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ.  
أَيُّهَا السَّادَةُ الْكَرَامُ:  
لَمْ يَرُكْ لِي الإِخْوَةُ الْأَسَاتِذَةُ الْمُتَدَخِّلُونَ، مَا أَقُولُ فِي حَقِّ الْمَرْحُومِ الْحَنْفِي بِهِ مَاءُ  
الْعَيْنَيْنِ عَلَيْهِ مَرِبِّيهِ رَبِّهِ، فَقَدْ جَاءَتْ شَهَادَتُهُمْ مُوْتَقَّةً وَمُتَهَجَّةً، وَلَكِنِي بِدُورِي سَأَقُولُ  
شَهَادَةً فِي حَقِّ الْحَنْفِي بِهِ، أَجْهَلُهَا فِي أَرْبَعِ نَقَاطٍ:

### 1) العلاقة الشخصية:

بِحُكْمِ الْقِرَابَةِ، فَقَدْ عَرَفْتُ السَّيِّدَ مَاءَ الْعَيْنَيْنِ عَلَيْهِ بَنَ الشَّيْخِ مَرِبِّيهِ رَبِّهِ، مِنْذُ  
طَفُولِي، بِشَوْشَا، يَهْشُ فِي وَجْهِهِ مَدْحُثَهُ أَوْلَى مَا يَلْقَاهُ. وَأَشَهَدُ لَهُ بِحُسْنِ الْحُكْمِ، كَمَا  
يَشَهِدُ لَهُ بِغَيْرِي. كَانَ طَيْبُ الْمَاعِشَةِ، لَا يُمْلِئُ حَدِيثَهُ، وَلَا يَسْأَمُ حَبِيسَهُ، كَنْتُ أَنْزَلُهُ  
مِنْزَلَةَ الْوَالِدِ وَالْعَمِّ، لَكِنَّهُ كَانَ يَعْتَرِفُنِي صَدِيقًا وَأَخَا صَغِيرًا، تَوَاضَعًا مِنْهُ، وَإِكْبَارًا لَنَا، لَخَنْ  
جِيلَ الْاسْتَدِلالِ. وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ كَبِيرًا فِي غَيْرِ تَكْرِيرٍ، مَتَوَاضِعًا فِي غَيْرِ تَدْلِيلٍ.

### 2) الاهتمام بالتراث:

إِنَّ هَذِهِ النِّدوَةَ جَاءَتْ فِي وَقْتٍ وَمَكَانٍ مُنَاسِيْنِ، وَتَكْرِيْبًا مُنَاسِبًا لِرَجُلٍ لَهُ اهْتِمَامٌ  
كَبِيرٌ بِالْتَّرَاثِ، فَقَدْ كَانَ مَوْلَعًا بِهِ. وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْفَضْلُ فِي تَعْصِيلِ قَسْطٍ لَا يَسْتَهِنُ بِهِ مِنْ  
تَرَاثِ الْعَرَبِيِّ فِي الْجَنُوبِ الْمَغْرِبِيِّ، يَشَهِدُ عَلَى ذَلِكَ حَرَازَتِهِ الَّتِي تَوَفَّرُ عَلَى عَدْدِ هَامِ مِنْ  
ذَحَافِرِ الْأَدَبِ، شِعْرًا وَنَثْرًا، مُخْطَوْطًا وَمُطْبَوْعًا. وَكَانَ هُوَ نَفْسَهُ مَصْدِرًا مَهْمَمًا، وَمَرْجِعًا  
نَاطِقًا فِي الشِّعْرِ وَالنَّثْرِ وَالتَّارِيْخِ وَالْفَقْهِ وَالتَّصْوِيفِ، فَمَا ذَكَرْتُ لَهُ قَصْبَيْهِ إِلَّا وَحَدَّثَ عَنْهَا  
بِقَدْيلٍ أَوْ كَثِيرٍ. وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَمْحَصُ الرِّوَايَاتِ فِي خَصْصِعَهَا لِتَنَوَّرِ وَمَنْطِقِ الْعِقْلِ، فَيَرْجِعُ  
رِوَايَةً دُونَ أَنْ يَدْحُضَ أَخْرِيًّا إِلَّا بِحُجَّةٍ عَلَمِيَّةٍ بَيْنَهُ. وَكَانَ يَحْرُّ فِي نَفْسِهِ -رَحْمَهُ اللَّهُ- مَا  
طَبَعَ الْمَرْحَلةُ مِنْ تَقْرِيبَتِهِ فِي التَّرَاثِ وَضَيَاعِهِ، بِسَبِّ الْقَلَاقِلِ وَالْاِخْتِرَابِ. وَلَكِنَّ اِنْصَارَافَ  
الْجِيلِ الْحَاضِرِ عَنْهُ وَتَهْمِيشَهُ لَهُ كَانَ يَحْرُّ فِي نَفْسِهِ أَكْثَرَ، لِذَلِكَ كَانَ يَحْتَثُ عَلَى الْعُودَةِ إِلَيْهِ  
وَاسْتِجْلَانِهِ وَانْصَارَافِهِ. وَكَانَ يَتَحَدَّثُ عَنْهُ فِي اِعْتِزَازٍ وَإِكْبَارٍ وَاحْتِرامٍ.

(\*\*) - أَسْتَاذٌ بَاحِثٌ - أَخْطَابِرِيٌّ

### 3) مساهماته العلمية:

إن الأصمعي والمفضل الضبي وأبا زيد القرشي وغيرهم، دخلوا التاريخ بجمعهم لعيون الشعر العربي في العصر الجاهلي والإسلامي. وإن علياً أصمعي في الجنوب المغربي ومحضله؛ لأننا مدینون له بجمع وتحصيل الكثير من التراث العربي في الجنوب المغربي، فما من شاعر عرفته المنطقة أو أخر القرن الماضي إلا وجمع له ما تيسر. ولم تتوقف مهمته مجرد الجمع، بل أذاع ما جمع وأشاعه، واستفاد منه الطلبة والباحثون، من بحوث الإجازة، إلى رسائل السلك الثالث، إلى أطروحتات دكتوراة الدولة، بله المشاركون في الندوات والبحوث والدراسات.

وكانت مساهماته إيجابية متميزة؛ إذ لا يكتفي بتوفير الوثيقة، بل يوضع عاصفتها، وينحدد إطارها الخارجي والداخلي، ويعين على تأويتها بالتعريف بأسبابها (ظروفها)، ومعرفة الأسباب التي تعين على التأويل. وكثيراً ما يوجه ويصحح ويحذر الباحثين الشباب على المزيد من الغوص والتنقيب، ويعتبر الحيل السابق قد أدى ما عليه رغم إمكاناته الخبودة، فعلى الحيل الحاضر أن يكيف إمكاناته لخدمة البحث.

هذا الرأي التقدمي من المرحوم، يدين "الكتائين" الذين يسعون الوثائق في بطون الصناديق، ويخلون بها على المتهمن، ويبنه على أن الوسائل العلمية المتاحة في هذا العصر، بلغت شأوا عظيماً يمكن من نقض غبار الكتمان، وجلب حلقة النسيان عنتراثنا المغربي في الجنوب، بدءاً بالتصوير والاستساغ، وانتهاء بالإعلاميات...

### 4) حضور البديهة:

إن المختفى به كان يتميز بحضور بديهية تخص التراث العربي في الجنوب المغربي، فقد كان يصنفه حسب الزمان والمكان والطبقات، بسهولة بالغة، ولا يكاد يتدارس الحديث في قضية أدبية أو فكرية أو فقهية حتى يتسادر في تخيلها وعرضها، واستعراض مختلف وجهات النظر فيها. وكثيراً ما اعدت إلى القضايا الأدبية المطروحة للنقاش، فوُجِدت رأيه فيها يحيطها بجميع الآراء وملخصها.

هذا قليل من كثير في حق المرحوم، وقد تعمدت أن يكون في حدود الشهادة، ولو أردت أن أفصل القول، لأطلت عليكم، ولكن شهادات الإخوة الأساتذة السابقة قدمت ما فيه الكفاية.

إن هذه التلوعة تسر المختفى به في حياته، ولاشك أنه مسؤول عنها في حياته الأخرى، فالعظماء لا يودعون بالدموع، بل بالأعمال العظيمة، وأستسمحكم إن أطلت عليكم.  
والسلام عليكم ورحمة الله.

## الأستاذ علي، الوطني الغيور

محمد الأغطف ماء العينين أبو بكر (\*\*)

\*\*\*\*\*

لِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بيوتاً فَسُلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحْيَةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مِبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾<sup>(1)</sup>.

الحضور الكريم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إن مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، بتعاون مع المجلس البلدي لمدينة تزنيت السلطانية، بتنظيمها لهذا اليوم الدراسي في موضوع: «سوس والصحراء المغربية: تواصل ثقافي وفكري»، ألححت الصدر، وبعثت ارتياحاً منقطع النظير في النفوس الآية. وهي ظاهرة كبرى، جاءت في وقتها الحاجة ماسةً إليها؛ فثقافة أهل الصحراء المغربية وسوس العالمة، خلقتا على الدوام في سفر واحد خلال وطبع ما جادة تلامحت.

فقد وقفوا كباقي جهات المملكة سداً منيعاً في وجه المستعمر الغاشم، وكانوا يخرون وراء الكلمة السامية الاهادفة للتحرر من رقبة الاستعمار، ومحابيته والمحافظة على البيعة للعرش العلوي الحميد، المطروقة للأعناق والتشبث بالوحدة الوطنية. فجررت هذه الخلال في العروق، ونسخت إبداعاً جاش في النفوس، وترك الميسّم في الأقدمة. ولاح جلياً في الأفق كما قيل:

إن الكلام لفي الفواد وإنما \* جعل النسان على الفواد دليلاً  
فالتواصل السوسي الصحراوي المغربي، جسم على الدوام وعرف تجاوباً كبيراً،  
انطلاقاً من حركة الشيخ ماء العينين الجهادية وأبنائه من بعده، والتي لازالت حاضرة في  
الذاكرة التاريخية. وقلعة كردوس الشاهقة خير دليل على ذلك. ولعلني لا أكون مبالغياً إذا  
قلت: إن الحركة الجهادية للشيخ ماء العينين التي مزاحت التصرف الطرقي بالمقاومة

(\*) - محام - العيون.  
(1) - سورة التور، الآية: 61.

والجهاد، ساهمت في ربط جسور التواصل بين سوس العالمة والصحراء المغربية. ووسط هذا الرحيم العرم من الأحداث، عاش زين العابدين علي بن الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، في كف ولده العالم العلامه والمجاهد الشيخ مربيه ربه، ينهل من حياض العلم والمعرفة. الشيخ مربيه ربه الذي قام بدور كبير في مقاومة المستعمر الفرنسي في سوس لمدة تزيد عن اثنين وعشرين عاما، وساهم في ازدهار النهضة الثقافية والأدبية والعلمية في هذه المنطقة، من خلال اتصالاته الدائمة بعلمائها، ومساهماته لأدبائها وشعرائها، مما جعله ظاهرة تاريخية فريدة لا تنسى مع مرور السنوات والأيام. وأستحضر هنا قول الشاعر:

لعمري رأيت المرء بعد زواله \* حديثا بما قد كان يأتي ويصنع  
فحيث الفتى لابد يذكر بعده \* فذكره بالحسنى أحبل وأرفع  
وقول دريد:

وإنما المرء حديث بعده \* فكن حديثا حسنا لمن وعى  
إن المرحوم ماء العينين عني، واجه المستعمر الغاشم كباقي إخوته ببسالة منقطعة النظير، الذي حاول تفريح العقول من القيم النبيلة. وكانت المواجهة بالإيمان؛ إذ القدرات المادية ندرتها مشهودة، لكن الطاقات البشرية المتاجحة موجودة. يفضل الإيمان المذكى في الفوس، وبفضل هذا النوع من الرجالات المؤمنة الوعائية، التي تأبى أن تتبع دينها بدنيتها، والمتمسكة بمبادئها السامية، والتي عصت عليها بالتوحد، فحالها النجاح. هؤلاء الرجال الذين تحدوا كل ما من شأنه أن يعرقل مسيرتهم النضالية، غير عابين بالأباطيل الزائفه، وتزوير الحقائق، فتقاكم المستعمر أنه لن ينجح ولن يفلح أبدا هؤلاء المجاهدين، أمثال الأستاذ المرحوم ماء العينين على الوطني الغبور، الذي أفنى وطنه بجمع منافع نفسه، وخدمه بكل ما يملك. وكيف لا! وهو ابن القبيلة والشرف والحسب. وتقول مع القائل:

وحق لمن كان ذا فعله \* أن يسترق رقاب البشر  
إن المرحوم الأستاذ ماء العينين علي كان من النجاء، قلمه معلق بين الأنامل  
حنوه القرطاس، يكتب ويدون، ويقرظ ويفكر، إنه يحقق فريد عصره، والمشاركة في كل العلوم. رزحت مكتبه بكل نفيس من الفنون، وثمرات المطابع، واستطاع مجده  
الخاص، أن يتنقل في البوادي والمحاضر، باحثا ومنقبا ومفتشا ودارسا، فوجده ضالته.  
ساعد الطلاب بفتح خزاناته، وأعطائهم من المعين الذي لا ينضب ما لا مثيل له، وأنفق  
من الصير الجميل ما لا يوصف، لإيجاد هذا الرصيد من الفنائين، فحق لنا أن نغترف بما

ترك، ونهدي بدلاته. وما أحسن قول الشاعر في صياغة فكرة أن الفضل للمتقدم:  
هذا جرأوك منا لا ثمن به \* فضلا بفضل وكان الفضل للبادي  
ولا يبلغ إذا قلنا إنك فزت بوعنك الفاعل في مجتمعك بنجاح، وسعيت إلى  
تحقيق هذه الشنشنة المحمودة، فتحققت الفضائل في جميع المناحي الحياتية، وكانت شاهد  
هذا العصر وأحد شخصياته الكبار، فحررت احترام الجميع عن جدرة واستحقاق.  
إن الأستاذ المرحوم ماء العينين على، كان قدوة ومعروفاً بمثيله لقناعة، وكثيراً ما  
كان يردد أبياتاً لحجة الإسلام الإمام الغزالي، وحق لي أن أرددها هنا:

طوبى لعبد يتسى على ثقة \* إن الذي خلق الأزرق يرزقه  
فالعرض منه مصون لا يدنسه \* والوجه منه جديد ليس يخلق  
إن القناعة من يخلل ساحتها \* لم يبق في ذهره شيئاً يورقه  
هذا هو الأستاذ المرحوم ماء العينين على مربيه ربها.  
وأخلص لأقول: إن الزات وحده لا يمكن أن يتم الطريق والسبيل، بل لابد  
للجيبل الذي يريد المحافظة على هذا التواصل، أن يملأ القدرة على العطاء، حتى يسود  
الفكر المتتطور المتفتح، فنحن في صحرائنا المغربية خحي أبناء سوس العالمة، وكل جهات  
المملكة السعيدة، أرض المكارم، ومنبع الفضل، هؤلاء الذين أقاموا المعاقل الجهادية  
والمدارس العلمية، وبذل كفاف التواصل، وإنما حفظت لئن العهد المتقدم.  
لاشك أن رحيل الأستاذ علي بن الشيخ مربيه ربها، خلف خسارة كبيرة، وصدق  
الذي قال: «ما مات من خلف»؛ فالأستاذ خلف لنا بعده الأستاذ ماء العينين النعماء،  
وسيحافظ -لاشك- على هذه القيم، فهو أصل لها، إن المتون وإن حفظت هذه الزهرة  
اليابعة، فقد خطف هذا الخطف حزناً غريباً، وأسى عميقاً، فالوديعة ردت، وأثارها باقية،  
ونقول مع الشاعر:

وما المال والأهلون إلا وداع \* ولا بد يوم أن ترد الودائع  
ونقول كذلك:

وزهرة الدنيا وإن أينعت \* فإنها تسقى عماء الرزوال  
ولا يدوم البقاء للخلق، لكن دوام البقاء للخلق.  
رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جناته.  
وأطال الله عمر رائد البلاد، ومفخرة الإسلام، حلالة الملك الحسن الثاني، نصره  
الله وأعزه، وأقر عينه بصاحب السمو الملكي الأمير الجليل سيدى محمد، وصونه السعيد  
مولاي رشيد، وبباقي الأمراء والأميرات، إنه سميع محب.

## **الأستاذ علي: الأديب العالم المقاوم**

محمد فاضل بن الشيخ حسن بن الشيخ مربه ربه<sup>(\*)</sup>

\*\*\*\*\*

لِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَصَلَوةُ اللَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ .  
لَقَدْ حَالَتْ عَمَلِيَّةُ تَحْدِيدِ الْهُوَيَّةِ، لِقَبِيلَةِ الشَّرْفَاءِ أَهْلِ الشَّيْخِ مَاءِ الْعَيْنَيْنِ دُونَ  
حُضُورِيِّ الْمَلِقِيِّ الْعَلَمِيِّ الْفَرِيدِ، لِسُجْنَةِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ فِي قَلْبِ سُوسِ الْعَالَمِ .  
وَحُضُورِيِّ أَعْيَانِهَا وَشَيوخِهَا وَمَحَاهِدِهَا وَمَتَّهِيَّهَا، ذَلِكَ الْمَلِقِيُّ الَّذِي نَظَمَهُ  
مَشْكُورًا الْمَلِسَ الْبَلَدِيَّ مَدِينَةُ تَزِينَتْ، بِتَعاوُنِهِ مَعَ مَؤْسَسَةِ الشَّيْخِ مَربِّهِ رَبِّهِ لِإِحْيَاءِ الْرَّاثِ  
وَالتَّبَادُلِ التَّقَافِيِّ، تَحْلِيَّدًا لِذَكْرِيِّ وَفَاتِهِ عَمَّا الْمَجَاهِدُ الْأَبْرَارُ، وَالْوَالِدُ الْأَطْهَرُ، الَّذِي عَرَفَنَا مِنْ  
خَلَالِ جَهَادِهِ إِلَى جَانِبِ وَالَّدِهِ، وَالْمَجَاهِدِينَ حَوْلَهُ مِنْ سُوسَ وَالْحُوزَ وَقِبَائِلِ الصَّحَراءِ  
الْمَغْرِبِيَّةِ .

عَمَّا الْمَرْحُومُ عَلَيْهِ، الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ اسْمُهُ الَّذِي سَمِّاهُ بِهِ وَالَّدُهُ، الْمَجَاهِدُ الْكَبِيرُ  
وَالْعَلَمَةُ الْفَذُ الشَّهِيرُ، الشَّيْخُ مُحَمَّدُ مُصْطَفَى مَربِّهِ رَبِّهِ مِنْ شِيَخَنَا الشَّيْخِ مَاءِ الْعَيْنَيْنِ،  
تَيْمُّنًا بِاسْمِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَحْمِيلًا، حِيثُ قَالَ الْمَصْطَفَى صَلَوةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ: «أَنَا  
مَدِينَةُ الْعِلْمِ، وَعَلَيَّ بِاهْبَاهَا». فَكَانَ تَحْيِي وَفَاتَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِتَثَابَةِ الْبَابِ الْمَفْتُوحِ عَلَى  
مَصْرَاعِيهِ، وَالْيَبْوَعِ الْمَتَدَقِّ، عَلَمًا وَعَرْفًا وَجَهَادًا، مِنْ سُوسَ عَيْنَ الْمَصْرَاءِ، إِلَى شَمَالِ  
وَوَسْطِ الْمُمْلَكَةِ وَبَقِيَّةِ نَوَاحِيهَا، وَمِنْ الصَّحَراءِ عَيْنَ سُوسَ .

وَلَقَدْ كَانَ هَذَا النَّقَاءُ كَذَلِكَ، تَحْدِيدًا لِلْأَوَاقِرِ الْمُتَبَيِّنَةِ، وَالْوَحْدَةِ الْخَالِدَةِ بَيْنَ أَطْرَافِ  
الْمُمْلَكَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ، وَأَفْرَادِ رُعَايَا الْعَرْشِ الْعَلَوِيِّ الْمُجِيدِ، مِنَ الشَّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ، وَمِنَ الشَّرْقِ  
إِلَى الْغَربِ .

عَايَشَنَا عَمَّا الْمَرْحُومُ، فَعَرَفَنَا بِنَطَافَتِهِ وَحَسْنِ حَلْقَمَهُ، وَانْكِبَابِهِ عَلَى الْعِلْمِ وَتَحْصِيلِهِ،  
وَجَمِيعِهِ وَتَحْرِيرِهِ وَتَنْقِيَّهِ . وَقَدْ قَامَ بِدُورِ طَلَاطِعِيِّ وَجَهَدَ مُضِيًّا مُتَوَاصِلًا، فِي جَمِيعِ الْكَثِيرِ  
مِنَ الْكِتَابِ وَالْمَحْضُوتَاتِ لِلْكَثِيرِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ، وَبِصَفَةِ خَاصَّةٍ مَوْلَفَاتِ وَكُتبِ  
وَمَخْطُوطَاتِ وَالْدَّنَا وَشِيَخَنَا الْعَلَمَةُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ مُصْطَفَى مَربِّهِ رَبِّهِ، الَّذِي يَسْبِبُ الْمَعَارِكَ

(\*) - أَسْتَاذٌ باحثٌ - العَيْنُونُ، شَيْخٌ تَحْدِيدٌ هُوَيَّةٌ قَبِيلَةُ أَهْلِ الشَّيْخِ مَاءِ الْعَيْنَيْنِ .

التي حاضرها ضد المستعمر هنا وهناك، والقصص الجوي الفرنسي على حاضرة قرية كردوس، في قلب سوس العلة المعايدة، لأول مرة في تاريخ المنطقة، احرقت خزانة التي تضم أعرق الكتب العربية والإسلامية والتاريخية، والمخضرات العلمية النادرة، وخاصة مؤلفاته وخطوطيه التي وصلت نفما وثمانين، وبافي علماء الصحراء وسوس وأدبائهم.

فتصدى لجمع هذا الزات بكل ما في ذلك من جهد وتعب ومعاناة، المرحوم صاحب الذكرى المقاوم والعلم والأديب، عمنا السيد علي بن شيخنا الشيخ مربيه ربه. وهكذا فإن هذه الحمدة الكبيرة، والخصلة الميفقة، تضاف إلى سجل تاريخه الصناعي، لأنه خريج مدرسة آيا الله وأحداده العظام والأدباء المعايد، وفي مقدمتهم العلامة شيخنا الشيخ ماء العينين.

لذلك لا يسعني إلا أن أنه وأشيد بهذا اليوم الدراسي الثقافي، في الوقت الذي لم أستطع الحضور للأسباب التي ذكرتها في أول السطر، وهي كوني شيخ قبيلة أهل الشيخ ماء العينين، وأقوم رفقه زملائي شيوخ القبائل، في تحديد الهوية التي تشرف عليها بعنة الأمم المتحدة (الميونرس). فنحن نقاوم ونخاذه ثيبة لواجب الوطني، وطاعة لأمير المؤمنين حلاله الملك الحسن الثاني نصره الله، حتى يتم إنجاز آخر شوط من ثبيت دعائم وحدتنا التربوية، أرضنا وإنساننا، من ضئحة إلى الطهارة، ويتم القضاء على أعداء وحدتنا التربوية.

ولا يفوتي إلا أنأشكر كل الفعاليات التي ساهمت، من قريب أو بعيد، في إنجاح لقاء تربت المبارك، من سلطات محلية ومنتخبين، وعلماء وأساتذة وباحثين، وأدباء وأعيان، وأصدقاء المرحوم الذين أدوا أمامكم تلك الشهادات الخيرة المسيرة، في تاريخ المرحوم رحمة الله تعالى، وجعل فيما وفيكم استمرار النهج الآباء والأجداد، وامتداداً لعلمهم وورعهم، وأديبهم وحسن سلوكهم ومعاملاتهم.

والسلام عليكم، ورحمة الله وبركاته.

## وفاء ومو凡

محمد ناجي بن عمر<sup>(\*)</sup>

\*\*\*\*\*

الحمد لله وحده، والصلوة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله،  
﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلٌ صَدَقَ مَا عَاهَدَ اللَّهَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قُضِيَ نَحْمَةً، وَمِنْهُمْ  
مَنْ يُنْتَفَرُ، وَمَا يَكُلُوا تَبْدِيلًا﴾<sup>(1)</sup>.

الحمد لله الذي من على عباده بالألفة تطولاً وامتناناً، فأصبحوا بنعمته إخواناً،  
ونزع الحقد والغلو من صدورهم، فطبو في الدنيا أصدقاء، وفي الآخرة رفقاء وخلباناً،  
والصلوة والسلام على مولانا محمد وعلى آله وأصحابه، والذين اتبعوه وتمسّكوا بسنّته،  
وأقْلَوْا به قولًا وفعلاً، وعدلاً وإحساناً<sup>(2)</sup>.

إن علاقتي بالفقيد المُجاهد على ماء العينين مرببه ربي، ابن الشيخ ماء العينين،  
حاتمت ثمرة لعلاقتي مع شيخه أخي وصديقي التعميم منذ تعارفنا على طلب العلم بالديار  
الرباطية، وعندما وصلت إلى الديار السوسية كنت أحلى بغرفة كبيرة لولا أن تلتفتني  
الأسرة المعينة الكريمة من خلال القيد وخيه، الذين رسحوا معنى عرى الصداقة والمحبة  
في الله، وأصبحت وجهها أليفاً في وسطهم الخرم، وكانت من يقتدي بقوله تعالى:  
﴿فَاصْبِرْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْرَانًا﴾<sup>(3)</sup>، وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد والطبراني من  
حديث سهل بن سعد، ورواه الحكم من حديث أبي هريرة وصححه: «إن أقربكم مني  
بمحاسنكم أهلاً لأخلاقكم، الموطّدون أكفاء، الذين ياللّفون ويولفون». وما أخرجه ابن  
حيان والحاكم من حديث أنس بن مالك، قال صلى الله عليه وسلم: «ما اصطحب  
الثنان قط إلا كان أحبيهما إلى الله أرقهما بصاحبها». وقال الراجز:

لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَمْ يَكُنْ أَلَوْفَا \* وَلَمْ يَكُنْ لِغَيْرِهِ مَالَوْفَا  
وتوطدت هذه العلاقة النبيلة حتى إني ثنيت أن أحشر في زمرة أبي إدريس

(\*) - أستاذ جامعي - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الحامد.

(1) - سورة الأحزاب: 23.

(2) - إحياء علوم الدين لغزالي: 2/157.

(3) - آل عمران: 103.

الخلواني حين قال لمعاذ بن جبل: إني أحبك في الله، قال: أبشر، ثم أبشر، فإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يُنصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش، ومتابر من نور تصفي، عليها يوم القيمة، وجوههم كالقمر ليلة البدر، يفرغ الناس ولا يفزعون، يخاف الناس ولا يخافون، هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. فقبل من هؤلاء يا رسول الله؟ قال: هم المتحابون في الله»<sup>(1)</sup>.

وحسبي بأنبي عبد الله محمد القوري، يقول:

يُظل الله تحت العرش قوما \* وهم سبع كما قال المصدق  
إمام شَبَّ في حبٍ وحِمْعَ \* وبِكَاءً ومدعواً وتصدقَ  
وعلمون أن الحبة مستويات أربعة: إما أن يُحب الإنسان أخيه الإنسان لذاته، أو  
لعرض دنيوي، أو لعرض آخروي، أو يكون حبه له وصحبته معه لله. وعلمون - سيداتي  
وسادتي - أن الفقيد توافرت فيه جميع شروط الصحبة، التي انتهت بالحبة في الله، وأهم  
هذه الشروط: العقل، فهو رأس المال، وهو الأصل؛ قال علي رضي الله عنه:

فلا تصحب أخا جهل \* وإياك وإيهاته  
فكِم من حاصل أردِي \* حنيما حرين وفاه  
يقال المرء بالمرء إذا \* مَا المَرء ما شاه  
وللشيء على الشيء \* مقاييس وأشباه  
وللقلب على القلب \* دليل حرين يلقاه  
ثانية: حسن الخلق، كأني بابن علقة العطاري (ت. 56هـ) حين أوصاه أبوه لما  
حضرته الموت قائلاً: يا بني، إن عرضت لك صحبة إنسان، فاصحب من إذا خدمته  
صائبك، وإن صحبته زائفك، وإن قعدت بـث مُؤْنَةً مائنت، اصحب من إذا مددت يدك  
بغير مدتها، وإن رأى فيك حسنة عدها، وإن رأى منك سيئة سلها، من إذا سأله  
أعطاك، وإن سكت ابتداك، وإن نزلت بـث نازلة واساك، من إذا قلت قولًا صدقت،  
وإن حاولت أمرًا أمرك، وإن نازعه أثرك»<sup>(2)</sup>.

ثالثها: الصدق، قال تعالى: «إِنَّمَا يَفْرَتُ الْكَذَّابُونَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ»<sup>(3)</sup>،  
وقال بعضهم:

(1) - أشعاره لأحمد والحاكم والترمذى.

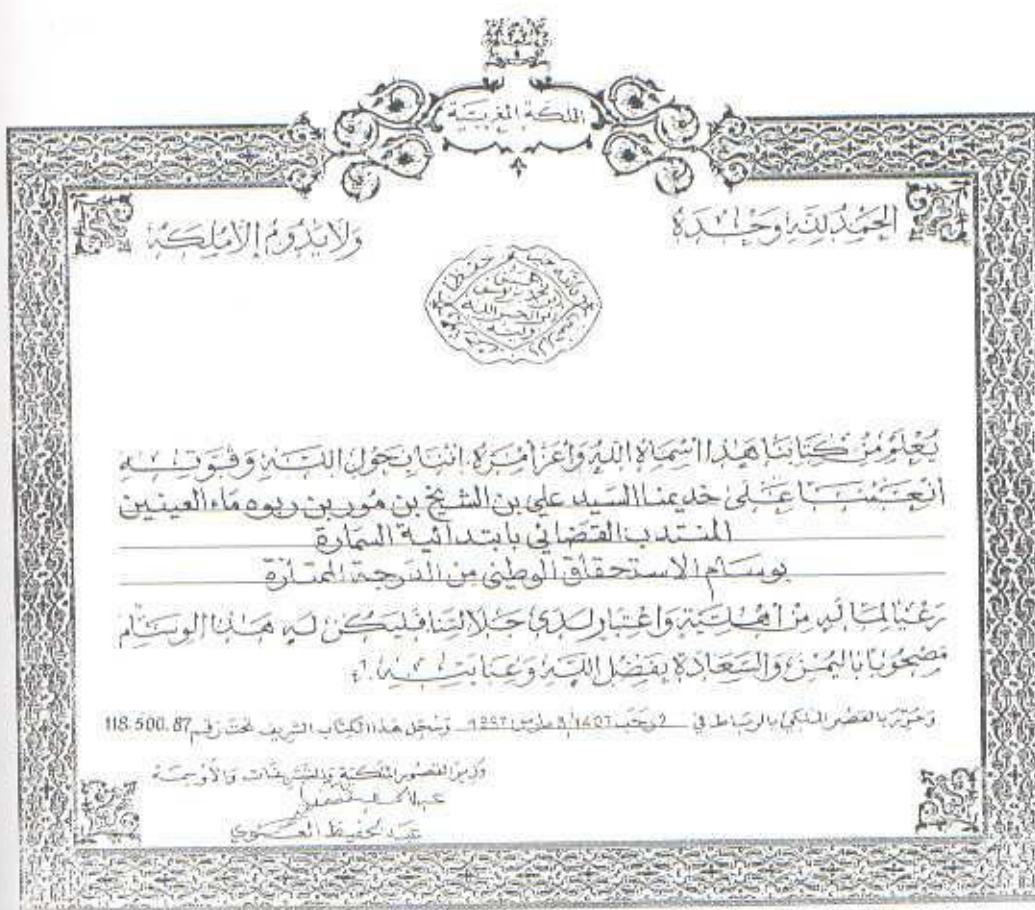
(2) - أداب الصحبة، ص: 49.

(3) - النحل: 105.

وَمَا شَيْءَ إِذَا فَكَرْتُ فِيهِ \* بِأَذْهَبَ لِلْمُسْرُوفَةِ وَالْجُمَالِ  
مِنَ الْكَذِبِ الَّذِي لَا خَيْرٌ فِيهِ \* وَأَبْعَدَ بِالْبَهَاءِ مِنَ الرِّجَالِ  
كَمَا كَانَ -رَحْمَةُ اللَّهِ- مَرْاعِيَا لِحُقُوقِ الصَّحَّةِ، مِنْ مُشَارِكَةِ فِي مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،  
وَالْمُنْزَلَةِ مِنْزَلَةِ النَّفْسِ، وَالإِيَّاضَ عَلَى النَّفْسِ، وَالْعَفْوَ عَنِ الزَّلَاتِ وَالْهَفْوَاتِ.

وَمَنْ لَمْ يُغْمِضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ \* وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُوتُ وَهُوَ عَاتِبٌ  
وَمَنْ يَتَمَّعِي جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ \* يَجِدُهَا وَلَا يَسْلِمُ لَهُ الْدَّهْرُ صَاحِبُ  
وَالْخَلوصِ فِي الْمَوْدَةِ، وَالتَّحْفِيفِ وَتَرْكِ التَّكْلِفِ وَالتَّكْلِيفِ، وَالدُّعَاءِ بِالْخَيْرِ حَضُورًا  
وَغَيْبًا، وَالنَّصِيبَةِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا.

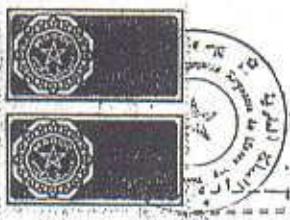
لَا خَيْرٌ فِيمَنْ لَيْسَ يَنْصُوحُ خَلَقَهُ \* حَتَّى يَرَاهُ يَلَامُ التَّسْدِيدًا  
رَحْمَ اللَّهِ الْفَقِيدِ، وَأَسْكَنَهُ فَسِيحَ جَنَّاتِهِ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ،  
وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.



وسام الاستحقاق الوطني من الدرجة الممتازة الذي أنعم به جلاله الملك الحسن الثاني  
 نصره الله على الفقيد ماء العينين علي بن الشیعی مربیه ربه

القيادة العليا لجيش التحرير الصحراوي المغربي

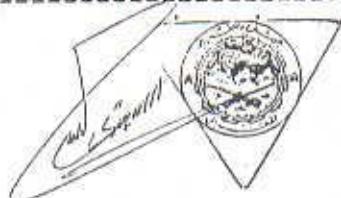
بتاريخ 1959/7/27



تشهد القيادة العليا ان الاستاذ ماء العينين على مرتبه رسمى انه اول معتمد لهىأ في بعض المناطق الصحراوية في الميدان السياسي والسيكريتاري وان له موقف جليل ضد المستعمر في جميع خطواتهم كما انه شرف دائم وثقة تامة في جميع طبقات الشعب الصحراوي وفصائله وقد احرزت القيادة العليا للجيش على معلومات قيمة متقدمة الى القيةالية بفضل سياسة وسياقة الحسازن ولم يرثي يوم في صف الجيش بهذه البلاد الصحراوية من يوم تاسيسه الى اليوم بكل شهادة وحزم فلأخيراً الاستاذ السيد ماء العينين على مرتبه رسمى جنرال الشكل والتحق على خدماته الجليلة الواجبة نحو الوطن.

الامين العام القيادة العليا للجيش

امين العام المسئول عن الجيش



شهادة تقدير من قيادة جيش التحرير الصحراوي المغربي  
للمرحوم ماء العينين على مرتبه رسمى

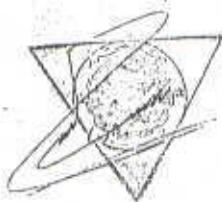
اداة العلیا  
التعزیر الصحراوی المترس

1960/1/15 24

## نیز سادہ

تحتاج إلى قيادة جيدة للتعزيز والحراروى المفترض  
تشتمل على الجماعات على مهارات الاتصال. لفهم ذلك، يجب أن تدرك أن  
نماذج الاستمرار الامثلية والغير امثلية وعمرها مترافق مع  
نماذج الجنين وبالمفهوم (الذئبة) (وطنين الدودة) (وبطانية) كما أنها  
يعود على مخارات حربى مترافق مع الكثير من الفيروسات  
الحدث تختلف العوامل والمتغيرات ورغم أن جنراً مقاومة  
ومناعة من الوراثة وأخلاقه لقاد ساته الوراثية فقد يبادر  
الاستعمار بالله من أموال وفناء وأفساده .  
وقد سمعت له ماته القدرة على اعتماده في منه من اوصاف وأخلاص  
والعدم لشيء .  
وارد

الامانة رئيس القيادة العليا لجيـر  
التمرير الصحراوى العـلى



شهادة تقدير من قيادة جيش التحرير الصحراوي المغربي  
للمرحوم ماء العينين على مرتبه ربه

# قصائد شعرية

## ليلة سوس والصحراء

لحنية أبي بكر ماء العينين (\*)

\*\*\*\*\*

يقولون: من سوس، قلتُ لهم: نعم. \* بها كان مبلادِي ومهُدٌ طفولي  
يقولون: من سوس، قلتُ لهم: نعم. \* أليس بها مثوى الحدود وخلني  
يقولون: من سوس، أقول لهم: نعم. \* لمن كنتُ من سوس فتلك حقيقتي  
يقولون: والصحراء، قلتُ: كذلكُكم. \* تقاسمت الصحراء والسوس مهْجِي  
أحنُ إلى هذِي، وقلتُ، وإنْ لي \* هنا موطنِي الأصلي، وَأَنْ أَرُوْمي  
غَبَّتْ بِكِلْتَ الْجَنَّبَنْ طَبِيقَةً \* وأقْطَفْتُ من داني القطوفِ مُؤَدِّتِي  
وَغَنَّتْ حَتَى قَبْلَ لِيلَةَ شَدَّتْ \* وما كان شَدُّوي غَيرَ بُوحَ قصيدتي

(\*) - أستاذة باحثة - أولاد تائفة (هوارة).

## العلاقة بين سوس والصحراء

خديجة أبي بكر ماء العينين (\*)

\*\*\*\*\*

هو الشعر في كفي بشتى الإرادات \* متى شفته لبى بأسمى العبارات  
أحول تحفل الشعر فاح عبره \* فأقطف من زهر القوافي النديات  
تضد أزهار القوافي قصيدة \* بها ذوب روحي وارتياض الصبابات  
متى ذكر القلب المعنى حبيبه \* حررت عبرة الوهان رغم المسرات  
فعاش على ذكر الأحمة عنده \* بهم يتناسى الهم في كل حالات  
هلّموا إلى سوس نقبل ترابها \* نخلد بها أرواح أهل المروءات  
نُكَرِّمُ منهم واحداً إثرا واحداً \* وتكرّرُهم في سوس أضعاف مرات  
قفوا وقفة المستغrib الصبُّ واقرُوا \* على روح نخل المصطفى (١) سبع  
وإما فرائس آية لترحّموا \* فلا تُترّكوا صحبًا وأهل القرابات  
لبن كرمتم سوس أديباً لعلمه \* فقد أدركت فيه المزايا الكثيرات  
وذكروا الصحراء سامر أهلها \* من الشعرا الغرّ إغا لميقات  
واحْيوا بالي الانس رغم ظروفهم \* فواعجبنا أنى اهتدوا للدراسات  
قضوا في جهاد مستمر تهارهم \* فما عرفوا غير القنا واليراعات  
أقاموا رحالات الجنوب تواصلاً \* يظل شعاعاً حاماً للرسالات  
أجادوا فاحْيوا للقديم وحددوا \* عكاظ لأرباب الجحّا والمهارات  
تحنّ إلى الصحراء سوس لساعة \* وكم حنّت الصحراء إلى سوس ساعات  
بها الشيف ماء العينين حطّ حاله \* يندود عن الإسلام خير الديانات  
ليخلفه أبناءه ويتممّوا \* مسيرة في طرد جيش الحميات  
مزيم وغرّيان يُولفُ بينهم \* جهاد وعلم واتحاد الإرادات  
وكمل عن الأوطان ظلّ مدافعاً \* فكم هجمات سلّدوها وغارات  
لقد أفتحت قومي مزيمغا وغيّراً \* وفي ظلّ حامي العرش رمز السيدات  
لبن جرّعوا كأس المزايا فحسبهم \* بآن شرف الموت احتضان الرجالات  
سيحييهم التاريخ برأً بوعده \* هم بصمات قد أحاطت بهالات

(\*) - أستاذة باحثة - أولاد تانية (هوارة).

(1) - نخل المصطفى: القيد ماء العينين على مربيه رب، لأن الاسم الحقيقي لوالده: محمد المصطفى مربيه رب.

## أترنيت الحبيبة

ماء العينين الولي بن ماء العينين محمد بوبي (\*)

\*\*\*\*\*

من بين الكرامات التي حصل الله تبارك وتعالى بها شيخنا الشيخ مربيه ربه بن  
شيخنا الشيخ ماء العينين عن إخوته، مع أن كل واحد منهم نبراس في كل شيء، كونه  
سمى بنيه على إخوته جميعاً، وزاد عليهم ما شاء الله لا قوة إلا بالله أسماء صحابة النبي  
صلى الله عليه وسلم.

وهكذا كان اسم علي على اسم جدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفعلاً  
لقد كان علي علياً في كل شيء، ربطه مع والدي وشقيقه الشيخ ماء العينين محمد  
بوبي صدقة حقيقة لاحظت من خلالها فيه أalties ما نسمعه عن جمته أسلفنا.  
لذلك حرصت، والله تعالى يعلم أنني وصلت من خارج الوطن منذ يومين، على حضور  
هذا اليوم التكريتي، أولاً لمقابلة الفقيد، وثانياً لتحية مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء  
التراث والتبادل الثقافي والمحسن البليدي لمدينة تربت، على هذه الباشرة الطيبة.  
وفي الطريق كان هناك سرعة البديهة، وكان هناك حضور لضمير الشعر، فقلت:

أترنيت الحبيبة يا صحابي \* دعني ما يكون إذا جوابي  
دعوني للتذكرة قلت مرحي \* وذي بعض الآيات في الجراب  
أضمنُّ بالشذى منها المسمى \* علياً في الحضور وفي الغياب  
عليَّ في مكانته تسامي \* كما تسنم النجوم على السحاب  
أبي النفس موصول السحابياً \* بوالده المجاهد والمهاب  
لقد قبس الفتوة والرثوي \* من المسوب حق الانتساب  
إلى مكون علم للمربي \* ترُونْقَه عَقْدَه من أداب  
فنعم العلم والأدب المرجي \* ونعم العقل وصلة للخطاب  
سألت الله أن يُرْحِمَ دواماً \* علياً بansonكاب في انسكاب  
على أرض قد احتضنته هاذى \* وتحتضن الحلوود على الروابي

(\*) - شاعر - مقيم بالإمارات.



صورة للفقيد

أبا عمان

مروان الأكرمي

أذرتني الحبقة قد دعاني \* إلى مغامك حب قد براني  
أذرت يهزني شوق دفين \* بخامرلي فندكيم الألمااني  
لأنثر في ربوعت من شعوري \* تراثيلا يجاش بها كيالي  
يفسح أرجها في كل حرف \* يبت إلى الأحبة ما أعناني  
ترافق في الفقيد أبي المرايا \* سيل الحمد، من فوق العنان  
عني بحمل قطب القطر طرأ \* مُؤذننا إلى حل المحنان  
أبي النفس نيرس البرايا \* عديم الندى في هذا الأوان  
ستي العلقم ذو نهج قويم \* سيديد الرأي ليس له مدان  
يتصوم عن الفضول وكل لغو \* وبحكم صادقا - برؤى الجنان  
شريف ماجد ندب تقى \* غزير المكرمات رفيق شاد  
حليب القدر شهم لا يصاهي \* يُقرّ بما الأبعاد والأدائي  
عفيف لا يخور به حطام \* ويمقت من ياهي بالمبانى  
طموم شـبـ في طلب المعالى \* ففي شـتـى العـلـومـ نـهـ يـدانـ  
عصامي الحمد يسعى باحتماد \* إلى أن حاز مـبـقاـ في الرهـانـ  
بحزم قد تحدى به صروفـاـ \* وعزمـ ماـ لـتـهـ يـدـ الزـمانـ  
سـلـواـ عـنـهـ الفـصـائـلـ وـهـيـ تـبـكـيـ \* عـلـيـهـ،ـ فـكـمـ حـماـهاـ مـلـهـوانـ<sup>(1)</sup>  
سـلـواـ عـنـهـ الـعـلـومـ وـقـدـ رـعـاهـاـ \* فـوـتـقـهـاـ بـفـهـمـ وـاتـهـانـ  
فـأـدـاهـاـ الـذـيـ ظـلـماـ شـغـوفـ \* أـمـانـةـ مـنـ تـحـقـلـهـ التـهـانـيـ  
سـلـواـ عـنـهـ لـسـانـ الـعـرـبـ كـمـ صـاـ \* نـ حـوـهـرـهـ يـأـسـوارـ السـيـانـ

<sup>(\*)</sup> - أستاذ باحث - أكاديم

(١) - ملهمان: من الهوان، حذفت التون للضرورة الشعرية.

ففي الشعر البديع له فتون \* تصاهي السحر في الدرر الجسان  
 وأنغام بها تسمو القواقي \* على متن الخيال بلا عنان  
 إذا أهدى القصيدة ترى جموعا \* سكارى بالطريف من المعانى  
 يقود الناشئين بها ويهدى \* قواربهم إلى شاطئ الأمان  
 يحيطُ على العلى دوماً ويدعو \* إلى سعي حيث بلا توان  
 سيفى في الزمان لما مضى \* بنصحه ما تناوب فرقان  
 فسنتا إن مضى بحال فيه \* على سُلِّم السلام والاطمأنان<sup>(2)</sup>  
 أبا نعمان لحن على عهود \* كما ترضى نكون وبالتفاني  
 سفت متواك من ربى العوادي \* من الرحمات تهمي كلَّ أن  
 وأمشع روحكم بجهان عدن \* ففيها ملوك كل الأمانى  
 لذا في الله بعدكم عزاء \* وإن كانعاني ما نعاني

(2) - الاطمأنان: الاطمأنان، حنفته المطرزة لنecessité الشعرية.

## الله دركم يا سادتي

جهادي حسين البعماني (\*)

\*\*\*\*\*

للله دركم يا سادتي طلعت \* متكم فرائد مثل الشمس والقمر  
أقدتم من جزيل البحث ما عظمت \* به مدینتنا تزیلت في العمر  
أشدتم بسلیل ما العینين على \* وما رواه هنا وَحَاطَ من درر  
قد كان ذافرع ذلك الطود فاجتمع \* في قطتنا من أصول العلم والفكر  
وَحَاطَ شیخ اهدى أهللو مزارته \* شعاعه عمَّ هذا القطر كالقدر  
يُحَايدَ قد بدلت الیوم شاعرة \* في شخص سيدة السودان والزمر  
خدیجة نلت من سحر البيان ذری \* والسحر منه حلال بما ابنة انغر  
للله درك يا لمطا وما ولدت \* جزولة من بنات السيف والعمر  
إنا نحس هنا بأسأل مارغنا \* كما تخل هنا ما جاء عن عمر  
لما أتم الشاعر هذه القصيدة، وقد ذكر فيها الشاعرة خديجة، أحاجاته يقولها:  
جزيت عن أسرة الشیخ الخلیل على \* يا شاعرا صادق الإحسان والصور  
دعوت قافية جاءتك طائعة \* ألقْتُ أرمَتها في كف مقتدر  
حتى تشید بزین العابدين على \* له مزايا بعدَ غير منحصر  
لقد ضمت مدى التاريخ مفخرة \* لما تشرفت بالتكريم للغور  
وفي الإشادة إخلاص ومكرمة \* وكل حب صفا من لوثة الكدر  
إيه جهادي فحسن العهد فاح به \* شعر تعليمه من إقامات الذقر  
تُذْرُ عنبره والمسك خالطه \* فبرتع الشعر في س nastan العطر  
بررت وَحَاطَ فلتقلصر تيمنة \* ولترو عن عمر الفاروق واقتصر  
وما جزولة أو لمطا سوى ذکر \* من وحي تاريخنا توحي لمذكر

(\*) - أستاذ باحث - الدار البيضاء.



نص البرقية المرفوعة إلى صاحب الجلالة

الملك الحسن الثاني نصره الله



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

برقية تجديد وشانع الولاء والحب والإخلاص لصاحب الجلالـة نصره الله

إلى حباب مستشار صاحب الجلالـة الملك الحسن الثاني، نصره الله وأيده.  
الديوان الملكي  
الرباط

سيادة المستشار:

السلام عليكم ورحمة الله، والدعاة لله عز وجل أن يزيد مولانا الإمام عزا ونصرا  
وتمكنا.

وبعد، فيتشرف رعایا صاحب الجلالـة، الحاضرون في الملتقى الفكري الذي نظمته  
في إطار احتفالات الأمة بعيـد الشـباب الجـيد، مؤسـسة الشـيخ مرـبيـه ربـه لإحياء التـراث  
والتـبادل الثقـافي، بـتعاون مع المـجلس الـبلدي لمـديـنة تـزـينـت يوم 12 يولـيوـز الـجـاري، تحت  
شعـار: «موسـوسـ والـصـحرـاءـ الـمـغـرـيـةـ: تـواـصـلـ ثـقـافـيـ وـفـكـريـ»، أـنـ يـتـمـسـواـ منـ سـيـادـتـكـمـ.  
أـنـ تـرـقـعواـ باـسـمـهـمـ إـلـىـ مقـامـ حـضـرـةـ صـاحـبـ الجـالـلـةـ الـمـلـكـ الـحـسـنـ الثـانـيـ نـصـرـهـ اللهـ، نـصـ

البرقـيةـ التـالـيةـ:

الحمد للـلهـ، وصـلـيـ اللـهـ عـلـىـ سـيـدـنـاـ مـحـمـدـ الرـحـمـةـ الـمـهـدـةـ، وـعـلـىـ أـلـهـ وـصـحـمـهـ.  
مولـاناـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ، سـبـطـ حـاتـمـ النـبـيـنـ، الـمـبـعـوثـ رـحـمـةـ لـنـعـالـيـنـ، صـاحـبـ الجـالـلـةـ  
الـمـلـكـ الـحـسـنـ الثـانـيـ نـصـرـهـ اللهـ.

السلامـ والـرـحـمـةـ وـالـبـرـكـةـ عـلـىـ مقـامـكـ العـالـيـ بـالـلـهـ.

إـنـ لـتـشـرـفـ عـظـيمـ لـرـعـایـاـ جـالـلـاتـكـ، المـتـعـلـقـونـ بـأـهـدـابـ عـرـشـكـ الشـيفـ، الحـاضـرـونـ  
فيـ النـدوـةـ الـيـ نـظـمـتـهـاـ مـؤـسـسـةـ الشـيـخـ مرـبـيـهـ ربـهـ لإـحـيـاءـ أـثـرـاتـ وـتـبـادـلـ ثـقـافـيـ، بـتـعـاـونـ  
معـ المـجلسـ الـبـلـديـ لمـديـنةـ تـزـينـتـ، لـتـكـرـيـمـ أـحـدـ خـدـامـ عـرـشـكـ المـتـفـاقـلـونـ فيـ عـيـتكـ، الـفـقـيدـ  
المـقـاـومـ وـالـأـدـيـبـ مـاءـ الـعـيـنـ عـلـيـ بـنـ الشـيـخـ مرـبـيـهـ ربـهـ رـحـمـهـ اللهـ، أـنـ يـعـتـمـدـ فـرـصـةـ اـخـتـامـ  
أشـغالـ هـذـاـ بـيـوـمـ الـدـرـاسـيـ، المـنظـمـ فيـ إـطـارـ اـحـتـفـالـاتـ بـعـيـدـ الشـيـابـ الجـيدـ، تحتـ عنـوانـ:  
«موسـوسـ والـصـحرـاءـ الـمـغـرـيـةـ: تـواـصـلـ ثـقـافـيـ وـفـكـريـ»، ليـرـفـعـواـ إـلـىـ مقـامـ الـحـضـرـةـ الـعـلـيـةـ،  
أـسـمـيـ آـيـاتـ الـتـهـانـيـ بـمـنـاسـةـ الذـكـرـيـ الـعـطـرـةـ مـيـلـادـ حـدـكـمـ الـأـكـرمـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ،  
وـعـيـدـ مـيـلـادـ حـنـابـكـ الـشـرـيفـ أـمـاهـ اللـهـ، وـرـفـعـ قـدـرـهـ وـعـلـاهـ، بـجـدـيـنـ لـكـمـ أـعـزـكـمـ اللـهـ

ثوابت الولاء والخيبة والطاعة والإحلال، وأواصر الاخلاص والامتنان والتعلق المتشين بأهداب العرش العنوي الحميد.

معتمدين هذه المعاشرة كذلك، وقد استمعنا، بأمعان وإيمان، إلى الخطاب المولوي  
المناسبة عيد الشباب الجيد، الذي يأتي في هذا الطرف التاريخي المتعمير. تسيرات حسنية  
بيماركها الرحمن، لنؤكد ملولانا الإمام، عظيم الامتنان والاكبار، على كل ما تضمنه  
الخطاب المولوي السامي لقيادة الأمة المعترنة بالوحدة الوطنية، وبائتمانها إلى شعب  
الدولة العلوية الشريفة، ومتى خصه الخطاب الشريف من عطف وعناية وبواعث  
البشائرات، لقيادة الشباب حامني الشهادات، والأطفال الفقراء والمعاقين، وإن أفتدة  
رعايا جلالتكم لتفيض بالشكر الخزيل، لمقامكم العالي يالله على هذه الافتخارات المولوية  
الكريمة التاريخية، والتي مداها الواسع تتعم بساقع الرحمة والعطف والإغاثة لفترة كبيرة من  
الأطفال الأبراء الذين قسي عليهم القدر.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ مَنْعَلِي بِاللَّهِ

حرر بتنیت فی: 17 ربیع الاول 1419ھ.

الموافق لـ 12 يونيو 1998م.

ثesis الجامعية المقدمة

احمد ادیب

العنوان: [العنوان](#)

الاحماء الثالث والتاسع

187 *Journal*



اليوم الدراسي

في الصحف الوطنية



## الذكرى الاولى لوفاة الشيخ ماء العينين مربيه ربه دُمْزِ مِنْ دُمْزِ الْحَرْكَةِ الْوَطَنِيَّةِ فِي الْجَنْوَبِ الْمَغْرِبِيِّ

مبكرًا على يد والده ونشرب ب متون الفقہ والفلک والعلوم واصول الدين ثم رحل لاسبانيا ليتابع دراسته ببر شلونة وعاد ليتخرّج في صفوف الحركة الوطنية وظلت السلطات

الاسلامية الإسبانية تطارده بسبب تحركاته وانتقامه باسم رعاه الحركة الوطنية. الشيخ العلامة حاصل على الاجازة من كلية الشريعة ولم تكن انشغالاته واهتماماته تمنعه تقدّمه بشاطئ الابداعي ان لم تكون قد اذنته توهج وحماسة فقد خالف معتقدات واعمار في مختلف الاشخاص وتقارير الكتب عديدة واخواتيات ومقالات ساهم بها في تعميق المذاهب السياسية والوطنية. وترك مكتبة قيمة تضم الكثير من المخطوطات والكتب التفسيرية التي سخر جهالتها الجمّها.

يذكر ان اليوم الدراسي الذي ستحتّمه قاعة الشيخ ماء العينين بمعيّنة تزنيت سيعرف مشاركة تخبّة من الاصحّة والياشّيين القادمين من الرباط والمحمدية وآكادير وتزنيت.

أو. م. ع

هيّبة الدولة المغربية وتوحد صنفاتها تحت قيادة سلطان الاسرة الحلوية الطريقة واضافت ان الشيخ ماء العينين على مربيه ربه يعتبر احمد روز الحركة الوطنية في الجنوب المغربي الذي حرص مثل كافة مجايليه من ابناء ربوغ المصحراوية على الكثير من المقاومات والمعطيات والثوابت التي اراد انتصارها وتحريضها في حزب الاستقلال ثم في الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

كما شارك في مؤتمر ام الشكاك سنة 1956 الذي ترأسته الشيخ محمد الاشتفى بن الشيخ ماء العينين ومؤتمر بوخشيشية سنة 1958 الذي ترأسه اندلاع جلالة الملك الحسن الثاني وهو وفي للعهد اندلاع. وحصل على عدة اوسعة لكتبة سامية تقديرًا لموافقه الوطنية واخلاصه وولائه للعرش الحلوى.

والشيخ ماء العينين على

تنقّم مؤسسة الشيخ مربيه ربه لاحياء التراث والتبارد الشعافي يتعاون مع المجلس البلدي لمدينة تزنيت يوم 12 يونيو القادم يوماً مراسيا حول موضوع «سوس والمصحراء المغاربية... تواصل ثقافي وفكري» احياءً للذكرى الاولى لوفاة الشيخ العلامة ماء العينين على مربيه ربه (1934-1997).

ويعتبر هذا اليوم الدراسي مناسبة للتعرّيف بالجهات والتراثية والتاريخية والفكرية التي ربطت عبر العصور شمال

JEUDI 2 JUILLET 1998

## Histoire de la Résistance **A la découverte d'un symbole**

***Une journée d'étude sur l'œuvre  
de Cheikh Mrabih Rabbo***

*L'œuvre de Cheikh Maâ Al Aïnine Mrabih Rabbo sera au centre d'une journée d'étude, prévue le 12 juillet à Tiznit, à l'initiative conjointe de la Fondation Mrabih Rabbo et de la municipalité de la ville.*

Selon la Fondation Mrabih Rabbo, cette rencontre, organisée en commémoration du premier anniversaire du décès de Cheikh Ali Mrabih Rabbo (1934-1997), ambitionne à faire la lumière sur les biens historiques et culturels entre le nord et le sud du Royaume, en particulier entre la région du Souss et les provinces sahariennes, et de mettre en exergue certaines vérités que le colonisateur s'évertuait à cacher et à falsifier pour affaiblir la volonté des Marocains et leur aspiration à l'unité sous la conduite des Souverains Alaouites.

Cheikh Mrabih Rabbo, qui a persisté dans cette voie, est un symbole du mouvement national dans le sud marocain.

Il a rallié dans sa jeunesse le parti de l'Istiqlal avant de militer au sein de l'Union nationale des forces populaires (UNFP).

Il a également participé en 1959 au Congrès d'Oum Chegag, présidé par cheikh Mohamed Laghdaf Maâ Al Aïnine et à la conférence

de Boukhchiba, présidée en 1958 par le Prince Héritier Moulay Hassan.

Décoré de plusieurs Wissams Alaouites, cheikh Maâ Al Aïnine Mrabih Rabbo, décédé le 12 juillet 1997, est le petit-fils du cheikh Mrabih Rabbo Ben cheikh Maâ Al Aïnine.

Elevé au sein d'une famille de savoir et de jihad, il a appris précocelement le Coran grâce à son père qui l'initiera aussi à la langue arabe et aux sciences islamiques.

Après avoir poursuivi des études à Barcelone (Espagne), il regagne le Maroc pour rejoindre les rangs du Mouvement national, où il sera continuellement poursuivi par les autorités coloniales espagnoles.

### **Engagement**

L'engagement politique de cet érudit, titulaire d'une licence à la Faculté de la charia, ne l'a pas pour autant empêché d'écrire des poèmes et des essais littéraires qui ont embrassé différents thèmes.

Cette journée d'étude, qui aura lieu à la salle cheikh Maâ Al Aïnine à Tiznit, verra la participation d'une pléiade d'universitaires et de chercheurs de Rabat, de Mohammédia, d'Agadir et de Tiznit. (MAP)

JEUDI 2 JUILLET 1998

## Histoire de la Résistance **A la découverte d'un symbole**

***Une journée d'étude sur l'œuvre  
de Cheikh Mrabih Rabbo***

*L'œuvre de Cheikh Maâ Al Aïnine Mrabih Rabbo sera au centre d'une journée d'étude, prévue le 12 juillet à Tiznit, à l'initiative conjointe de la Fondation Mrabih Rabbo et de la municipalité de la ville.*

Selon la Fondation Mrabih Rabbo, cette rencontre, organisée en commémoration du premier anniversaire du décès de Cheikh Ali Mrabih Rabbo (1934-1997), ambitionne à faire la lumière sur les biens historiques et culturels entre le nord et le sud du Royaume, en particulier entre la région du Souss et les provinces sahariennes, et de mettre en exergue certaines vérités que le colonisateur s'évertuait à cacher et à fasifier pour affaiblir la volonté des Marocains et leur aspiration à l'unité sous la conduite des Souverains Alaouites.

Cheikh Mrabih Rabbo, qui a persisté dans cette voie, est un symbole du mouvement national dans le sud marocain.

Il a rallié dans sa jeunesse le parti de l'Istiqlal avant de militer au sein de l'Union nationale des forces populaires (UNFP).

Il a également participé en 1959 au Congrès d'Oum Chegag, présidé par cheikh Mohamed Laghdaf Maâ Al Aïnine et à la conférence

de Boukhchiba, présidée en 1958 par le Prince Héritier Moulay Hassan.

Décoré de plusieurs Wissams Alaouites, cheikh Maâ Al Aïnine Mrabih Rabbo, décédé le 12 juillet 1997, est le petit-fils du cheikh Mrabih Rabbo Ben cheikh Maâ Al Aïnine.

Elevé au sein d'une famille de savoir et de jihad, il a appris précocelement le Coran grâce à son père qui l'initiera aussi à la langue arabe et aux sciences islamiques.

Après avoir poursuivi des études à Barcelone (Espagne), il regagne le Maroc pour rejoindre les rangs du Mouvement national, où il sera continuellement poursuivi par les autorités coloniales espagnoles.

### **Engagement**

L'engagement politique de cet érudit, titulaire d'une licence à la Faculté de la charia, ne l'a pas pour autant empêché d'écrire des poèmes et des essais littéraires qui ont embrassé différents thèmes.

Cette journée d'étude, qui aura lieu à la salle cheikh Maâ Al Aïnine à Tiznit, verra la participation d'une pléiade d'universitaires et de chercheurs de Rabat, de Mohammédia, d'Agadir et de Tiznit. (MAP)

یوم دراسی فی تزئینت:

الله والصلوة على نبيه وآله وآل بيته وآل بيته

العلم - العدد 17611 الخميس 21 ربى الأول 1419 ميلادي 16 Juillet 1998

# فهرس

9

## تقديم

### ا- الجلسة الافتتاحية

- 13 - كلمة السيد رئيس المجلس البلدي
- 17 - كلمة السيد ممثل مؤسسة الشيخ مرعيه ربه لاحياء التراث والتبادل الثقافي
- 19 - كلمة السيد قيدوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية
- 23 - كلمة السيد ممثل جمعية الأعمال الاجتماعية لقضاء وموظفي وزارة العدل
- 25 - كلمة السيد المندوب الجهوي للمندوبيات السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير
- 27 - كلمة السيد المندوب الإقليمي لوزارة الثقافة
- 31 - كلمة أسرة الفقيد
- 35 - قصيدة شعرية بالمناسبة  
أحمد بن مبارك أبو القاسم

### ب- المداخلات العلمية

- الحضور الثقافي لزاوية الشيخ ماء العينين  
41 بالجنوب المغربي  
د. محمد الظريف
- جهاد الشيخ مرعيه ربه والقبائل السوسية  
51 من خلال وثائق محلية  
النعمة على ماء العينين  
أحمد بومزحو
- التمازج الاجتماعي والثقافي بين  
85 سوس والصحراء المغربية  
شيبة ماء العينين

- سبيل الاقتناع بوجوب الوحدة والاجماع  
89 قراءة في كتاب "دليل الرفاق على شمس الاتفاق"  
محمد عيناك
- الرواية الشفوية ودورها في البحث العلمي  
99 محمد ناجي بن عمر
- مظاهر التواصل العلمي والروحي بين  
105 عنماء سوس وعنماء الصحراء المغربية  
أحمد بن مبارك أبو القاسم
- السجال العلمي بين سوس والصحراء  
121 من خلال رحلة الولاتي  
محمد الحافي
- أدباء صحراويون في المدرسة الإلزامية  
129 المهدى السعدي
- المساجلات الشعرية بين شعراء سوس  
141 والصحراء المغربية  
ماء العينين التعممة على

### III-الشهادات

- السيد علي كما عرفته  
157 محمد ماء العينين بن الشيخ الحبيبي
- في ذكرى الأستاذ ماء العينين علي  
159 مريضه ماء العينين بن سيدى محمد
- الوفاء  
165 سيدى عثمان الشريف حسن
- الأستاذ علي: أصمسي الجنوب المغربي  
167 محمد فاضل استد
- الأستاذ علي: الوطن الغير  
169 محمد الأغلض ماء العينين أبو بكر

- 173 - الأستاذ علي : الأديب العالم المقاوم  
محمد فاضل ماء العينين بن الشيخ حسن
- 175 - وفاء وعرفان  
محمد ناجي بن عمر
- 17- قصائد شعرية**
- 183 - بلبلة سوس والصحراء  
خدجية أبي بكر ماء العينين
- 184 - العلاقة بين سوس والصحراء  
خدجية أبي بكر ماء العينين
- 185 - أثريات الحبيبة  
الولي ماء العينين بن محمد بوي ماء العينين
- 187 - أنا نعمان  
مروان الأكرمي
- 189 - الله دركم يا سادتي  
جهادي حسين البغدادي
- 7- نص الهوالية المرفوعة**
- 193 - إلى جلاله الملك المحسن الثاني نصره الله
- 17- اليوم الدراسي في الصحف الوطنية**



والجنسن الذي لا يعرف لأبنائه حقهم، ولا يحافظ لهم على مكانتهم، ولا يخليهم في ذاكرته قدوة، ولا يشيد بهم عطاء ورثما للسمو، عتمد محكوم عليه بالاصحاح؛ أو في أبسط الأحوال بالنوبان وفقدان الشخصية.

من هنا يكون الاحتفاء برموز المجتمع حقا على عائق أبنائه، إن هم خلوا عنه دفعوا مجتمعهم إلى الانتحار والاندثار، وإن أقاموا لمناذج المجتمع أمثلة لافتة بهم في أفكار الأجيال، ليأخذوا عنهم القدوة، وينوروا عطائهم، وتعمموا عملهم، ويُشقوا طرقاً موصولة بطرقهم؛ ومعهدة سُلْطنة لآفاق جديدة، كان المجتمع أصيلاً متجدداً ذاتياً يميزه عن غيره، خدمة شخصيته المتميزة، وتنوير عطائه الشّرّ، ولن يكون له ذلك إلا بالشموخ، رفعاً لكل إيجابياته، متخلاً صراحةً من سلبياته.

فواجهنا كلما ستحت لنا فرصة لذكر أحد أعلام مجتمعنا، أن نبادر إلى التعريف به، وفاءً لعهده، وسيراً لعطائه، وإخلاصاً لمعنه.